مجلة نصف سنوية تصدر عن مجمع اللغة العربية بالشارقة

العربيّة لساني

السنة الأولى - العدد الأول - أغسطس ٢٠١٩م



الأسلُوبُ الحَكيمُ في البَيَان القُرآنِي

اللغة العربية والشّارقة

قدرة اللغة العربية على صناعة المعرفة

البعد الشرعي لقضية اللغة العربية

من تثقيف الرّمح إلى تثقيف العقل

ولَعُ الشناقطة بالعربية

تجربة أدبيّة حيّة

2019 الشارقة عاصمة عالمية للكتاب

SHARJAH WORLD BOOK CAPITAL

افتح كتاباً. تفتح أذهاناً.

Open Books. Open Minds.

SharjahWBC

www.sharjahwbc.com



اللغة بالنسبة لي أنا كما قال القائل إذا استُعْبِدت أمّةٌ ففي يدها مفتاحُ حبسها بارتباطها بلغتها، فنحن الآن ينطبق علينا قولُ هذا القائل، فطريقُ تحريرنا من هذا الحبس ارتباطُنا بلغتنا وما أسهل ذلك، ولن نكونَ بحاجة لأيٍّ كان، ونحنُ لسنا بحاجة إلى معركة ولا سلاح، إنما نحتاج إلى فكر عميق صادق مؤمن بهذه اللغة التي هي لغة جبريل عليه السلام ولغة القرآن الكريم، ولذلك أكرمنا الله تعالى بهذا العقل وهذا الدين، وكذلك أكرمنا بهذه اللغة التي إن أردنا جمع كل لغات العالم لا تأتي بقدر حرف واحد من حروفه.

صاحب السموّ الشيخ الدكتور

سلطان بن محمد القاسمي

عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة

الرئيس الأعلى لمجمع اللغة العربية بالشارقة

العربيّة لساني

مجلة أدبيّة لغوية تصدر عن

حكومة الشارقة Government of Sharjah

مجمع اللغة العربية بالشارقة

ARABIC LANGUAGE ACADEMY IN SHARJAH

السنة الأولى - العدد الأول - أغسطس ٢٠١٩ م

المراسلات

هاتف : 400 60 51 6 971+

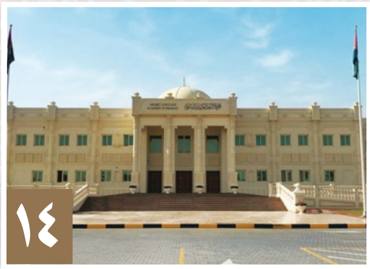
فاكس : 410 60 51 6 971+

ص.ب : الشارقة ، 1973

البريد الإلكتروني : info@alashj.ae

الموقع الإلكتروني : www.alashj.ae









المحتويات



غلاف العدد

السنة الأولى - العدد الأول - أغسطس ٢٠١٩ م

مجلة نصف سنوية يصدرها مجمع اللغة العربية بالشارقة

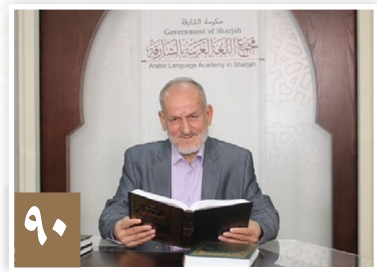
مجلة أدبية لغوية تعنى بقضايا اللغة العربية المتنوعة

لمشاركاتكم ومقترحاتكم يرجى التواصل على البريد الإلكتروني amal.a@alashj.ae

لزيارة موقع مجمع اللغة العربية بالشارقة امسح رمز الاستجابة السريع بكاميرا الهاتف









المحتويات

لماذا العربيّةُ لساني ؟

بسم الله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات، وتتحقّقُ الغايات، والصلاةُ والسلام على أشرف المرسلين، سيّد الناطقين بالضاد، آتاه الله جوامع الكلِم، وعلّمه ما لم يعلم، وبعد،

قد يقولُ قائلٌ إنَّ المجّلات التي تتحدّثُ عن اللغة العربية كثيرة ووفيرة، فما الدّاعي إلى إنشاء مجلّة جديدة بعنوان جديد؟ لهؤلاء نقول: أسرار العربيّة لا تنتهي، ودلالاتُ ألفاظها لا تُحصى، وأنساقُها التعبيرية وخصائصُها من الاتّساع والمرونة والدّقة والجمال بحيث لا يحصرُها العدُّ، والإقبالُ على العربيّة اليوم إقبالٌ شديد، تدفعُ إليه جُملةٌ من المسوّغات أعلاها أهميّة الدور العظيم الذي يقوم به المتحدّثون باللغة العربية والمبدعون بها بشكل عام في الحركة العلمية والأدبيّة والثقافية والتواصلية.

في الوقت نفسه، تُحدِقُ بالأجيال المعاصرة أخطارٌ جسام وتحدّيَاتٌ كبيرة في الميدان اللغوي؛ إذ لا يخفى على أحد ما تشهدُهُ الساحة العالمية من مدّ وجزر وأمواج عاتية متلاطمة في الدعوة إلى استعمال اللغات الأجنبية، والرّطانات العاميّة، والتّمهيد لتسهيلها، والعمل على ترسيخها في نفوس النّشء. وقد ساعد على هذا ما يشهده العالمُ اليوم من فتوح في المجال الرقمي الذي يُزجي سفينة هذا النشء نحو كل ما

هو مُستَحدَث، وما هو أجنبي، بحُلوه ومرّه. والأصلُ في إنشاء مجمع اللغة العربية بالشارقة هو العملُ بحكمة وبصيرة للتّمكين للسان العربي في نفوس النّاشئة، وتذليل سبُل تعلّم هذه اللغة العصماء لأبناء الجيل، وتحبيب الفصاحة والإفصاح والإبانة والتّبيين بأساليب سليمة إلى نفوسهم، وغرسها في أفئدتهم في ربوع وطننا الغالي الإمارات العربيّة المتحدة، وتنفيذ مشاريع علميّة كبرى على المستوى الدّولي التي يأتي في مقدّمتها مشروع المعجم التاريخي للغة العربيّة.

وقد وجّه صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي عضو المجلس الأعلى للاتحاد حاكم الشارقة، والرّئيس الأعلى لمجمع اللغة العربية بالشارقة إدارة المجمع منذ تأسيسه إلى المبادرة إلى كل عمل ونشاط من شأنه أن يغرس العربيّة في نفوس أبنائنا، ويُرسّخَ حبّها في قلوبهم، إيمانا منه بالمسؤوليّة العظيمة تُجاه اللغة العربية.

وفي هذا الإطار، وبتوجيه مباشر من سموّه، ها نحن أولاء نُطلقُ العدد الأوّل لمجلة (العربية لساني) التي يريدها أن تكون نبراسا يُنير طريقَ أبناء الجيل في كيفية التعاطي مع اللغة العربية، وتيسير سبل تدريسها، وتجلية مواضع القوّة فيها، وإبراز ما تجود به قرائحُ علمائها والمتخصصين في تعليمها إلى حيّز العرض والمناقشة حتى يستفيد القرّاء أساليب وطرائق وأفكارا جديدة، كلّها تصبُّ في تحبيب العربية إلى أبنائها. ومن نافلة القول التأكيدُ في هذه الافتتاحية على أنّ اللغة العربية هي جسرُ القرآن الكريم، وإتقانها وإجادة فهمها هو السبيل الأوحد لنشر قيم ديننا الحنيف، وبناء جيل مثقف واع وواعد وجادّ يشارك بجدّ واجتهاد في دفع الحركة العلمية والإبداعية لتحقيق أحسن المخرجات، ويُسْهم في الإنتاج المعرفي في عصر لا مجال فيه للحياة الكريمة إلا لمن سلك سبيل العلم والقيم الإنسانية.

هيئة التحرير



جهود صاحب السموّ الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي
في خـدمـة اللـغـة الـعـربـيـــة

(وَهَبتُ نَفْسي للغةِ العربيّةِ)، تِلكم هي العبارة التي تكرّرت على لسان سلطان العلم والخير، صاحب السمو عضو المجلس الأعلى للاتحاد حاكم الشارقة، فخرجت نورا يتلألأ من بين ثناياه -يحفظه اللّه ويرعاه-

(وَهَبتُ نَفْسي للغةِ العربيّةِ)، قالها سلطان! فرأيناها جهودا في خدمة اللغة العربية يعرفها القاصي والداني، والحاضر والبادي، وسارت بها الركبان شرقا وغربا، وحدّث عنها ولا حرج.

المؤسسات اللغوية في الشارقة معالمُ شاهدة على فكر ثاقب ورؤية لغوية مستنيرة

وكان من بين جهود سموّه: افتتاح جمعية حماية اللغة العربية في دولة الإمارات العربية المتحدة، وجمعية الإمارات لحماية الخط العربي، وساحة الخط التي تضم بين جنباتها معهد الخط العربي، وبيوت الخطّاطين، فضلا عن دار المخطوطات في الجامعة القاسمية، وإنشاء اتحاد المجامع اللغوية والعلمية، ومجمع اللغة العربية بالشارقة وبيوت الشّعر في عدد من الأقطار العربيّة وغير ذلك من الصروح العلميّة والتربويّة ما علمنا منها وما لم نعلم مِمّا يضيق المقام عن تعدادها، وقد كان سلطان القاسمي أوّلَ شخصية عربية يُحتفى بها في منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) في العاصمة الفرنسية باريس ضمن احتفالية المنظمة باليوم العالمي للغة العربية، وذلك تثمينا لدور سموه البارز والمتميّز في خدمة لغة الضاد.

وكان من جملة قوله – يحفظه الله ويرعاه – مخاطباً جموع اللغويين في العالم:

أعلمُ أنّكم تحملون همَّ اللغة العربية كما نَحْمِلُه، إلا أنّ الله زادنا بسطةً في المال والإمكانات، وقد ذللناها لكم لتنهضوا بلغتنا العربية وتقوّموا لسان بنيها.

ثم كانت البداية العملية المُخطّط لها بدقة من سموّه؛ إذ قال في كلمته عن اتحاد المجامع: أبدأ بإصلاح المجامع اللغوية في الوطن العربي مُطوّرا لها ومغيّرا أوضاعها إلى الأفضل، فضلاً عن تحسين الأوضاع المادية للعاملين فيها.

كما وجّه سموّه بضرورة الاحتفال باليوم العالمي للغة العربية لنستكمل به ما لدينا من أفكار تخدم اللغة، ومن تلك الكلمات التي ألقاها سموّه على مسامع الحضور: اللغة بالنسبة لي أنا، كما قال القائل: إذا استعبدتَ أمّة ففي يدها مفتاح حبسها بارتباطها بلغتها، فنحن الآن ينطبق علينا قول هذا القائل، وطريقُ تحريرنا من هذا الحبس ارتباطُنا بلغتنا وما أسهل ذلك، ولن نكون بحاجة لأيٍّ كان، ونحن لسنا بحاجة إلى معركة ولا إلى سلاح، إنما نحتاج إلى فكر عميق صادق مؤمن بهذه اللغة التي هي لغةُ جبريلٍ عليه السلام، ولغةُ القرآن الكريم، ولذلك أكرمنا الله تعالى بهذا العقل وهذا الدين، وكذلك أكرمنا بهذه اللغة التي إن أردنا جمع كل لغات العالم لا تأتي بقدر حرف واحد من حروفها.

جائزة الشارقة للثقافة العربية تاريخ حافلٌ بالإنجازات والأعمال الرائدة

أضف إلى تلك الجهود إنشاء سموّه لجائزة الشارقة للثقافة العربية التي تقام في اليونسكو منذ عام ١٩٩٨م، والتي تمنح كل عام لشخصين أو جهتين يقدّمان إنجازات من أجل تطوير الثقافة العربية عبر العالم بما يسهم في الفهم المتبادل والحوار بين الثقافات والشعوب، والنهوض باللغة العربية.

ثم حثّ سموّه على تفعيل برنامج تعليم اللغة العربية في المنتديات الثقافية، واستخدام اللغة العربية في البحوث وفي ميادين التعليم والتربية.

كما اتّخذ قرار تعريب الوثائق الحكومية، وغير ذلك من وسائل وفعاليات داعمة للغة العربية والثقافة عامة.

مجمع اللغة العربية بالشارقة حديث عهد في مولده، قويّ ومثمر في إنجازاته

ومن جهود سموّه في خدمة اللغة العربية إنشاء مجمع اللغة العربية في الشارقة، وقال سموّه بمناسبة افتتاحه: نجمع فيه كل المشتغلين باللغة العربية، على غرار مجامع اللغة العربية في سوريا وفي مصر، ولن نخرج عن إطارهم بل نتعاون مع الجميع، لتتكاتف الجهود وتتكامل الأدوار.





إنشاء اتّحاد المجامع اللغوية والعلمية مفخرةٌ في جبين تاريخ العرب

وقد افتتح سموّه المبنى الجديد لاتحاد المجامع اللغوية والعلميّة في القاهرة، وقال سموّه في لقاء اتحاد المجامع الذي انعقد في القاهرة: (إنّ مجمع اللغة في الشارقة لم يوجد ليكون قطبا من أقطاب المجامع في العالم العربي، ولكن من أجل دعم تلك المجامع مادّيا ومعنويا والنهوض بها، وذلك بالتّنسيق والتّواصل مع اتّحاد المجامع اللغوية العلمية العربية في جمهورية مصر العربية) .

المعجم التاريخي للغة العربية ذاكرة الأمّة العربية وتاجُ فخار فوق رؤوس معاجمها

وقد وصف سموّه مشروع المعجم التاريخي للغة العربيّة بذكر أنموذج عملي، فقال:

نحن بصدد مشروع تاريخ الكلمة، وهذا يعني: البحث عن أصل الكلمة (الجذر)، وتتبّع استعمالاتها وأثره السياقي عبر العصور، فكل كلمة في اللغة العربية لها معانٍ وظروفٌ قيلت فيها، نحو كلمة: (يتنافسون)، تُسمع كثيرا في المباريات، فمن أين أتت؟ تنافس من التنافس، وليس من الجري ولا اللعب حتى لا نظنّ أنهم كانوا يتسابقون هكذا في الجاهلية، وإنما كانوا يغوصون في بِركة ويتنافسون من يمتلك نفساً أطول، والوزن في اللغة العربية (يتفاعل) والتفاعل يعني التشارك.

فنعالج الكلمة تاريخياً، وندرس تطوُّرَها، ومنه أيضاً قولنا: فلان (عبقري)، فكلمة عبقري على وزن فعللي، وهو غير موجود، وبتصريف الكلمة والبحث عنها تاريخيا نصل إلى أصلها؛ ولذا وجدنا وادياً يسمّى: (عبقر)، وفيه جِن، وكان الناس يخافونه فإذا قالوا: عبقري أي: هو آتٍ من وادي عبقر، مما يعني أنها كانت من السّباب أو الصفات السيئة ثم تطوَّر مدلولها ليصبح مع أشد الناس ذكاءً، وغيرها من الكلمات، فعملنا هو البحث عن أصول الكلمات العربية وتتبع استعمالاتها تاريخيا للوقوف على تطورها الدلالي، فكانت فكرة المعجم التاريخي للغة العربية، وهو يختلف عن المعاجم الحالية التي تُعنى فقط بمعنى الجذر اللغوي دون التطور الدلالي له.

جائزة الألكسو الشارقة للدراسات اللغوية والمعجمية درّةٌ ناصعة في إكليل الجوائز اللغوية

وفي ميدان التّحفيز والتّشجيع في البحث اللغوي والمُعجمي، وجّه سموّه فريق مجمع اللغة العربية بالشارقة إلى إنشاء جائزة الألكسو الشارقة للدراسات اللغوية والمُعجميّة حيث أطلّت على الأكاديميين والباحثين اللغويين بالتنسيق مع مكتب تنسيق التعريب شمسا ساطعة في دنيا المنافسات والمناهزات اللغوية، وها هي ذي تتألق كل عام في سماء اليونسكو أسماء اللامعين المتألقين في محاورها، ويتزامنُ تكريم الفائزين فيها مع اليوم العالمي للغة العربية في اليونسكو، وممّا جاء في كلمته في حفل التكريم مخاطبا جموع اللغويين والمعجميين قوله: (أمّا أنتم أيُّها المجمعيّون والأكاديميّون، فأقدّمُ لكم شكري وتقديري، فأنتم نجوم العلم، ترفعون رايةَ اللغة العربيّة خفّاقةً عاليةً، والعربيّةُ مُقوّمٌ أساسيٌّ من مقوّمات هُويّتنا وشخصيّتنا، وتحفظون للأجيال المعاصرة والأجيال القادمة تُراثَها ومجدَها، وتحفظون لأبناء الأمّة تاريخَهم وحضارتهم، وتُعنَوْنَ باللغة، واللّغة ذاكرةُ الأمّة، وحاملةُ تاريخها. إنّي أعلمُ كما تعلمون أنّ الجوائزَ تُحفّزُ الهمم، وتفتحُ شهيّةَ البحث، وتُشجّعُ على الإبداع، وهذا جزءٌ من رسالتي التي سخّرتُ من أجلها حياتي وجهودي منذ شبابي الباكر. كنتُ ولا زلتُ أريدُ للغة العربيّة أن تنهض، وأريدُ للبحث العلمي باللغة العربيّة أن ترتفعَ هامتُهُ بين الشعوب والأمم).

وصايا سلطان لأبنائه في الوطن العربي:

- لغتنا مبنيّة على الذائقة، وهي أحوج ما تكون إلى القرآن الكريم، فمن أراد تنمية ذائقته فعليه بتدبّر كتاب الله تعالى، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى، ولديّ منها الكثير، فعلى سبيل المثال: ورود ما ظاهره التعارض في بعض الآيات بسبب جهلنا بالمعجم التاريخي لمفردات اللغة العربية، كما ورد في قصة السيدة سارة زوج نبي الله إبراهيم عليه السلام: ﴿ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ [الذاريات: ٢٩]، فقد ورد في القصة نفسها في سورة هود ما ظاهره التعارض: ﴿ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (٧١)﴾ ، فكيف تصكُّ وجهها في آية الذاريات أي تضرب خدَّيْها استنكارا، ثم يرد في آية هود أنها قائمة تضحك، وهنا تتدخل الذائقة اللغوية المطلعة على المعجم اللغوي لتُزيل اللبس بعد التعرف على المعنى من خلال تتبّع الكلمة تاريخيا، فنجد أن تفسير كلمة: (قائمة)، وكذلك كلمة: (تضحك)، يختلف تماما عما يتبادر إلى الذهن من القيام والضحك المعروفين، فيُقال: امرأة قائمة، أي محبوسة المبايض، والضحك هو انفتاحها لإنتاج البويضة التي هي مقرُّ إخصاب الجنين. ولا سبيل إلى





فهم ذلك بصورة صحيحة إلا بذائقة لغوية مبنية على معرفة معجمية تاريخية.

- عليكم بالقرآن الكريم، لأنَّ اللغة تحتاج إلى تعايش، وخير معايشة لها تكون من خلال كتاب **الله**، وأحمد **الله** تعالى أن هداني لأبدأ يومي وأختمه بالقرآن، فمن أراد الأجر من الرحمن، وزيادة عليه تقويم اللسان، فعليه بالقرآن.

- ابذلوا ما في وسعكم خدمةً للغتكم، لأن خدمة اللغة العربية لا تُقدَّر بثمن، ولو زالت اللغة لزال اللسان العربي عن القرآن.

اسْتَشْعِر المسؤولية تُجاه لغتك واحملْ همّها، إن لم يحمل همَّ هذه اللغةِ بنوها فلن نرى ما تقرُّ به أعيننا، ولن ينفعنا نشر الإعلانات أو إنفاق الأموال، وصدق القائل:

إذا لم يَسُقْها سائقٌ من ضميرها .. وإلا فأعيت سائقا بعد سائق.

وما بالكم بالهمّ الذي أحمله تجاه هذه اللغة، فاللغة العربية هي أغلى ما في الدنيا، وفي كل ليلة حين أخلد إلى الفراش يصيبني الأرق والهمّ خوفاً على فقد هذه اللغة على مرّ الزمان، ولا يزال همُّها يقضُّ مضجعي ويبعد الكرى عن أجفاني.

- ما حكَّ جلدَك مثلُ ظفرك فتولَّ أنت جميع أمرك، فحافظوا على لغتكم ولا تنتظروا من يأتينا من الخارج ليطوّرنا ويأخذ بأيدينا في لغتنا، ولا تخلطوا بين لغتكم وبين ما دونها من اللغات، فلا تعدل كلُّ لغات الدنيا حرفاً واحداً من لغتنا، ومن الضرورة الحفاظُ عليها ووضع حدود آمنة بينها وبين غيرها.

وما يُشعرنا بالأسى هو ما نسمعه من الخلط المخترع لدى بعض الشباب (لهجات مخترعة – إن صح التعبير–) وليست – و**الله** – لهجة دارجة، وإنما هي خلط صوتي ما أنزل **الله** به من سلطان؛ فلكل فعل تصريفاته الخاصة نحو الثلاثي والرّباعي والخماسي، وله أحكامه في الجمع والتثنية، فمثلا كلمة: عندليب، تجمع على عنادل، أما ما نسمعه –الآن– من جمع الكلمات الأجنبية نحو: (باركن وباركينات) فهذا لا يسمى إلا خلطاً، ثم نسمع من بعضهم كلمة: (سيايير) جمعا لسيارة، فإلى أين تذهبون؟ ولا يليق ذلك بلغتنا العظيمة، ومثل ذلك يشين صاحب اللسان العربي المُكرّم من لدن **الله** –سبحانه وتعالى– بهذه اللغة التي نزل بها جبريل الأمين على خير البشر وأفصحهم.





وما قاله سلطان لا تحصيه مقالة ولن تقف الكلمات له على نهاية، إلا أننا نختم بهمساته الحانية في آذاننا:

إن ذهبت لغتنا ذهبنا؛ فاللغة تاريخ، وإذا تغيّرت أو اندثرت لغة قومٍ درسَ تاريخهم، وما أكثر الدول التي تعيش – الآن– بلا تاريخ لاندثار لغاتهم الأم.

اللغة انتماء، فإن ذهَبَتْ ذهب معها انتماؤك، ولا أقيس العربية على غيرها من اللغات؛ لأن حفظ اللغة العربية لا يعني حفظ التاريخ والأدب فحسب، وإنما يعني حفظ الدين والقرآن الكريم والشريعة الإسلامية بل والشرائع السماوية السابقة.

وختاماً، فلنكن – معاشر اللغويين– على القدر الذي يُرجى، والجُهد الذي يُبذل، وإن نطقت أحرف العربية وأبانت، وتناغمت عباراتها وازدانت، فلن تكافئ شكرك (سلطان)، وإنما يُترك شكرُك ومكافأتك عند ربك، وكفى بالله شكورا.

هيئة التحرير



اللغة العربية والشّـارقـة



د. محمد صافي المستغانمي
الأمين العام لمجمع اللغة العربية بالشارقة

لِلُّغة العربية مع الشارقة قصّةٌ وأيُّ قصّة؟ لو كنتُ ناقدا لقلت: إنّها قصّةٌ من الأدب الرّوائي الوجدانيّ الواقعي المؤثّر. كلماتُها مُنتقاةٌ، ونسْجُها مُحكَمٌ، ونظمُها بديع، وأسلوبُها ساحرٌ فتّان. يقرأُها عاشقُ لغة الضّاد فيَهيمُ بها كلَفًا، ويُشرَبُ قلبُهُ حُبَّها شغفًا، ويقع أسيرا مُضْنىً بمحبوبتين: اللغة العربية والشارقة.

وإن كانت قلوبُ العاشقين لا تسَعُ أكثر من حبّ شخص واحد، فإنّ هذه المسلّمة تصدُقُ في عالم الصَّبابة والمودّة والعواطف في دنيا النّاس، ولكنّها تتعطّلُ حين يتعلَّقُ الشّأنُ بحبّ الثقافة، وعشق العربيّة. هذه اللغة التي اجتباها العليم الحكيم لتكون حاملةً لكلمة الله الموجّهة إلى العالمين: القرآن الكريم، وهذه المدينة الساحرةُ الفاتنةُ التي تجذبُ إليها النّفوس، ويقعُ في هواها كلُّ من زارها، ومَنْ دخلها كان آمنا.

تُرى لماذا العربيّةُ؟ وما قصّةُ الشارقة معها؟

تتميّزُ اللغة العربيّة بمزايا وخصائصَ كثيرة تغبِطُها عليها أخواتُها السّاميات فضلا عن سائر اللغات. ثريّةٌ خصبةٌ تُعطي عطاءاتها بكرم، وتُغدق على مُحبّيها بسخاء. أوسعُ اللغات قاموسا، وأوضحُها أصواتا، وأجملُها أنغاما، وأنصعُها إبانةً وتبيينا. أنساقُها التّعبيريّة تتجاذبُ وتتقاربُ، وتتناسقُ وتتعانقُ وتتوامقُ فترسمُ بإيقاعها ونغماتها ما لا يستطيعُهُ المُبدعون في عالم التّصوير، والموهوبون في الموسيقا العالمية كلاسيكيُوهم ومُحْدَثوهم. وإن شئتَ أن تتلذّذَ بشيء ممّا أقول – ولا إخالُك تخالفني الرّأي – فاقرأ سورة الرّحمن، وانظر إلى الأخاديد العميقة التي تحفرُها في نفسك كلماتُها وأنساقُها التّعبيريّة، وآياتُها الشّجيّةُ النّديّة، وحاوِلْ أن تَسْتَكْنِهَ شيئا من أسرار الإيقاع الصّوتي لفواصلها المبنيّة على الألف والنّون، وانظر وتدبّرْ – يا رعاك الله – فيما تُحدِثُه في وجدانك وضميرك: (الرّحمن، الإنسان، القرآن، أفنان، تجريان، فبأيّ آلاء ربكما تكذّبان...)، وكذلك الشّأنُ في كلّ نصوص القرآن الكريم في جزالة ألفاظها، وإحكام نَسْجها، وروعة تصويرها، وجمال نظمها، وقوّة أساليبها، وسُموّ معانيها، ونبل مضا مينها .

وإذا أردت مصداقَ قولي من كلام العرب كُتّابِهم وشعرائهم، فانظر في كلمات المتنبّي:

ونحنُ في جَذَلٍ والرّومُ في وَجَلٍ
والبَرُّ في شُغُلٍ والبَحرُ في خجل

وتأمّل في آثارها في وجدانك، وقل سبحان من سخّر للبشر هذه اللغة العصماء التي تُعرِبُ كلّ

كلمة فيها عن دلالتها وجمالها وروعتها وسحرها وأناقتها.

وإن شئت فانظر بعين العقل والمنطق الأدبي في قول المقنّع الكِندي وهو يتحدّثُ عن قومه:

يُعاتِبُني في الدَّيْنِ قَومي وَإِنّما
دُيونيَ في أَشياءَ تُكسِبُهُم حَمدا
وَإِنَّ الَّذي بَيني وَبَينَ بَني أَبي
وَبَيْنَ بَني عَمّي لَمُختَلِفُ جِدّا
فَإِن يَأكُلوا لَحمي وَفَرْتُ لحومَهُم
وَإِن يَهدِموا مَجدي بنيتُ لَهُم مَجدا
وَإِن ضَيّعوا غيْبي حَفظتُ غيوبَهُم
وَإِنْ هُمُ هَوَوا غَيّي هَوَيتُ لَهُم رُشْدا
وَإِن زَجَروا طَيراً بِنَحس تَمرُ بي
زَجَرتُ لَهُم طَيراً تَمُرُ بِهِم سَعْدا

صحيحٌ أنّ الأفكار والمعاني التي صاغها الكِنديّ في قصيدته تسمو وتتربّعُ على عرش القيم الإنسانيّة النبيلة التي تشرئبُّ إليها قلوبُ العقلاء وعقولُ الحكماء، ولكنّ الذي يُحبّبُ للقارئ هذه الأبيات أيضا، ويجعلها تدخلُ القلوب دون استئذان، وتأسرُ النفوس هو القالبُ اللغويّ الشّعريّ الأخّاذ الجميل الساحر الذي صيغت فيه. إنّ كلّ المعايير الفنّيّة تقفُ واجمةً مبهوتةً أمام روعة هذه الفصاحة، وقوّة هذا البيان.

هذه قطرةٌ من فيض العربيّة أُسديها للقارئ الكريم بين يدي هذه الافتتاحية تنويهًا بما في العربيّة من إمكانات وتقنيّات وخصائص وثراء وخصوبة وأناقة وجمال تجعلُها محبوبة لدى كل قارئ، ومطلوبة لدى كل ذي ذوق سليم في حقل اللغات والآداب.

قد يقول قائل: علِمنا هذا، فما علاقةُ هذا الحديث بالشّارقة؟ أقول: إذا كانت أعمارُ البشر تُقاسُ بالسّنين والأعوام؛ فإنّ أعمارَ الأمم والشعوب والمُدن والدّول تُقاسُ بالأعمال والمُنجَزات. وإذا فاضلنا بين منجزات الشعوب والحضارات التي توالت على كرّ الدّهور ومَرّ العصور في هذه المعمورة فإنّ البصماتِ الكبرى ذاتَ الإشعاع المستمرّ هي تلك التي تتعلّقُ ببناء الإنسان لا بتشييد العُمران. قد تبقى أطلالٌ ودِمَنٌ وقصورٌ شاهقات ومدائن شامخات عتيقات تدلّ على عظمة بُناتها ومُشيّديها، ولكن ليست شيئا مذكورا أمام التراث الفكريّ والعلميّ والأدبيّ الذي خلّفه المُبدعون والفلاسفةُ والأدباء والحكماء والعلماء في شتّى الفروع المعرفيّة.

إنّ الثقافة هي المِحكُّ الذي تُقاسُ به الأمم، وهي المضمارُ الذي تتسابقُ فيه الدّول، وكلّما استطاعت



أمّـةٌ أن تأخـذ بزمـام الأمـر فـي تهذيـب الأخـلاق وتزكيـة النفوس وصقـل المواهـب الأدبيّـة ودعـم الإنتـاج الفكـري الهـادف الصائـب، كان مقـدارُ تفوّقِهـا وسَـبْقها وتميّزهـا محـطّ القلـوب والأنظـار، ومَهْـوى الأفئـدة والأبصـار، وقـرّةَ أعيـن المُبصريـن، ومسـرّةً للنّاظريـن، وهـذا عيـنُ مـا فعلتـه الشـارقة المُشـرقةُ بنـور الثّقافـة، المُسـتبصرَةُ بسُـرُج المعـارف والفنـون فـي مضمـار الثقافـة العربيّـة والإسـلاميّة والعالميّـة. تعـالَ إلـى المؤسسـات العلميـة والأكاديميّـة فـي الشـارقة، وانظـر هـل تجـدُ لهـا فـي مدننـا العربيّـة شـبيها أو نظيـرا؟ سِـرْ فـي ربوعهـا وسَـلْ عـن المدارس والمعاهـد والجامعـات والمحافـل الثقافيّـة؟ اسـأل عـن دُور التاريـخ والمتاحـف فيهـا؟ اذهـب إلـى بيـوت الشـعر التـي يؤُمُّهـا الشـعراء ويـأوي إليهـا المبدعـون هـواةً ومحترفيـن مـن كلّ فـجّ عميـق؟ انظـر فـي مسـارحها وتأمّـلْ فـي حصونهـا وقلاعهـا. تجـوّلْ فـي مجالـس أحيائهـا وجمعيّـات ضواحيهـا. متّـعْ عينيـك فـي مَجْمَعَيْهـا النّيّريـن الأزهريـن النّاشـئين فـي خدمـة اللغـة العربيـة والقـرآن الكريـم، وقـل لـي بربّـك، هـل هـذا إلاّ خُلُـقُ الأوّليـن مـن الأمويّيـن والعبّاسـيين والأندلسـيين الذيـن عُنـوا بشـتّى العلـوم والفنـون، وهامـوا فـي حـبّ العربيّـة فـي كلّ واد إلـى أقصـى درجـات الوَلَـه والصّبابـة فجـادت قرائحُهـم بـكل شـعرٍ جميـل، وكل نَثْـرٍ رصيـن، وكلّ مُسـتَملَح ظريـف، وكلّ شـائق رائـق، وكلّ مُبـدِعٍ ممتـع.

بـل انظـر إلـى سِـجِلّ الجوائـز والتّشـريف فـي السـاحة الثقافيّـة العالميّـة، فقـد اختيـرت عاصمـةً للثقافـة العربيّـة، ومـرّة ثانيـة عاصمـة للثقافـة الإسـلاميّة، وثالثـة أخـرى عاصمـةً عالميّـةً للكتـاب، ولهـا فـي كل معرض عالمـيّ ومُلتقـى دولـيّ ثقافـي حضـورٌ بـارزٌ مميّـز، بـل إنّهـا تُدعـى ضيفـا شـرفيّا فـي القـارّات الخمس. يخطـب وُدّهـا المثقّفـون، ويرغـبُ فـي قُربهـا الأكاديميّـون، ويُلـحّ رعـاةُ المؤتمـرات والملتقيـات الكبرى علـى شـهودها ومشـاركاتها، وأصبحـت حاضـرةَ الثقافـة العربيّـة والإسـلاميّة فـي عصرنـا الحالـي، وارثـةً مجـدَ غرناطـة، وعـزّ قرطبـة، وقاطفـةً زهـورَ التألّـق الحضـاري والفكـري واللغـوي مـن نظيراتهـا مـن حواضـر العروبـة والإسـلام: دمشـق وبغـداد والقيـروان وتلمسـان وفـاس وبـلاد شـنقيط والقائمـة تطـول.

مـن المؤكّـد أنّ هـذا الحضـورَ الثقافـيّ المُكثّـف والمميّـز فـي الشّـارقة لـم يـأت مـن عـدم، ولـم يبـرزْ مـن فـراغ، وإنّمـا هـي رؤيـةٌ وقناعـةٌ وشَـغَفٌ وهِمّـةٌ وتوفيـقٌ.

رؤيـةٌ مُسـتنيرةُ ثاقبـةٌ مُسّـتَبْصرةٌ، مُسـفرةٌ ضاحكـةٌ مستبشـرة لـدى حاكمهـا، وسـليل دوحـة مجدهـا، الشّـيخ الدكتـور سـلطان بـن محمـد القاسـمي الـذي فطـره الله العليـم الحكيـم علـى حـبّ العربيّـة والعلـم والثّقافـة، فجـاء نسـيجَ وحـده وفريـدَ عصـره اهتمامـا بالعلـم، وحرصـا علـى اللغـة العربيّـة وذَوْدا عـن عريـن الإسـلام. إنّ الحاكـم العـادل المُقسـط يبـارك الله لـه فـي العمـر، وتُثمـرُ أياديـه فـي إسـعاد رعيّتـه، فمـا بالُـكُ إذا كان عـادلا ومُقسـطا وثَقِفـا مثقّفـا وباحثـا عالمـا عاشـقا للغـة قومـه؛ ومـاذا إذا كان حبّـهُ لا يقـف عنـدَ أسـوار الإمـارات بـل يتجـاوز ذلـك إلـى كل بـلاد العـرب والمسـلمين. إنّ ذلـك يجعـلُ أعمالـه تُـؤتـي ثمراتهـا أضعافـا مضاعفـة بـإذن الله المنعـم الوهّـاب.

قلت: ووراء هـذه البصمـة الحضاريّـة الثقافيّـة قناعـةٌ راسـخة، وشـغفٌ مُتَجـذّر، وكلّ عمـل لا يقـوم علـى أرض صلبـة مـن القناعـة والشّـغف فإنّـه سـرعان مـا تتبعثـر ثمراتُـه، وتتهـاوى أوراقُـه فـي خريـف الاسـتعراض والبهرجـة. وإنّ المنجـزات الثقافيّـة الكبـرى التـي يكتـب الله لهـا القبـول، وتُسـهِم فـي بنـاء العقـول، وتثمـرُ أشـجارُها أنواعـا مـن الثمـر اليانـع، وأصنافـا مـن الجنـى اللذيـذ لا بـدّ أن تصـدر عـن أنـاس يؤمنـون بالثقافـة والعلـم، ويُكرّسـون أعمارَهـم فـي خدمـة العلـوم والفنـون والآداب، وبنـاء ثقافـات النّشء وصقـل المواهـب، والشّـارقةُ برؤيـة صاحبهـا مـن هـذا الطّـراز الفريـد. بينهـا وبيـن الثقافـة نسـبٌ: وشـائجُ قويّـة، وأواصـرُ فولاذيّـة، تنـمّ عـن القُربـى والتّلاحـم. مـا تـراه فيهـا مـن مسـارح الثقافـة ودُور التاريـخ، وصـروح العربيّـة تمثيـلٌ حقيقـيٌّ لرؤيـة ثاقبـة، ونتيجـة طبيعيّـة لاختيـار وقـرار.

كثيـرا مـا يكـون الاختيـارُ صحيحـا، ولكـنْ لا يطفـو الاختيـارُ فـوق المـكان مـا لـم يَدْعَمْـهُ قـرارٌ، ولا تـرى

المشاريعُ الثقافيّة والتربويّة النّورَ ما لم يعضُدْها فكرٌ مستبصرٌ وسلطانٌ مستنير، وهذا من توفيق الله تعالى المنعم الوهّاب حيث جمع للشارقة: سلطانَ علم وسلطانَ حُكْم، وأَخْلِقْ بسُلطانَيْن أن تكون منجزاتُهما مثمرة يانعة، مباركة طيّبة.

هذا، وإنّ الهِمم المتوثّبة والنّفوسَ الكبيرة لا تَكِلّ ولا تمَلّ، ولا تضعف ولا تستكين، بل تمضي في عزم وحيويّة واستمرار في تفتيق أكمام الإبداع، وتمهيد سُبُل التألّق أمام الأجيال إدراكا بسموّ المسؤوليّة وثِقل الأمانة، وهذا لعمري دأبُ المبدعين النّاجحين، ودَيْدَنُ القادة المُوَفّقين، يمشون وأرجلُهم في الثّرى وهاماتُ هِمَمِهم فوق الثّريّا.

ومِسكُ العوامل التي أدّت إلى النّهضة الثقافيّة المشهودة في شارقة العلم والعِرفان، بالاستضافة إلى الرّؤية والقناعة والهمّة العالية، هو توفيقُ الله العليّ العظيم للشارقة وحاكمها، والقبول الذي يحظيان به في القلوب، والتّيسير الذي تشهده مشاريعُ العلوم والثقافة والفنون لديهما، وفيهما ينطبقُ قول الشاعر:

إذا صحّ عَونُ الخالقِ المرءَ لم يجدْ
عسيرًا من الآمال إلا مُيَسّرا

هذه نبذةٌ وجيزةٌ وإطلالةٌ سريعةٌ على رواية اللغة العربيّة والشّارقة. إنّها قصّةُ شغفٍ وغرام متبادل تعود نشأتها إلى أكثر من أربعة عقود من الجدّ والاجتهاد في ظل حكم رشيد قائم على الرّحمة والمودّة والحلم خطّتها يدُ حكيم مُحبٍّ للثقافة شغوفٍ بها، وقد سارَ الرُكبان بذكر الثقافة وسلطان حتى أصبح اسمُه مرادفا للثقافة يُذكَرُ بذكرها وتُذكَرُ بذكره، وهذه شهادة القاصي والدّاني والغادي والبادي وكلّ مَنْ زار الشارقة أو اطّلع على دورها الحضاري، ولا يفوتني في هذه الأسطر أن أتوجّه بالشكر الجزيل والثناء الجميل لكوكبة علماء العربيّة الذين استَكْتَبْتُهم فأجابوا شاكرين، وجادت قرائحهم بكل مُعجب مُطرب، والشكرُ موصول لقرّائنا الأعزّاء الذين نضعُ بين أيديهم مجلّة (العربيّة لساني) في عددها الأوّل، ونبشّرهم بأنّ هذه المجلة اللغوية الأدبيّة هي القطرات الأولى التي سيُواليها، بتوفيق الله تعالى، الطّلُّ النافعُ والغيثُ الهطول.



اللغـة العـربيّـة والعمل العربيّ المشترك



أ.د. عبد السّلام المسدّي مدير الجامعة التونسية سابقاً ووزير التعليم سابقاً

لن يندم العربُ على شيء كما قد يَندمون يوما على أنهم لم يلبّوا نداء لغتهم وهي تستجيرُ بهم منذ عقود أنْ أَدْركوني، هتفتْ بهم همسًا منذ أيام الاستعمار ثم صاحت عند انقشاع غمّته، وها هي لا تبرح تشكو وتستغيث. أمران جاءا يكثّفان الوعي بمأزق اللغة العربية، ويدفعان إلى إرسال صيحات الفزع: ظاهرة العولمة الثقافيّة وظاهرة التهمة الجاهزة التي أشاعت أن اللغة العربيّة تحْملُ في كيانها بذورَ العنف وَمَنابت البغضاء. ها هي اللغة العربية ينحسر فضاؤها يوما فيوما وإذا الذي تتركه من فراغ يهبط هديّة سخيّة إما تتلقفها اللغة الأجنبيّة أو تتلقفها اللهجة العامّيّة، وقد تتعاونان على تقاسمه. إنّه لا غنى للعربية عن أبنائها ولا غنى للعرب عن لغتهم، قد يَصْدق الأمر على كل الألسنة البشرية ولكنه على لغة الضاد وعلى أهلها أصْدقُ إذ في العربية مَآلُ أهلها وعلى مَآل العرب مَآلُ لغتهم.



إننـا علـى يقيـن قـاطـع أن واقعنـا الرّاهـن إذا تواصل استخفافُ العرب بالمعضلة اللغويّة ولم يحسموا أمرهم في رسم استراتيجيّة مُلزمة تقوم على سَنّ سياسة جريئة سيُفرز حالةً من التداول تفرض نفسها فرضًا بمنطق ضرورة الواقع، فتنبثقُ مشاهدُ تعبيريّة تتمازج فيها بقايا الفصحى وشظايا اللغة الأجنبيّة وتأليفات عاميّة تتأرجح بين الخصوصيّة المحليّة والحدّ المشترك الأدنى من تقاطع اللهجات الدّارجة. لن يفلح العرب إذن في كسب رهان التاريخ لا بواسطة اللغة الأجنبيّة ولا بوسائط لهجاتهم العاميّة، فاللغة ليست وعاءً ولا اللغات أوعية، إن اللغة هي الفكرُ إذ يُفكّر وإنها العقلُ إذ يَعْقل. فمَن الذي بوسعه أن يقول لنا ماذا سيفعل العرب بالثورة الرّقميّة وبفضائها الافتراضيّ وبكل منظوماتها الحاسوبيّة إذا تخلّوا عن لغتهم الفصحى وراحوا يتحسّسون التقنيّة العاليَة بواسطة اللغة الأجنبيّة أو بواسطة لَهَجَاتهم. وإذا خطر لك أن تبحث عن موضوع من مواضيع الجدل والمخاصمة أو عن قضيّة هي من أشدّ القضايا احتدادا وأقواها تأليبا واحتشادا فاعلم أنه موضوع اللغة العربية في مدى صلاحها أو بقائها أو امتلاكها لأسباب المناعة التي تقيها ذهابَ الرّسْم وشبحَ الاندثار. وهذا يعني أن للغة العربية عند أهلها ما للغات الأخرى عند أهاليها وأكثرَ؛ لأن حماية اللغة في تاريخنا لم يكن يقلّ شأنا عن حماية الأرض وعن حماية الذات الجماعيّة حتى أوشكت اللغة أن تتماهَى والهُويّة. فما كان يُتصوّر للعروبة ولا للقوميّة ولا حتى للإسلام مفهومٌ خارجَ حصون اللغة.

إن المشهد العربيّ العام يحملنا على الاقتناع بأن وعيا لغويا جديدا ينبثق وتتسارع تجلياته فيوحي بأننا في حضرة مَعالمَ واعدة. كان الموعد التئامَ القمة العربية في الرياض (٢٨ – ٢٩ مارس ٢٠٠٧) إذ تم الإعلان عن إدراج موضوع اللغة العربية ضمن أمّهات القضايا التي تخصّ العمل العربيّ المشترك، وعاد الملوك والرؤساء العرب إلى الموضوع بمناسبة قمّتهم الموالية في دمشق (٢٩ – ٣٠ مارس ٢٠٠٨) ليصادقوا على مشروع (النهوض باللغة العربية للتوجه نحو مجتمع المعرفة). ولما حان موعد القمّة التالية في الدوحة (٣٠ – ٣١ مارس ٢٠٠٩) تمت إحالة الموضوع إلى المنظمة العربيّة للتربية والثقافة والعلوم. لقد خرج الملوك والرؤساء العرب في قمتهم بالرياض عن صمتهم، فتحدّثوا عن لغتهم حديثا يرقى إلى مرتبة الخيارات الجوهرية. فأكّدوا (استلهامَهم للقيم الدّينيّة والعربيّة التي تنبذ كل أشكال الغلوّ والتطرّف والعنصريّة، وحرْصَهم على تعزيز الهُويّة العربيّة وترسيخ مقوّماتها الحضاريّة والثقافيّة ومواصلة



رسالتها الإنسانيّة المنفتحة في ظل ما تواجه الأمّة من تحدّيات ومخاطرَ تهدّد بإعادة رسم الأوضاع في المنطقة، وتمييع الهُويّة العربيّة، وتقويض الرّوابط التي تجمعنا).

للمنظمة تاريخ طويل، وفيها من المشاريع ما له عُمرٌ مديد، وما هي إلا صورة من المؤسّسة الأمّ، جامعة الدول العربية، وكلتاهما انعكاس مرآويّ أمين لصورة العرب قاطبة من خلال أحوالهم المتقلبة بحسب حالهم السياسية من فترة إلى أخرى. فكيف جاءت المنظمة إلى القضية اللغوية رغم أنها لا تدخل ضمن اختصاصاتها. وفي يوم من الأيّام أعدّت (الخطة الشاملة للثقافة العربية) التي أقرّها مؤتمر وزراء الثقافة العرب (٢٦ – ٢٨ نوفمبر ١٩٨٥) وقد طافت بكلّ أركان البيت الفكريّ المشترك وأنجزت أشراط طوافها: في الشأن التربويّ وفي الهمّ الثقافيّ وفي الهاجس العلميّ. وكذلك في مُعضلات العصر وأمهات قضاياه، ولم تغفل عن تحدّيات الثورة التقنيّة المتجدّدة، ولكنّ الأهمّ من ذلك كله أنها لم تستطع إغفال أمر اللغة، فإذا بها تتناول القضيّة اللغويّة بامتلاء عميق فقد حملت الخطة بين مظانها مصادرة على الإنسان ومراهنة على المستقبل، فإذا باستراتيجيّة الثقافة هي في جزئها الأكبر استراتيجيّة للمعرفة وللغة التي بها المعرفة. تنطلق الخطة من التذكير ببيان عمان الثقافي الذي تمّ في المؤتمر الأول للوزراء المسؤولين عن الثقافة (٢٠ – ٢٣ ديسمبر ١٩٧٦) ومما جاء فيه وجوب العمل على تعميم استعمال اللغة العربية في التعليم ووسائل الإعلام والثقافة باعتبار أن اللغة القومية هي أهمّ دعامة للوحدة، والوعاءُ الصحيح للثقافة الأصيلة للأمّة.

ولا تنفكّ الخطة تفيض في أن الثقافة العربية تظل واحدة من أعرق الثقافات الإنسانيّة وأكثرها غنى في العطاء المعرفيّ، وتكاد الثقافة العربية تنفرد بين الثقافات الإنسانية المعاصرة باستمرارها الموصول عبر القرون عن طريق أداتها التعبيريّة: اللغة العربيّة. وقد حملت الثقافة العربيّة، وأداتها اللغة العربيّة، رسالة الوحدة بين العرب وغير العرب عضويّا ووظيفيّا وأصبحتا أقوى عناصر المواجهة للتجزئة والتخلف الاجتماعي والتسلط الأجنبيّ. ولم يَفت الذين سهروا على إعداد الخطة وعلى إحكام صياغتها أن يثيروا المسألة اللغوية حين تناولوا الثقافة من حيث هي مستودعُ الهُويّة والأصالة فقالوا إن هذه الثقافة العربية ذات وسيلة تعبيرٍ ندَرَ أن تماثلها وسيلة منذ تكاملت أدواتها وأسُسُها قبل الإسلام، تبرهن على قدرة فائقة في التطوّر والنموّ واستيعاب المبدعات الإنسانيّة والمستحدثات في مجالات العلم والتقنيّات والفنون والأدب.

لقد أحسن المخططون لاستراتيجية الثقافة العربية في مجال العمل العربي المشترك صنعًا عندما عكفوا على أهمية اللغة العربية وقرّروا أن امتلاك السّيادة الثقافيّة داخليًا وخارجيًا يتوقفُ في الأساس على سيادة اللغة العربيّة في وطنها وبين أبنائها أولا. وقد جاؤوا إلى ذلك بعد تحليل مُسهب لمنطلقات العناية باللغة القوميّة، وبيان مدى أهمّيّتها في تشكيل الإنسان العربيّ، ثم في رسم معالم مشروعه الثقافيّ والحضاريّ في نفس الوقت، وقد صاغوا خطابا ثقافيا هو من أنضج ما يحتفي به العلم وتحتفل به المعرفة الحديثة فرسموا فيه خطوطا واضحة المعالم جاءت في ثوب مبادئ عامة، فاللغة القوميّة ليست مجرد وسيلة تعبير وتفاهم بين إنسان وآخر، إنها بحكم منطقها الداخلي، وتاريخيّتها، وبُناها، وتراكيبها، رابطة اجتماعية فكرية من الدرجة الأولى. واللغة من جهة أخرى تمثل ذاكرة الأمة، تختزن فيها تراثها، ومفاهيمها، وقيمها، فهي أداءُ التواصل بين الماضي والحاضر، وتمثل الذاكرة الحضارية وقوام الشخصية ومناط الأصالة.

لقد اتفق العرب جميعا في خطتهم الشاملة للثقافة على أن التفريط في اللسان القوميّ تفريط في الهُويّة وكسرٌ لهيكل تماسك المجتمع ووحدته واتفقوا أيضًا منذئذ على أنّ وسائل الإعلام مع الإنتاج الفني كثيرًا ما تدعم اللهجة العامّيّة على حساب اللغة العربية الفصيحة، كما لاحظوا منذ ذاك التاريخ أن القوى الأجنبية تشجّعُ العامّيّة دراسة ودعمًا وتؤكد صعوبة العربيّة السليمة. وثمة دعوات تدعو لترك اللغة الفصيحة وكتابتها وللتعليم بالعامّيّة وهي دعوات مشبوهة لا يراد بها وجه العلم ولا خير العروبة.

ننظر اليوم إلى حال اللغة العربية في واقعنا الحي المعيش فنجد أنفسنا على مسافات رهيبة مما صاغته الخطة الشاملة منذ ١٩٨٥، وما ارتأته، وما أوصت به. تركنا حبل اللغة على غارب الاستعمال في عجز مفضوح من لدن المؤسسات الرّسميّة، فغاب عنا ما تعرفه المجتمعات الأخرى ممّا يُسمّى بالتخطيط اللغويّ،

> لن يندم العربُ على شيء كما قد يَندمون يوما على أنهم لم يلبّوا نداء لغتهم وهي تستجيرُ بهم

وهو مرتبط بما يسمّى أيضًا بالتشريع اللغوي على معنى سن القوانين المتصلة باستعمال اللغة، ولكن شيئا من كل ذلك لا يمكن تصوّره إلا في نطاق ما هو معروف في كثير من المجتمعات بالسّياسة اللغويّة. والسّياسة اللغوية عند أهل الدراية المختصين ليست مجرد سياسة للتعريب كما يتوهّم الكثيرون.

مع أواسط القرن العشرين، عندما كانت كثير من أقطارنا العربية تجني ثمرات نضالها لتتحرّر من نير الاستعمار، انطلقت آمال شعوبنا تحلق عاليًا بأجنحة الحلم التوّاق. كانت حركة التمدّن تبشّر بمستقبل واعد بالخروج من التخلف الحضاري، وكانت سفينة الإبحار تحمل راية الخروج من الأمّيّة، وكانت كل الآمال معقودة على السلم اللغوي ترتقي درجاته درجة درجة. ولم يكن أحد يضع في الميزان حتمية الاقتران بين النهوض بالشعوب العربيّة ثقافيًا والنهوض بها لغويًا. اليومَ أصبح انتشار مظاهر التمدّن الجديد مع مختلف أطياف الجيل الجديد قائمًا على المعادلة التالية: كلما زاد التمتع بوسائل الرفاه التي توفرها التكنولوجيا المعاصرة كبُرَ حجمُ التلوث اللغويّ المحيط بنا في التداول والمحاورة، وفي الإبلاغ والتواصل، وفي البث والتوجيه. ليلا ونهارًا نحن مغمورون وسط محيط عارم من التلوث اللغوي: نسمع، نصغي، نجيب، نتنفس، نشاهد، نطلب، نأمر، ننهَى، نقبل، نرفض، نشرب، نأكل، نبتاع، ننفق... ليس بوسعك أن تنجز أي فعل من تلك الأفعال دون أن تحسّ بتلوّث لغويّ يناوشك رذاذه.

الأسلُوبُ الحَكِيمُ في البَيَان القُرآنِي



أ.د. بن عيسى بطاهر
أستاذ البلاغة العربية
جامعة الشارقة

إنّ التنويع في طرق العرض في القرآن الكريم منهجٌ متبع مقصود له أهداف يرمي إليها، تتمثّل بالدرجة الأولى في حمل المخاطب على الاقتناع بعقيدة التوحيد، والوصول إلى الهداية الحقّة بالأدلة الواضحة والبراهين المقنعة، وكثيرًا ما يشير البيان القرآني إلى هذا التنويع بعبارة (تصريف القول) كما في قوله تعالى: { وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا (٥٤)} (الكهف:٥٤)، والمقصود بذلك أنّه نوّع حديثه للسامعين تنويعًا يمزج بين إيقاظ العقل والضمير معًا، وهذا هو تصريف الأمثال للنّاس، ويعدّ الأسلوب الحكيم أحد الأساليب التي وظّفها البيان القرآني في خطابه للنّاس، فما هو الأسلوب الحكيم؟ وما أهدافه؟ وأمثلته؟

١. مفهوم الأسلوب الحكيم:

الأسلُوبُ الحَكِيمُ هو: (تلقّي المخاطَب بغير ما يترقّبُ، بحمل كلامه على خلاف مراده، تنبيهًا على أنه الأوْلَى بالقصد) (١)؛ فهو أسلوب مبني على التلطُّف في الخطاب، والحكمة في الردِّ على السّائل، وحسن التعامل مع الموقف من أجل الوصول إلى الإقناع والتأثير بأسلوب غير مباشر، وقد سمّاه عبد القاهر الجرجاني (المغالطة) (٢)، ومعنى تلقي المخاطب بغير ما يترقّب: حمل كلامه على خلاف قصده، وإجابته عن شيء آخر تنبيهًا له على أنّه هو الأولى بالقصد، وذكر السّكاكيّ أنّ لهذا الأسلوب أهمية كبيرة في إقناع المخاطب والتأثير فيه (٣).

أهداف الأسلوب الحكيم:

للأسلوب الحكيم أثرٌ في البلاغة العربية، وقد كانت العرب تستعمله لأغراضٍ مختلفةٍ: كالتظَرُّفِ، والتخلُّصِ من إحراج السّائل، والتهكُّم، والتنبيه على المهمِّ، وغيرها (٤)، وقد نبّه السّكاكيّ على أنّ هدفه تنشيط المتلقّي وحفزه للسّماع، قال: (إنّ هذا الأسلوبَ الحكيم لربّما صادفَ المقامَ فحرّكَ من نشاطِ السّامع) (٥)، والمتأمِّلُ في استعمالات هذا الأسلوب يدرك أنّه أسلوبٌ طريفٌ تقتضيه مقامات الجدال والحوار، وهو مناسبٌ في شدِّ انتباه الأذهان إلى الكلام، وإقناع السّائل بالجواب الذكيِّ، وفتح منافذ الإدراك أمامه للتأمّل فيما سيق أمامه من إجابات واضحة.

٢. أنواع الأسلوب الحكيم:

الأسلوب الحكيم نوعان:

الأول: أن يفهمَ المتكلّمُ كلامَ المخاطَب، ولكنّه ينصرفُ عنه متجاهلاً له، ويجيبه عن أمرٍ آخر لم يسأله.

ومثال ذلك: سُئِلَ شيخٌ: كم سِنُّكَ؟ فأجاب قائلا: إنّي أنعمُ بالعافية؛ فقد ترك الإجابة عن السؤال، وأجاب عن سؤال لم يسأله السّائل، وكأنّه ينبّهه على أنّ السؤال عن الصحّة أولى من السؤال عن السنّ.

الثاني: أن يحملَ المتكلّمُ كلامَ المخاطَب على غير المعنى المُراد؛ أي: يصرفه إلى غير ما قصد صاحبه، فيجيبه بجوابٍ لم يكن يتوقعه، كلّ ذلك من أجل تنبيهِهِ على أنّه أولى بالعناية والقصد، ومن أمثلة ذلك أنّ رجلا سأل بلالاً رضي الله عنه، وقد أقبل من حلبةِ السِّباق: منْ سبق؟ فقال: سَبَقَ المقرّبُون. قال الرجل: أنا أسألُك عن الخيل. قال: وأنا أجيبكَ عن الخير، فمن الواضح أنّ بلالاً رضي الله عنه تجاهَلَ سؤال سائله، وفاجأه بجوابٍ لم يكن يتوقعه، من أجل تنبيهه على أنه الأولى بالسؤال؛ فالسِّباق إلى الخير أفضلُ من السِّباقِ على الخيل.

٣. أمثلة الأسلوب الحكيم:

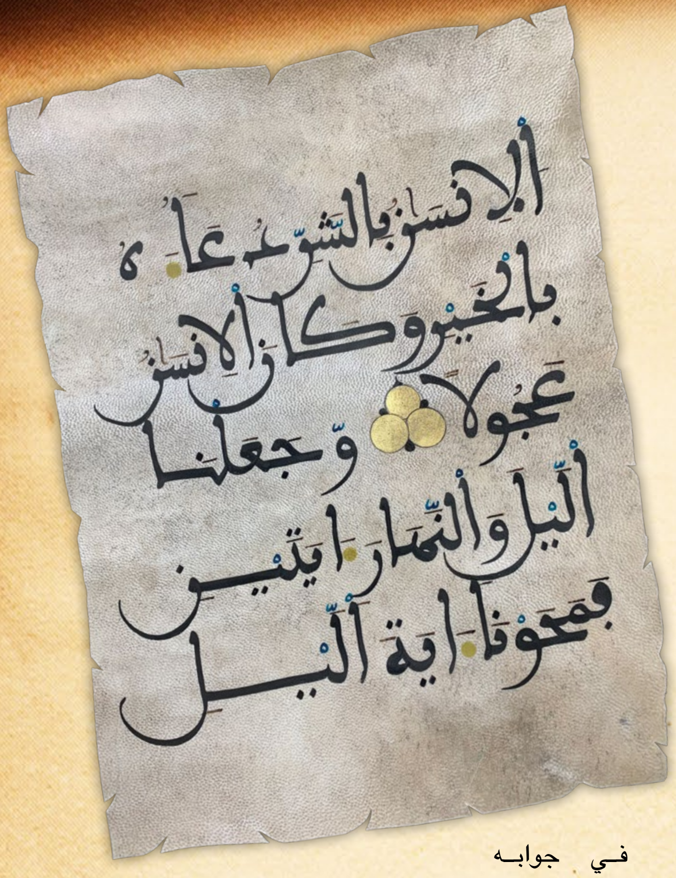
ومن أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى:

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلا (٨٥)﴾ (الإسراء:٨٥).

فقد سأل اليهود رسول الله صلّى الله عليه وسلم عن حقيقة الروح التي بها قوام الجسد، وكيف تدخل الأجسام ولماذا تخرج منها؟، فردّ عليهم القرآن الكريم بالأسلوب الحكيم، بأنّ الروح من أمر الله تعالى وعلمه اللامحدود، ونبّههم إلى محدودية علمهم في هذه المسألة، وأنّ السؤال عمّا يفيدهم في دنياهم وآخرتهم هو الأهمّ.

وقال تعالى أيضًا: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (١٠٥) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (١٠٦) لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا (١٠٧)﴾ (طه:١٠٥-١٠٧).

فقد سأل بعض الكفار عن خلق الجبال وعظمتها، فنبّههم القرآن



في جوابه بالأسلوب الحكيم إلى أنّ مصير هذه الجبال العظيمة سيكون النسف والزوال، وذلك للإشارة إلى ما سيحدث لها يوم القيامة، فأشار الخطاب القرآني بهذا الجواب إلى تصحيح اعتقادهم الخاص باستحالة انتهاء العالم، ودليلهم في ذلك هذه الجبال التي يعتقدون أنّها غير زائلة، فأتى بالدليل الواضح الذي يؤكّد أن هذه الجبال الشاهقة سينسفها الله تعالى نسفاً، فيتركها (قاعًا صفصفًا) أي ملساء مستوية لا نبات فيها ولا بناء.

وقال تعالى أيضًا: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ (البقرة:١٨٩).

فقد سأل الصّحابة – رضي الله عنهم – الرسول صلى الله عليه وسلم عن الأهلّة، لِمَ تبدُو صغيرة، ثمّ تزداد حتى تكتمل بدورًا، ثمّ تتضاءل حتى تأفل؟، وهذه مسألة فلكية، فصرفهم الله تعالى بالأسلوب الحكيم عن هذا السؤال، وبيّن أنّ الأهلّةَ وسائل لمعرفة أوقاتِ المعاملات والعبادات، تنبيهًا لهم على أنّ هذا الأمر هو الأولى بالسؤال.

وقال تعالى أيضًا: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم

مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ (البقرة:٢١٥).

فقد سأل الصّحابة (رضي الله عنهم) الرسولَ عن الشيء الذي ينفقونه في سبيل الله، فأجابهم الخطاب القرآني عن الذين ينبغي أن تُوجّه إليهم النفقة، إشارةً إلى أنّه كان ينبغي أن يسألوا عن الذين هم أهلٌ للإنفاق.

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (٧٧) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (يس: ٧٧-٧٩).

والاستدلال في هذه الآيات مبنيٌّ على قياس الإعادة على الابتداء؛ وقد روي أنّ أحد كفار قريش جاء في يده عظم إنسان رميم، ففتّه وذراه في الريح، وقال: يا محمّد، أتزعم أنّ الله يحيي هذا بعد ما أرم؟، أي بَلِيَ، فقال له النّبي: نعمْ، يميتك الله، ثمّ يحييك، ثمّ يدخلك جهنّم (٦).

وجاءت عبارة (قُلْ يُحْيِيها الّذي أَنْشَأَها أَوّلَ مَرّةٍ) على طريقة الأسلوب الحكيم، بحمل استفهام القائل على خلاف مراده؛ لأنّه لمّا قال: (مَنْ يُحيي العِظامَ وَهِيَ رَمِيم) لم يكن قاصدًا تطلّب تعيين المُحْيِي، وإنّما أراد الاستحالة، فأُجيبَ جوابًا لم يكن يترقّبه، فأثبت القدرة على الإحياء للخالق، فقيل له (قُلْ يُحْيِيها الّذي أَنْشَأَها أَوّلَ مَرّةٍ) (٧).

ومن أمثلة الأسلوب الحكيم في الحديث النبوي الشريف قوله صلى الله عليه وسلم لمن سأله: متى الساعة؟: وماذا أعددْتَ لها؟ (٨).

فقد انصرف عن سؤال السّائل، وأجابه عن شيءٍ آخر أكثر أهمّية؛ لأنّ السؤال عن وقت السّاعة فضولٌ، وأمّا إعدادُ النّفس وشغلها بما ينفع فهو الأمر الذي ينبغي أن يسأل عنه.

ومن أمثلته في الشعر قول الشاعر:

أَتَتْ تشتَكِي عندي مزاولةَ القِرَى
وقد رأتِ الضِيفانَ يَنْحونَ منزلي

فقلتُ كأنّي ما سمعتُ كلامها
هُمُ الضيفُ جِدّي في قِراهم وعَجّلي

فقد جاءته زوجته تشتكي إليه كثرة ضيوفه، وتعبها في إعداد الطعام لهم، وبدل أن يجيبها عن سؤالها انصرف بالأسلوب الحكيم إلى حثّها على الجِدّ والعمل؛ إذ هو الأمر المهمّ عنده، فهو رجلٌ كريمٌ لا يمكنه غلق أبوابه أمام الضيوف.





جوامع الكَلِم من خصائص رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم

الدكتور خالد حسين الخالد
أستاذ الفقه الإسلامي وأصوله بكلية المدينة الجامعية بعجمان

الحمد لله العليم الحكيم، والصلاة والسلام على الرسول الكريم، محمد صلى الله عليه وسلم، الذي آتاه ربُّه عزّ وجلّ جوامعَ الكلم. أما بعد، فقد خشيت أن يفوتني ركب المشاركة في العدد الأول من مجلة (العربية لساني)، فسارعت إلى كتابة هذه المقالة القصيرة، في موضوع خاصٍّ بالبيان العربي وعظيم في المكانة؛ لأنه في حق أفصح العرب وأبلغ البلغاء، الرسول العربي الأميّ، صلى الله عليه وسلم.
فما معنى جوامع الكلم؟ وما دليل اختصاصها به صلى عليه وسلم؟ وما أمثلتها وشواهدها؟ هذا ما سيجيب عنه هذا المقال المقتضب، الذي أرجو فيه التوفيق لإبراز الكمال البشري في البيان العربي، من حيثُ دقةُ التعبير وجمالُ التصوير.

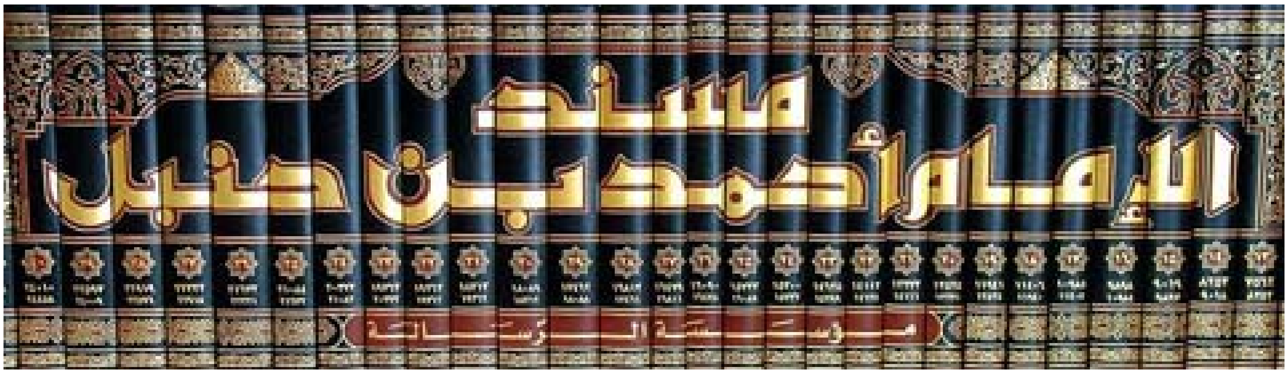
أما المراد بجوامع الكلم، فهو الكلام الجامع، الذي تقلّ ألفاظه ومبانيه، وتكثر فوائده ومعانيه.

وجوامع الكلام مما فضّل اللهُ به نبيَّنا محمداً صلى الله عليه وسلم على سائر الأنبياء، كما جاء في الحديث الصحيح الذي أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، وهو قوله عليه الصلاة والسلام: «فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ». وقوله صلى الله عليه وسلم: «أُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا» [أخرجه أحمد في مسنده].

ومعنى «أعطيتُ جوامع الكلم» أَيْ: قُوَّةَ إِيجَازٍ فِي اللَّفْظِ مَعَ بَسْطٍ فِي الْمَعْنَى، فَأُبَيِّنُ بِالْكَلِمَاتِ الْيَسِيرَةِ الْمَعَانِيَ الْكَثِيرَةَ.

وقد اختلف شُرّاح الحديث في المراد به، فقال بعضهم: المراد بجوامع الكلام هو القرآن الكريم، وقال آخرون: هو حديثه صلى الله عليه وسلم، وفِعْلُ (أُعطيتُ) أو (أُوتيت) محتمل للأمرين، ولكني أرجّح أن المراد هو كلامه صلى الله عليه وسلم؛ لأن القرآن كلام الله تعالى، وهو معجز، وهو بلا شك فوق كلام البشر، وأنه أجمع جوامع الكلام، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم يتحدث عما خصه الله به.

وهناك أحاديث أخرى أقرب إلى التصريح بأن المقصود



حديثه عليه السلام، ومن ذلك: ما رواه عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَاخْتُصِرَ لِيَ الْحَدِيثُ اخْتِصَارًا»[أخرجه البيهقيّ، وأخرج الدارَقُطْنَيّ مثله عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما].

ولا مانع أن يكون المراد القرآن الكريم والحديث النبوي معاً؛ لأن كليهما وحيٌ من الله تعالى، فالأول بلفظه ومعناه، والثاني بمعناه، والله أعلم.

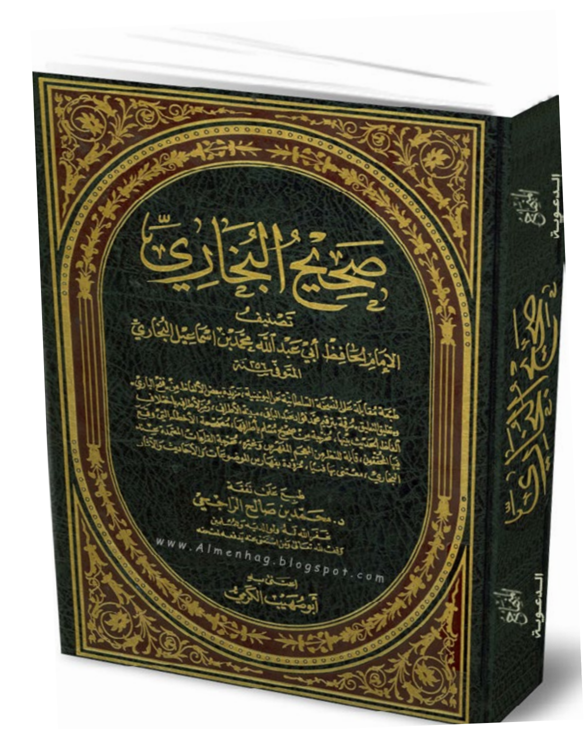
هذا، وقد حصر بعض علمائنا القدامى، كالخطابي رحمه الله، جوامعَ كلمه صلى الله عليه وسلم بطائفة محدودة من أحاديثه، وهي الموجزة جداً، التي تشتمل على كلمات قليلة، وتتضمن أهم أحكام الدين وقواعده، كما في أمثلتها الآتية، ثم جاء بعده من زاد فيها، كالنووي وابن رجب، رحمهما الله.

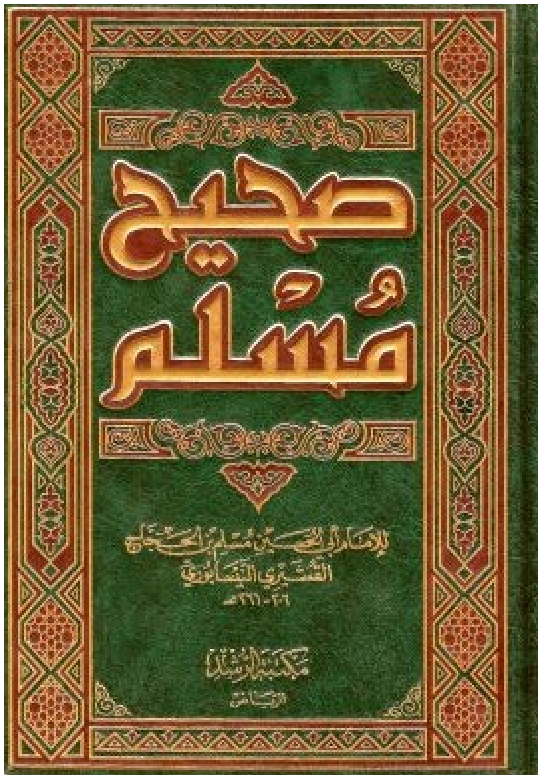
ولكنني أرجّح أنّ عدداً كبيراً من الأحاديث النبوية هو من جوامع الكلم؛ لأننا لو أخذنا بالرأي الحاصر، لم يكن لحديث النبي صلى الله عليه وسلم خصوصية الجوامع، حيث إننا نجد لكثير من الحكماء أو البلغاء عبارات مختصرة كثيرة المعاني، كالحِكم المشهورة التي يتداولها الناس، ونحوها. ولكن هذه العبارات البليغة الحكيمة عند هؤلاء قليلة العدد بالنسبة لمجمل كلامهم بنحو عام. أما حديثه صلى الله عليه وسلم، فهو بليغ حكيم أبداً، حتى لو كان مؤلفاً من عدة جمل أو عدة أسطر كما في الأحاديث التي يضرب فيها الرسول صلى عليه وسلم أمثالاً حسية لتقريب المعاني إلى الأفهام، وسأذكر بعض شواهدها، وربما لا يخرج عنها إلا الأحاديث التي ذكر فيها الأحداث والفتن التي ستحدث إلى قيام الساعة، أو التي بيّن فيها مقادير الدِّيات وأنصبةَ الزكوات، ونحوها.

أما أمثلة جوامع الكلم المختصرة، التي لا تتجاوز عدداً قليلاً من الكلمات، فيتكون من جملة أو جملتين أو ثلاث، وينطبق عليها وصف جوامع الكلم، فكثيرة جداً، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: «إنّما الأعمالُ بالنيّاتِ، وإنّما لكلِّ امرئٍ ما نوى»، وقوله: «مِنْ حُسْنِ إسلامِ المَرْءِ تركُهُ ما لا يَعْنيهِ»، وقوله: «دعْ ما يَريبُكَ إلى ما لا يَريبك»، وقوله: «الدِّينُ النَّصيحةُ»، وقوله: «لا ضَرَرَ ولا ضِرارَ»، وقوله: «البيِّنةُ على المُدَّعي واليمينُ على المُدَّعَى عليهِ»، وقوله: «الخَراجُ بالضَّمان»، وأمثالها.

بل إنّ كثيراً من هذه الأحاديث الجوامع قد صار قواعدَ فقهية وقضائية يندرج تحتها آلاف من المسائل الجزئية، وتحتاج إلى كتب لشرحها.

وأما شواهد القسم الثاني من جوامع كلامه صلى الله عليه وسلم، وهو ما كثرت جمله، ولكنه ليس طويلاً نسبياً، إذا ما قورن بحجم المعاني والحكم التي يتضمنها، فكثيرة أيضاً، وأكتفي هنا بشاهدين:





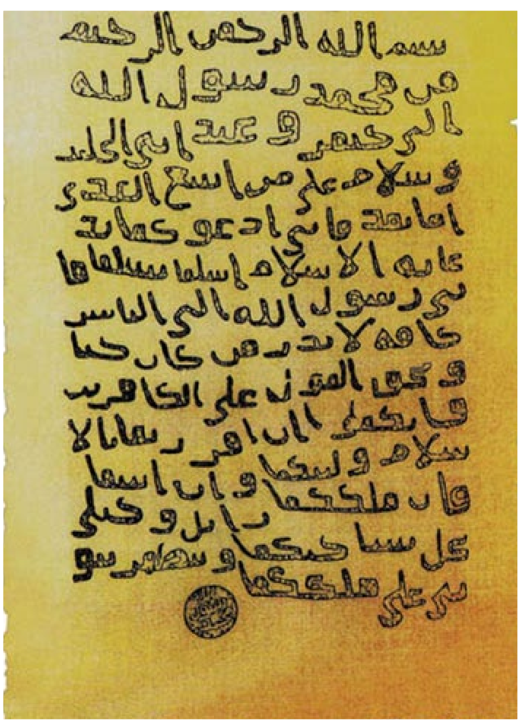
الأول مَثَلُ الهُدَى والعلم الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ومواقف الناس منه:

عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الهُدَى وَالعِلْمِ، كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ المَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الكَلَأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً وَلاَ تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»[متفق عليه]

فتأمّل أخي القارئ الكريم في روعة هذا التمثيل والتشبيه، وفي دقته وبلاغته. فالغيث، وهو المطر النافع، الذي به حياة الإنسان والحيوان والنبات، يقابل الهدى والعلم الذي به حياة العقول والقلوب. وأنواع الأرض الرئيسة ثلاثة فيما يخص قبولها لماء المطر والانتفاع به، وهي الأرض الطيبة التي تنتفع بالماء وتنفع غيرها بالإنبات، والأرض الجدباء الصخرية، التي تمسك الماء لينتفع به الناس، ولكنها لا تنتفع هي به، فلا تنبت، والأرض القيعان السبخة النفوذة للماء، التي لا تنتفع هي بالماء ولا تنفع غيرها منه، تقابل أصناف البشر الرئيسة الثلاثة في مواقفها من الهدى والعلم الذي جاء به رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم، وهم: المؤمن، والمنافق، والكافر.

الثاني مَثَل صِلات الأنبياء بعضهم ببعض وختم النبوة به عليه الصلاة والسلام:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ» [أخرجه الشيخان، واللفظ للبخاري]


بسم الله الرحمن الرحيم
من محمد رسول الله
الى جيفر وعبد ابني الجلندى
وسلام على من اتبع الهدى
اما بعد فاني ادعوكما بدعاية
الاسلام اسلما تسلما
اني رسول الله الى الناس
كافة لانذر من كان حيا
ويحق القول على الكافرين
فانكما ان اقررتما بالا
سلام وليتكما وان ابيتما
ان تقرا بالاسلام فان ملككما زائل وخيلي
تحل بساحتكما وتظهر نبو
تي على ملككما

فهذا الحديث النبوي الشريف يبيّن موقع نبوته صلى الله عليه وسلم من النبوات السابقة، وصلة رسالته بما جاء به الرسل السابقون عليهم الصلاة والسلام، التي هي صلة التوافق والتكامل، ثم ختمها برسالته صلى الله عليه وسلم. فهل قرأت أو سمعت أبلغ من هذا التعبير وهذا التصوير؟!

هذا، وبين القسمين طائفة كبيرة من أحاديثه صلى الله عليه وسلم، تتألف من عدد قليل من الجمل، ويصح إطلاق وصف جوامع الكلم عليها، ولا يتسع المقام هنا لسردها أو التمثيل لها.

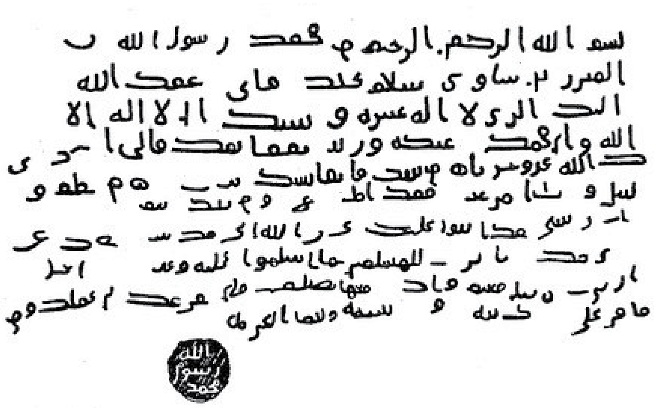
وفي الحقيقة، إنّ جوامع الكلام هي القمة السامقة في البلاغة؛ لأن المتكلم بها يبلغ ما يريده من المعاني بأقل الألفاظ مع مطابقة الكلام لمقتضى الحال. وكل الناس يمتدحون الكلام الموجز البليغ، وقديماً قالوا: البلاغة الإيجاز، وقال قائلهم: خير الكلام ما قلّ ودلّ.

والبلاغة النبوية، وتميزها عن شعر الشعراء ونثر الخطباء، مما لا ينكره أحد من العقلاء. بل أقر بها الفطاحل من الشعراء والأدباء، قديماً وحديثاً، ولا مجال لذكر الدلائل عليه هنا.

وأختم مقالتي بأجمل تعبير قرأته عن البلاغة النبوية، للأديب الكبير البليغ، مصطفى صادق الرافعي رحمه الله تعالى، إذ يقول فيها: «هذه هي البلاغة الإنسانية التي سجدت الأفكار لآيتها، وحسرت العقول دون غايتها، لم تُصنَع وهي من الإحكام كأنها مصنوعة، ولم يُتكلف لها وهي على السهولة بعيدةَ ممنوعة. ألفاظ النبوة يعمرها قلبٌ متصلٌ بجلال خالقه، ويصقلها لسان نزل عليه القرآن بحقائقه، فهي إن لم تكن من الوحي ولكنها جاءت من سبيله وإن لم يكن لها منه دليل فقد كانت هي من دليله، مُحكمَة الفصول، حتى ليس فيها عروة مفصولة، محذوفة الفضول، حتى ليس فيها كلمة مفضولة. وكأنما هي في اختصارها وإفادتها نبضُ قلب يتكلم، وإنما هي في سُموها وإجادتها مظهرَ من خواطره – صلى الله عليه وسلم –»[من كتابه القيم (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية)، ص١٩٣، ط٨، دار الكتاب العربي– بيروت].



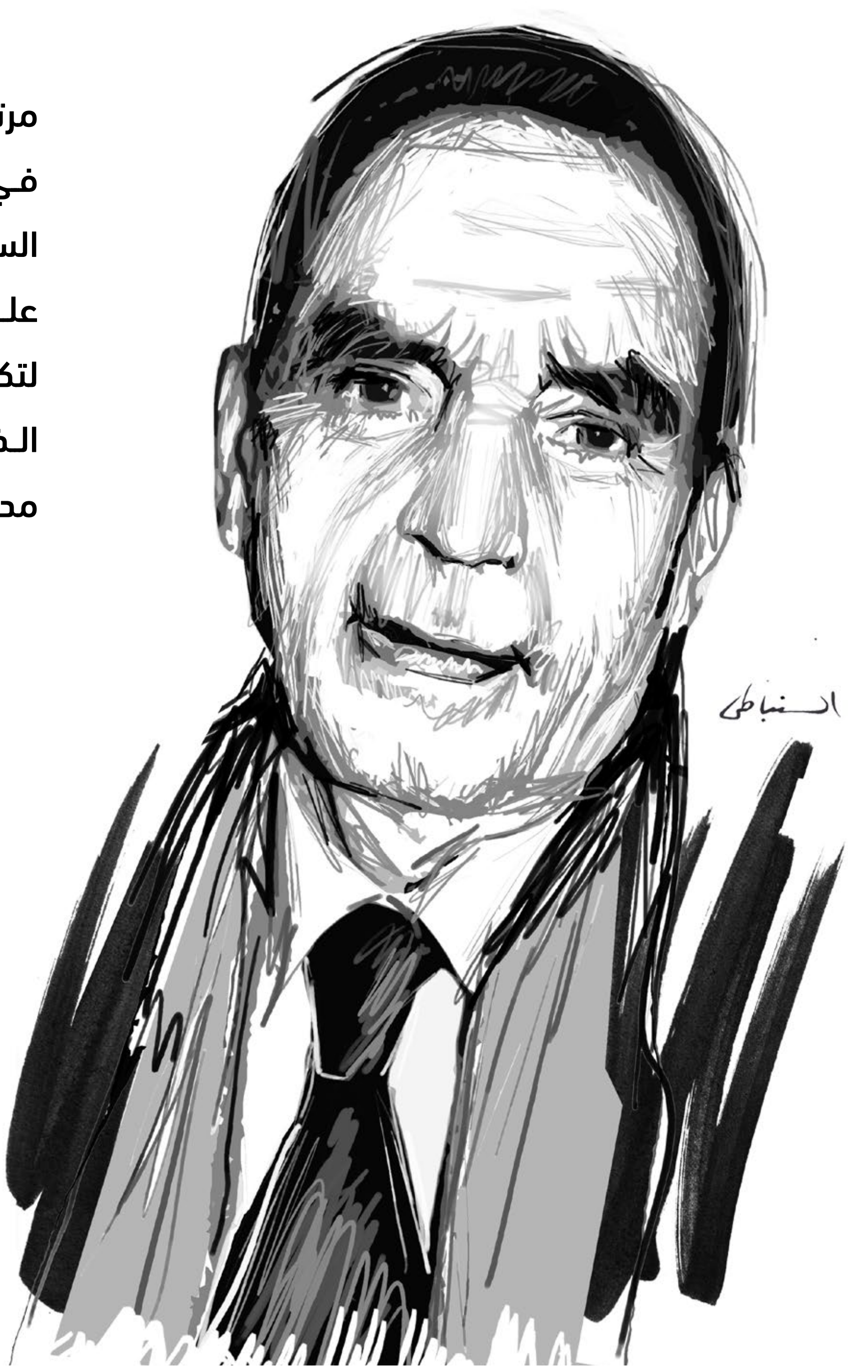




تجربة أدبيّة حيّة

الأديب الناقد أ.د. عبد الملك مرتاض

العلامة الأديب الدكتور عبد الملك مرتاض: الاسم الجزائري الحاضر والمتألق في ساحة الأدب والنقد واللغة، والقلم السيال الذي أمد المكتبة العربية بما يزيد على ثمانين كتابا تنوعت في مجالاتها لتكشف عن عمق وموسوعية منتجها الذي أصبحت أعماله الأدبية والنقدية مدونةً اصطفتها رسائل وأطاريح عديدة.



لنبدأ أولاً بالسؤال عن الدكتور مرتاض أديبا، ما العوامل التي شكلت شخصية الأديب لدى الدكتور عبد الملك مرتاض؟

أَوّلُ، أزْدَجِي شكريَ الحميمَ لهيئة مجمع اللغة العربيّة بالشارقة العصماء، آملاً أن يزداد نشاطُ هذا المجمع الناشئ، ويتألّق في الدّآدِي بديعُ أعمالِه.

وأمّا الإجابة عن السؤال فإنّه لَيعتاص عليّ أن أجيب عنه إجابة شافيَةً كافيَة، ولا دقيقةً مُجْزِئة، لأنّ الحديث عن النفس من أشقّ ما يعالج الأديبُ في كتابته مهما

يكُ قلمُه سيّالاً، وفكرُه خِصْباً. لكنْ ما لا يُدرَك كلّه لا يُترك جلُّه، كما كان يقول أجدادنا القدماء.

يبدو أنّ أهمّ العوامل التي أسهمت في تشكيل شخصيّتي الثقافيّة والعلميّة هي حِفْظي القرآنَ الكريم على يد والدي الشيخ عبد القادر بن أحمد بن أبي طالب الذي حفّظنيه في السّنّ الأولى، وقد ختمته على يده قبل سنّ الحادية عشرة إحدى عشرة ختمةً، بدءًا على عَودٍ. كما حفّظني متونا تعليميّة كمتن «المرشد المعين، في الضروري من علوم الدين»، للإمام عبد الواحد ابن عاشر المغربيّ، وهو في مبادئ الفقه المالكي. يُسْتَضاف إلى ذلك تحفيظي متونا أُخَرَ في النحو كآجرّومية ابن آجرّوم، وألفيّة ابن مالك، وقطر الندى، وبَلّ الصّدى، لابن هشام الأنصاري.

ثمّ زاولت دراستي الأولى في معهد عبد الحميد ابن باديس بقسنطينةَ على أيدي أساتذة جزائريّين كانوا درسوا بالزيتونة بتونس، والأزهر بمصر، ومنهم الأديب الكاتب أحمد ابن ذياب الذي كان أكثر تأثيراً في نفسي، فحبّب إلي الشعر والبحث فيه. وهنالك قرأت عددا كبيراً من كتب الأدب والسيرة النبويّة كـ«محمد» لهيكل، ونور اليقين في سيرة سيد المرسلين، للشيخ محمد الخضري، بالاِسْتِضافة إلى نهج البلاغة بشرح محمد عبده، والبيان والتبيين لأبي عثمان الجاحظ بتحقيق حسن السندوبي، مع قراءة عدد وافرٍ من مؤلّفات طه حسين، وعباس محمود العقاد، ومصطفى صادق الرافعي، والمنفلوطي، وإبراهيم المازني، وسَوائهم من كبار كتّاب مصر وأدبائها. ولم يفتني أثناء ذلك أن أحفظ عددا غيرَ قليل من أشعار الأَوالِي والأواخرِ، من امرئ القيس إلى أحمد شوقي...

وقد كان للتربية الدينيّة الاجتماعيّة الخاصة أثرٌ لا يُنكر في تكوين شخصيّتي بكلّ مركّباتها... وزاد بلْورةً لشخصيّتي الأدبيّة، أنّ أوّل بحثٍ أكاديمي (أطروحة دكتوراه) حضّرته كان عن فنّ المقامة في الأدب العربي، فاحتككت بالتراث احتكاكا مباشرا، وكنت أثناء ذلك ألّفت كتاب «القصة في الأدب العربيّ القديم»، فكان التراثُ هو الأفقَ الذي كنت أدرُجُ فيه، قبل أن أحتكّ بالثقافة الغربيّة الحداثيّة حين نلت دكتوراه الدولة في الآداب من جامعة السوربون الثالثة بباريس، تحت إشراف المستشرق الفرنسي أندري ميكائيل، وكان رئيس لجنة المناقشة العلنيّة العلاّمة المرحوم محمد أركون.

فلعلّ هذه الأعمال الأدبيّة، بعضَها أو كلّها، بالاِستضافة إلى اتّصالي، بكيفيّة مباشرة، ببعض رجالات العلم وأساتذة الأدب واللغة والحضارة والفلسفة والنقد في جامعات الرباط والجزائر والسوربون. وكان كثير منهم يتوسّم فيّ شيئا سأكون عليه... فإن كان الأمر كذلك، فذاك هو السرّ فيه.

عُرفتم بغزارة إنتاجكم وتعدد مجالاته، فأي مجال ترونه الأكثر حضورا وتأثيرا في مؤلفاتكم؟

إنّي والله لا أدري، بصدق، أيّ المجالات كان أكثرَ حضورا في مسيرتي الأدبيّة، فقد عُرفت في المشرق بأنّي ناقد ولسانيّاتيّ، في حينَ عُرفت في بلاد المغرب ببعض ذلك مع استضافة الكتابة الروائيّة التي أعتزّ بما أنجزته فيها، وإن كان النقّاد عزفوا، أو كادوا يعزفون عنها، ما عدا في الرسائل الجامعيّة، حيث دُرستْ كلّ رواياتي الاثنتي عشرة دراسةً أكاديمية فحُضّرت عنها رسائل ماجستير، وأطروحات دكتوراه. وقد كنت أريد أن يُقرّ لي النقد العربيّ المعاصر بما اسْتَضَفْت إلى الرواية العربيّة، إن أضفت، فعلاً، إلى ذلك شيئاً: شكلاً ومضموناً. وعلى أنّه وقع الالتفات إلى بعض ذلك في السنوات الأخيرة فأُنْصِفت إلى حدٍّ ما.

بيْد أنّ النظريّات النقديّة التي تفرّدت بها، وخصوصا في مجالات السيّمائيّة، وفي ابتكار المصطلح، وفي نظريّة القراءة، وفي ابتكار طرائقَ في تحليل النصوص الأدبيّة شعريّها وسرديّها، ربما تظلّ هي المجال الذي وُفّقت إلى الاِستضافة إليه، ممّا حمَل الباحثين الشباب على الإقبال عليه، والاحتفاء به، وتقديم الدراسات عنه.



دكتور مرتاض اجتمعت لديكم ريشة الأديب بريشة الناقد، فهل كان ثمّ تأثيرٌ وتأثُر بين التجربتين النقدية والأدبية لديكم؟ وكيف تجلّى ذلك؟

أعتقد أنّ هذا السؤال فرْعٌ من السؤال الثاني، وأحسبُني أجبت عنه هناك.

دكتور مرتاض كان لكم حضور متألق في برنامج (أمير الشعراء)، حدّثنا عن تجربتكم النقدية في البرنامج؟

إنّي أدين لهذا البرنامج الشعريّ الرصين الجميل الذي من خلاله، وبفضله، اكتسبتُ تجربة نقديّة مختلفة عن التجربة النقديّة الأكاديميّة التقليديّة التي كنت أتعامل معها، وبها، مع النصوص الشعريّة: قديمها وحديثِها. ذلك بأنّي، وأعتقد أنّ زملائي أعضاءَ لجنة التحكيمِ أيضاً، في هذا البرنامج يُقرّون بهذا الذي أقررتُ به أنا... كنت أتهيّب الحديث عن القصيدة الشعريّة فكنت أقرأ نصّها مِرارا قبْل الخوض في الكتابة عنها، لكنّ طبيعة هذه التجربة الفريدة، في هذا البرنامج الأدبيّ الإعلاميّ الجماليّ معًا، أتاحتْ

لـم يكُ هـذا البرنـامـجُ فـي حقيقـة أمـره منبـرًا لتخريـج الشـعراء، وبلـورة مواهبهـم فقَـدْ؛ بـل كان منبـرًا لصقْـل كفـاءات النقّـاد وتنميتهـا وتطويرهـا، أكاديميّـاً وإعلاميّـاً، أيضـاً. يضـاف إلى ذلك متابعة الجمهور المشاهد، والإسهام في بلورة التلقّي الجمالي لِمَا يسمعون.

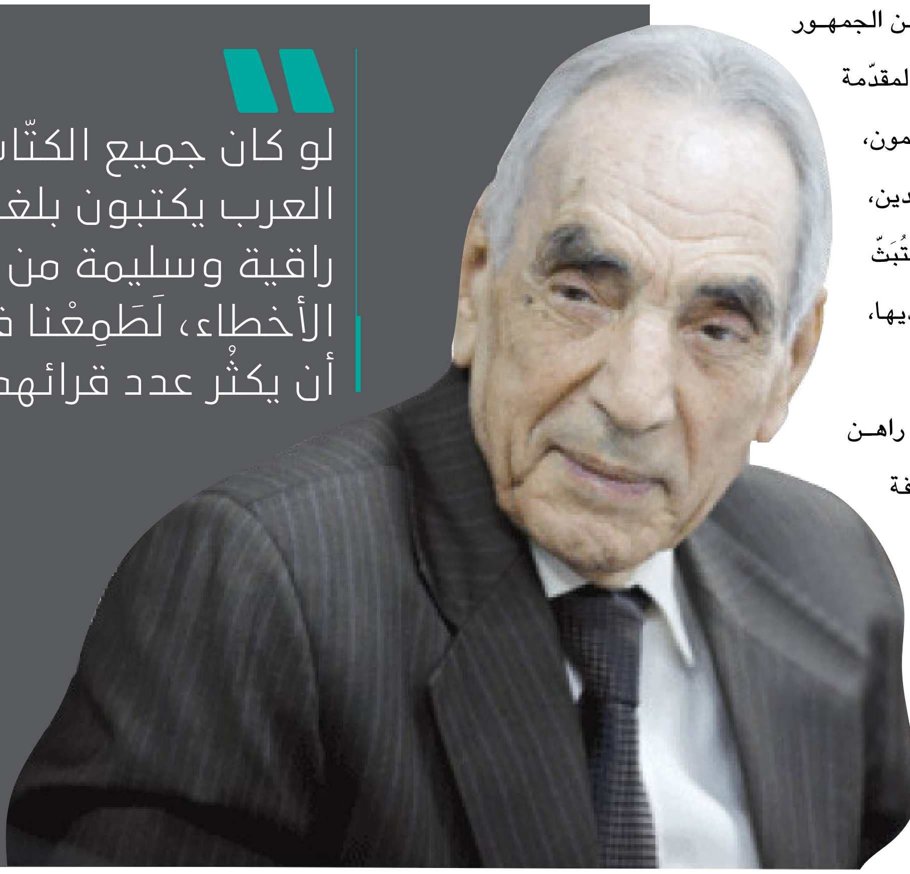
إنّـه برنامـج فريـد مـن جنسـه، ووحيدُ نسْجه، بيـن كلّ البرامـج الأدبيّـة التـي عرفنـاهـا في التلفزات العربيّة والأجنبيّـة أيضـاً على اختلافهـا. فللإمـارات أن تفخـر بمـا قدّمـتْ للشـعريّة العربيّـة فطوّرتْهـا بإحيـاء مَواتهـا، ونفْض الغبار عنهـا بعد أن كانت تكابد مـن الْمَوات والسُّبات، فخدمت الإبداع، كمـا أعـادت للنقد العربيّ المعاصر ألَقَـه وجمالَـه وواقعيّتـه والتصاقـه بـذوق الجمهور.

وقـد هُديتُ مـن بيـن زملائـي إلـى أن أقـدّم إبداعـاً عـن القصائـد الجميلـة التـي تثير إعجابي، وتستبدّ بإحساسـي، فكنت أعلّق، في بعض الأطوار، بنسوج نثريّـة هـي أدنـى إلـى الشعريّة منهـا إلـى النثر الخـامد الجـامد الذي لا يحرّك سكون المشـاهد، فكتبت جريدة الشروق الجزائريّة عن ذلك قـائلةً: إنّي أعلّق بـالشعر على الشعر. كما علّـق لـي الدكتور صـلاح فضل، زميلي في البرنـامج، فيما علّقت بـه مـن نثـر شـعريّ في الحلقة التـاسـعة، من الموسـم الثـامـن، أنّي كنت أكتب شعرا عن شعر، حين كنت أعلّق على شعريّة محمد جوب الذي بهَرَ وسَحَر، وأبدع وأسَر، وأمتع بما سَفَرَ، فبَهَرَ. وكلّ ذلك كـان منّا مـن أجـل جذْب انتبـاه المشـاهد وجرْجرتـه إلـى التعلّـق بـالبرنـامج الأدبيّ والالتصاق بـه. ولو جئنـا نكتب نقداً أكاديميّاً صارمـاً، بـارداً ثقيـلاً، وجامداً خـامداً، لَمَـا أمِنّـا أن يكـون ذلـك مَدعـاةً إلـى صرْف المشـاهد عـن البرنـامـج وعنّـا، فيزهد فينـا وفيه زَهَداً.

في سياق الحديث عن برنامج (أمير الشعراء)، ما هو أثر حضور الأدب والنقد في البرامج التلفزيونية في تضييق الفجوة بين الأدب والمجتمع بفئاته المختلفة؟ وما مدى حاجتنا اليوم إلى مثل هذه البرامج التلفزيونية؟



لـي أن أتحـدّث عـن النصّ الشـعريّ فـأعلّـق عليـه بسـرعة لـم أكـن أعهدهـا فـي كفاءتـي النقديّـة. بـل كنّـا ونحـن نعلّـق علـى القصائـد المقدّمـة إلينـا فـي مراحـل اللقـاءات المصـوّرة، نهتدي السـبيلَ إلى التعليـق علـى أهـمّ مـا فـي النصّ الملقَـى أمامَنـا مـن حيث لغتُـه وأناقتُها أو رداءتُها؛ ومن حيث نسوجُها وجمالُها أو رذَالتُها؛ ومن حيث صُورُه وابتذالُهـا، أو ابتكارُهـا وأصالتهـا... إلـى سَواءِ ذلك من الخصـائص الفنيّة التي تُلْتَمُّ دأَبـا، في النصّ الشعريّ، فتعلّمْنا (أجلْ، تعلّمنـا) كيف نُعلّق على النص الشعريّ بسرعة البرق، فلا نـكاد نُخطئ سبيلنا إلى مواطن التعليق منـه، إلاّ قليلاً.



يبدو أنّ الفجوة عميقة ووَسيعة بين الجمهور المشاهدين والحِصص الثقافيّة القليلة المقدّمة إليه، وعلى أنّها على قلّتها ضعيفة المضمون، محرومة من الاتصال الوسِيع بالمشاهدين، فكأنّ كثيرًا من هذه البرامج إنما كانت لتُبَثّ من أجل نفسها، لا من أجل تنوير مشاهديها، أو جذْبهم إليها.

ولَمّا أُسّست مسابقة أمير الشعراء راهن كثير من المثقفين، وبعض الهيئات المشرفة على الأدب، ربما في دولة الإمارات العربيّة المتحدة نفسها، راهنوا على فشلها، وزُهْدِ مشاهِدِي التلفزات فيها، وعزوفهم عنها، بادّعاء أن عامّة المشاهدين ليسوا من الثّقِفين ولا اللّقِفين في شيء، وأكثر من ذلك أنّهم لا يهوَوْن الثقافة ولا يتعلّقون بها، ولا يتلذّذون بمشاهدة برامجها... لكنّ النتيجة كانت خيبةً على هؤلاء وخذلانا مبينًا، فإذا الملايينُ من المشاهدين يتابعون هذه المسابقة ويتفاعلون بها، وكلّما تقدّم الزمن بها، ازداد سَوادُ جمهورها، وكثر تَعْدادُ مشاهديها، في القارات الخمس، فأصبح عامّة الناس يتابعونها أكثر من صفْوتهم الصافية، بحيث صرنا نُسأل عن كلّ لقطة تمرّ بالمسابقة بين أعضاء لجنة التحكيم والشعراء المتسابقين. وقد لاحظت، شخصيّا، ظاهرة عجيبة، وهي أنّ متابعي هذه المسابقة من عامّة الناس أكثر من خاصّتهم، فلم يعد يحدّثنا إلاّ قليلٌ من الجامعيّين عن هذه المسابقة وما يجري فيها، فكأنّ ذلك غيرة منهم، في حين يحدّثنا عنها الجزّارون والخضارون في الأسواق، ورجال الأعمال وكبار الشخصيّات حيث نذهب، ممّا يدلّ على أنّ الثقافة يخذلها أهلُها، أصلاً، من المثقفين، ويحتضنها ويرعاها من يُعتقد فيهم أنّهم من غير الثقِفين.

> لو كان جميع الكتّاب العرب يكتبون بلغة راقية وسليمة من الأخطاء، لَطَمِعْنا في أن يكثُر عدد قرائهم

كذلك لُوحِظ، وأنا استعمل المبنيّات للمجهول من الأفعال، في حديثي هذا، دفعا للحرج، أنّ بعض الشعوب العربيّة الكبيرة المحسوبة على الثقافة والعلم لا تكاد تتابع هذه المسابقة ولا تلتفت إليها لبعض الأسباب الواهية...

لقد أَبْرَهَتْ مسابقة أمير الشعراء على أنّ الجمهور العريض من العرب، ومثقفي العجم أيضا، يحتضنون مثل هذه البرامج الأدبيّة الجميلة الممتعة، ولذلك ندعو إلى الإكثار منها، لترقيَة ذوق هذا الجمهور، وتنويره، والأخْذ بيده إلى المستوى الرفيع من الثقافة والفنّ والأدب.

وليس عجيبًا ولا غريبًا أن يصبح يومًا متابعُو مثلِ هذه البرامجِ ذات المستوى الجماليّ الرفيع، مثلَ متابعي كرة القدم، حذْوَ النعْل، بالنعل!

كيف تَرَوْن حضور الأدب اليوم في المجتمع، وما العلاقة التي تربطهما؟

إنّي لست متفائلاً كثيرا حين أتحدّث عن عَلاقة الثقافة بالجمهور العربيّ، وخصوصا فيما يعود إلى المقروئيّة. فالجمهور يكاد يزهد في متابعة الأدب المكتوب، ولا يُقْبل عليه إلاّ باحتشام، وعلى استحياء. وإنّا لا نُعيد ذلك إلى شيوع الأمّيّة في المجتمعات العربيّة كما يقع الظّنّ، فهي، بنعمة ربك، تكاد تزول في عهدنا الراهن منها، ولكن يبدو أنّ لذلك أسبابًا أُخَرَ كسوء تسويق الأدب، وعدَم حسن تقديم الكتاب إلى الناس مجرّدَ ظهوره، فإنّ عدد القرأَةِ في تناقُصٍ مُخْزٍ ومُزْرٍ معاً، ففي حينِ نجد عدد قَرَأَة الرواية الواحدة في المجتمعات القارئة في الغرب، يبلغ في أسوأِ الأحوال مائةَ أَلْفٍ أو يزيدون، نجد عدد قرّاء الرواية العربيّة الواحدة لا يكاد يزيد عن ألْفٍ واحدٍ منهم أو ينقُصون!

وإنّا نُؤَكِّدُ أنّ هذا الوضع المُزري لا يعود إلى أنّ مجتمعاتنا أمّيّة، فقد كادت الأمّيّة تزول منها، ولكنّه يعود إلى أسباب أعمقَ من ذلك... ولكيما نتلافَى هذا الوضع المشين علينا أن نربّيَ نشْأَنا على حبّ القراءةِ وجمال الكتاب، منذ الصِّغر في المدرسة الابتدائيّة، فينشأ حبُّ القراءة معهم طَوالَ مراحلِ تعلّمهم، ومن ثَمّ يمتدّ على امتداد أسنانهم. كما نلاحظ نقص الجمعيّات الثقافيّة والأدبيّة والفنّيّة في أحياء المدن، ولا تسَلْ عن انعدام عقْد مسابقات في المستويات الدنيا للقراءة للرّفْع من سواد المقروئيّة في مجتمعاتنا... كلّ أولئك عوامِلُ، وسَواؤُها ممّا لم يُذكر، أكثر، يقوم حائلاً بين شيوع الثقافة والأدب وتأثيرهما، وعدّهما من جماليّات الحياة في المجتمع، وزينتها.

ولذلك يظلّ تأثير الأدب قليلاً في مجتمعاتنا، على العهد الراهن. ولعل المستقبل أنْ يحملَ في ضميره للثقافة والعلم والأدب معاً، في المجتمعات العربيّة ما يغيّر من سلوك الناس في حياتهم اليوميّة بحيث سيتشبّهون بالمجتمعات اليابانيّة والألمانيّة والروسيّة والفرنسيّة وسَوائِها من المجتمعات الغربيّة والشرقيّة، القارئة الراقية، التي تجد في الأدب من الْمُتَعِ، ما تجد في أشهى الطعام، وأمْرَأِ الشراب، من اللّذّاتِ، ولا لذّاتَ، (و/ أو لا لذّاتِ)، إلاّ فيها.

هل يمكن للأدب أن يضع تأثيره في واقع اللغة العربية اليوم وأن تكون له يدٌ في نشر اللغة السليمة في المجتمع، لا سيما أنه كان في العصور السالفة أداة يتوسلها العرب لتقويم الألسن؟ وكيف السبيل إلى تفعيل هذا التأثير؟

يمكن أن يُجاب عن السؤال الآخِرِ أمثل من الإجابة عن السؤال الأوّل. ذلك بأنّا ننظر إلى الأدب العربيّ المعاصر بشيءٍ من التشاؤم حيث إنّ أيّ شخصٍ قليل الزاد من اللغة والأدب، شديد الطموح في الظهور، يستطيع أن ينشر ما يكتب، وقد يقرؤه الناسُ على قلّة سَوادهم، فيكون التأثيرُ شديد السوء. فالرّداءة تغلب على هذه الكتابة الموصوفة بالأدبيّة. وأنا أعرف أنّ لقب «الأديب» أمسى يُطلَقُ على أيّ شخصٍ يكتب كتابةَ سوءٍ، فضاع الجيّد بين ثنايا الرديء، فاختلط الحابل بالنابل، كما يقال في المثل العربيّ القديم. وواضح أنّي أقصد إلى قلّة زاد الكَتابيبِ (جمع كُتْبوب، وهذا المصطلح من إنشائنا، وهو مَقيسٌ على مصطلح «شُعرور» الجاحظي (Les écrivants)، لا الكتّاب (Les Écrivains) باصطلاح رولان بارط. فقد غلب سواد الكتابيب على الكتّاب، وأفضى ذلك إلى غلَبة الرداءة على الجودة، والجمال على القُبح، فصارت سيرة الأدب العربيّ المعاصر ما هي.

ولو كان جميع الكتّاب العرب يكتبون بلغة راقية وسليمة من الأخطاء، لَطَمِعْنا في أن يكثُر عدد قرائهم، والمتّع مِنْ جمال أدبهم... لكان شأن العربيّة، على عهدنا هذا، غير ما هي عليه.

وأُرَى أنّ أصل الداء يكمن في تخلّف المستوى التعليميّ في المراحل التعليميّة الثلاثِ، في العالم العربيّ كلّه، وليس لقطر أن يزعم في هذا أنّه أمثل حالاً من سواه، فالهمّ واحد، والداء المستشري

متماثل أو مشابه. فعلى المسؤولين عن التعليم أن يعيدوا النظر في تكوين المعلّمين والأساتذة، وأن يعيدوا النظر في طرائق التعليم، وفي الموادّ المقدّمة إلى النّشْءِ المتعلّمين، إن أرادوا النهوض، حقّاً، بالعربيّة السليمة، والصحيحة الجميلة.

بَيْدَ أنّا لا نرى أنّ ترقيَة التعليم في المدارس العربيّة سيكون أمراً يسيراً، وذلك للانفجار السكّانيّ، وفقر معظم الأقطار العربيّة من المال، وحاجتها إليه، لتنفقه على ترقيَة التعليم كأن ينزل عدد التلامذة في القسم الواحد إلى النصف، أي من زُهاء خمسين تلميذاً، إلى خمسة وعشرين؛ وكأن يرقَى مستوى المعلمين من مجرّد حمل شهادة الثانوية العامّة إلى البكالوريوس؛ وكأنْ تصير اللغةُ العربيّة الفصحى النقيّة هي وسيلةَ التعبير الراقية بين المعلمين والأساتذة من المدرسة الابتدائيّة إلى الجامعة، فعهْدُنا بالمشتغلين بالتدريس في عامّة هذه المؤسّسات التعليميّة يستعذبون استعمال العاميات المحلية، وهم بذلك مخْبُورون!

فالتخلّف اللغويّ، إذاً، يَرِينُ على كلّ الأقطار العربيّة مشرقاً ومغرباً، وليس يجدي ما قد يكون بينها من تفاوت في هذا التخلّف، لأنّ النفوس أنشط للتعلّق بالرديء بدل الجيّد، وأخفّ إلى الاستمساك بالرّذْل بدل الفضْل. وهذا ما يحدث. وقد أسهم في تكريس هذه الرداءة اللغويّة وسائل الإعلام، ومنها تعليقات المعلقين على مباريات كرة القَدم حيث لا يبرحون يتنافسون في العَيَثَانِ بالعربيّة حتّى كأنّها لا حاميَ يحميها، في غياب مجامع اللغة العربيّة، أو قلّة نشاطها، أو تكريسها للأخطاء الشائعة الجاريَة على ألسنة العوامّ، شأن مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة الذي يُجيز، مثلاً، ما لا يجوز: مثل التقييم، بدل التقويم؛ والإرباك، بدل الرّبْك، وهلمّ جرّاً... وكذلك لم يعد أحدٌ يعرف لا ما يكتب، ولا ما يقول... إذْ صار أمرُ العربيّة، على عهدنا هذا، فوضى، بين القوم وهم لا يشعرون...

وإنّا لا ندري كيف يتشدّق قومٌ دون وعْي، بأنّ العربيّة ستكون لغة العلم، وحديث العلماء... وما ذا كان يحدث لو استعملَها الطّيّارون حديثاً بينهم وبين أبراج المراقبة الأرضيّة... فإنّ عدم الدّقّة، واختلاف النطق، والمروق عن الدلالة، يوشك أن يُفْضيَ إلى كوارثَ مدمّرة...

بالحديث عن الأدب والإبداع والثقافة، هل يمكن للمبدع أن يكون مبدعاً دون أن يمتلك قاعدة ثقافية ولغوية قوية؟ وما أثر ثقافة المبدع فيما يقدمه من أعمال؟

كيف ذلك؟!

كيف يمكنُ البقرةَ أن تحلبَ دون أن تَشْبَعَ من الكلأ والأَبّ، بلغة القرءان؟ لا بدّ للمرء الذي يودّ أن يكون أديباً، أو حتّى أن يكون كاتباً على هونٍ ما، مِنْ أن يتضلّع من اللغة حتّى يتشبّع، كالذي يتضلّع من الطعام، أي يأكل حتّى تمتلئَ أضلاعُه، ويشرب من مَعينها حتّى يرتوي، وإلاّ فإنّه لا يستطيع أن يكتب شيئاً، أو يكتب، ولكنْ يكتبُ شيئاً هزيلاً، لا لغةَ أنيقةً، ولا صورَ جميلةَ، ولا تراكيبُ فخمةٌ (كذلك يجوز استعمال هذا الضرب من العربيّة) تجذب القارئَ إليها جذْباً، وتحمله على الإعجاب بها حمْلاً.

من أجل ذلك كان الأقدمون يحرصون كما ذكر ذلك ابن خلدون في المقدّمة، وقبله أبو الفرج الأصبهاني، على أن يحفظ الأديبُ عشرات الآلاف من الأبيات، إن لا نقْلِ القصائد، ثم يُنساها قبل أن ينبريَ لقول الشعر وكتابة الأدب، فقد أورد أبو الفرج الأصبهاني في كتاب الأغاني، مثلاً، أنّ بشار بن برد كان لا يزال يقول:

«لي اثنا عشر ألفَ بيتٍ جيّد، فقيل به: كيف؟ قال: لي اثنتا عشرة ألف قصيدة، أمَا في كلّ قصيدة منها بيت جيد»؟! وجمع ابن ميمون ألف قصيدةٍ في كتابه: «منتهى الطلب، من أشعار العرب». وقد قيل إنّ حمّاداً الراوية كان يحفظ آلاف القصائد، وامتُحن في ذلك، كما أورد ذلك عبد القادر البغداديّ في الخزانة، فثبت ادّعاؤه، وأجازه الوليد بعد أن ثبت حفظه لمائة قصيدة كبيرة رويّها على واحدٍ من حروف المعجم، دون الذهاب إلى غيره، سوى المقطّعات من شعر الجاهليّة، بمائة ألفِ درهمٍ.

والغريب إلى حدّ الإزعاج والإنكار أنّ الشاعر العربيّ على عهدنا هذا قد لا يحفظ المعلّقات، ولا واحدة منها، حفظاً كاملاً شاملاً، ثمّ ينْبَري لقرْض الشعر، وهو لا يستحِي!

إنّ هذا الأمر لا يجوز له أن يكون إلاّ كما كان عليه في الحافرة، ومن أراد أن يخرج على ذلك، أو منه، فلْيَيْأَسْ مِن أن يكون أديباً، ولو شهِد له بذلك ألفُ ناقدٍ رذْلٍ من هؤلاء المعاصرين!

في ظل التطورات والتغيرات التي يشهدها واقع اليوم على أكثر من صعيد يتجدد السؤال عن وظيفة الأدب، فما وظيفة الأدب اليوم؟

يُفترَضُ أن وظيفة الأدب تظلّ هي، هي، كما كانت منذ الأزلِ إلى يومنا هذا، فهي وظيفة تهذيبيّة تنويريّة إمتاعيّة معا، تجلو عن القارئ، أو المتلقّي، همّ الدنيا، فيضحك أو يبكي، ويتعلّق بما يكتب الأديبُ فيتمتّع مِنْهُ، كما يتمتّع من الاستماع إلى الموسيقَى، وكما يتمتّع من شَمّ شذَى الزهرة المتفتّحة. وبغضّ الطّرْف عمّا قيل عن هذه القضيّة المثارة في السؤال منذ الحافرة، فإنّ وظيفة الأدب لا ينبغي لها أن تكون نفعيّة أو تعليميّة خالصة، فذلك شأن يوشك أن يزوغ بها عن السبيل السويّة فتمسي مجرّد بضاعة تُشترَى، أو نصائح تُنتصَحُ بفضلها، فيستحيل القصدُ من الإمتاع إلى التعليم، من أجل ذلك نوصي بأن تكون هذه الوظيفةُ جماليّةً لا نفعيّة، واستمتاعا بتفاعل اللغة وتعاطيها لا على أنّها نصّ كالموعظة الدينيّة، أو القاعدة التعليميّة، فنحن نجنح لجماليّة هذه الوظيفة أكثر ممّا نجنح إلى نفعيّتها، أو تعليميّتها.

وعلى أنّ التصوير السينمائي أمسى يُسْهم في ترويج هذه الوظيفة وربْطها ربْطًا مباشرًا بالمتلقّي، وذلك بتحويل كثير من النصوص الروائيّة إلى أفلام سينمائيّة، وهنا تنحرف هذه الوظيفة من مجرّد جماليّةٍ، وهي ما كانت عليه في أصلها، إلى نفعيّة بتسويق النصّ وإصَارَتِهِ وسيلةً ليس للمتاع الفنيّ فقدْ، ولكنْ للعلاج الاجتماعيّ من بعض الأمراض التي تعرِض لها النصوص الروائيّة في متونها أصلاً.



وأمّا وظيفة الشعر، فأُرَى أنّها تظل جماليّةً إمتاعيّة أكثر منها أن تكون شيئًا آخرَ.

ما السبيل إلى إتقان اللغة العربية الفصيحة في عصر الازدواجية والثنائية اللغوية، الذي نشهد فيه توغّل اللهجات العامية وطغيان لغات أجنبية؟

إنّ اللهجاتِ العامّيّةَ ليست هي التي شاءت أن تفرض نفسَها علينا، فهي أوهَى من أن ترقَى إلى ذلك أو تقدر عليه، حين نكتب، أو حتّى حين نتحدث في أحوالٍ خاصّة، ولكنّا نحن اللذُّون شئنا أن نمكّن لها فنتعلّق بها، ونحِنّ إليها في كتاباتنا حنينًا غريبًا، فإذا نحن حِرَاصٌ على استعمالها في المواقف الأدبيّة كاستعمالها لهجةً رذْلةً في حوار الكتابات السرديّة. ولعلّ أوّلَ مَن أشاعَ هذه السيرة الخبيثة، والعادة المريضة، في الكتابات العربيّة المعاصرة

بعض الروائيّين العرب في الأعوام الخمسين من القرن الماضي، وذلك باستعْذابِهم أن يكتبوا بها حوارات رواياتهم خصوصًا. وكان ذلك بادّعاءِ أنّ الشخصيّة الروائيّة حين تجسّد فلاّحًا أو عاملاً لا

ينبغي لها أن تُحْسن الحديث بالعربيّة الفصحى، فمن باب الواقع، والصدق التاريخيّ أن نُنطِقَها بالعاميّة لتثبُتَ واقعيّتُها في الواقع، والحال أنّ هذه الشخصيّات (Personnages)، هي في حقيقتها، ليست أشخاصًا تاريخيّين (Personnes) يولَدون فيعيشون فيموتون، بل هي ليست إلاّ كائنات من ورَق، كما يقرّر ذلك عامّة نقَدَةِ الرواية المعاصرين في الغرب. فهي تنتمي، مثلُها مثلُ اللغة، والزمان، والمكان، والحدث، إلى الفنّ الخالص، لا إلى الواقع التاريخيّ. ذلك بأنّ الواقع الذي تتحدّث عنه الرواية ليس، في الحقيقة، تاريخيًا، ولكنّه واقعٌ متخيّلٌ مكتوب على مثال الواقع التاريخيّ فقَدْ. ولو ادّعى هؤلاء غيرَ ذلك لصار هذا الواقعُ تاريخًا، أي كتابة تاريخيّة، وحينئذ لا تراهم يكتبون أدبًا صِرْفًا، ولكنّهم يكتبون تاريخًا بحْتًا، وحينئذ نمرق من حقل الأدب إلى مجال التاريخ؛ وحينئذ يغتدي نظرُهم إلى هذه المسألة عليهم مردودًا.

ولو صدَق هؤلاء في فعْلهم ذاك لقالوا: إمّا أنّهم –ولْيأْذَنوا لي في أنْ أتّهمهم وأمري إلى الله تعالى– لا يُحبّون العربيّة؛ وإمّا أنّ ما يفعلونه مُريبٌ، فيُسهمون بتفكيك الأمّة وكأنّه لم ينقصها إلاّ هذا الشرّ ليكتمل تفكّكها نهائيًا فتكون القاضية، ومثل هذا يجعلهم متّهَمين في عُروبتهم وأُرومتهم؛ وإمّا أنّهم لم يُنَشَّؤوا على استعمال الفصحى فيستعذبوا سِقْطَها من عاميّة رذْلة؛ وإمّا أنّهم غيرُ مُلمّين بها إلمامًا عاليًا، فتزبّبون قبل أن يتعنّبوا، فهم يُنفقون من زادٍ ضئيل، ويمتَحون من ماء قليل.

وأمّا سبيل الإصلاح فليستْ بالهيّنة ولا الليّنة، وقد كنت ومَأْتُ إليها في بعض هذا الحديث، ومنها أنّه لا بدّ من إعادة النظر في البرامج التعليميّة لكي نستعيد العربيّة فتجري على ألسنتنا كالماء حين يجري في سَرِيِّه سلسبيلاً، وذلك بتقديم الزاد اللغويّ الفصيح الجميل المنتقَى، إلى نشْئنا في مراحل التعليم الثلاث. يُسْتَضافُ إلى ذلك وجوبُ الإكثار من المحادثة الافتراضيّة الفصيحة في البرامج التعليميّة. ونُوصِي بأن يُضافَ إلى ذلك تعويد المتعلمين على ارتجال الخطب بالفصحى، وأن يكون ذلك جزءًا من برامج التعليم، في المراحل الثلاث كلّها أيضًا. وقبل كلّ ذلك، أو أثنائه، نوصي بتحفيظ النّشْءِ النصوصَ الأدبيّة العاليَة المستوى البيانيّ ليتّخذها أمثلةً يتمثّلها، وأُنموذجاتٍ يحتذيها، حديثًا وكِتابًا، وذلك حين يُحمَل على الكَلام في الْمَعاطن، ويوم يُضطرّ إلى التفوّه بالحديث في المواقف. ذلك بأنّ الذي لا يحفظ القرآن الكريم، كلّه أو بعضه، ولا يحفظ المعلّقات، ولا يحفظ خطَب عليّ والحجاج، ولا يحفظ شيئًا من أرجاز رؤبة والعجّاج، ولا يحفظ طائفة من نقائض الفرزدق وجرير، ولا شيئًا من مقامات الهمذاني والحريري، ولا طائفة من نصوص الفحول عبر العصور... ولا نطالب بأكثرَ من ذلك، مخافة الدخول في الطوائل... فإنّه لن يكون أديبًا عارفًا بالعربيّة متصرّفًا في أفانين أساليبها، لاعبًا بعرائس ألفاظها، أبدًا، ولو تعلّق بأسباب السماءِ، واشْرأَبّ إلى أن يبلُغ الجبال طُولاً.



ودون ذلك، لا نرى وسيلة أخرى قمينةً بأن تجعل من نشئنا عارفًا بالعربيّة، متضلّعًا منها، محبّا لها.

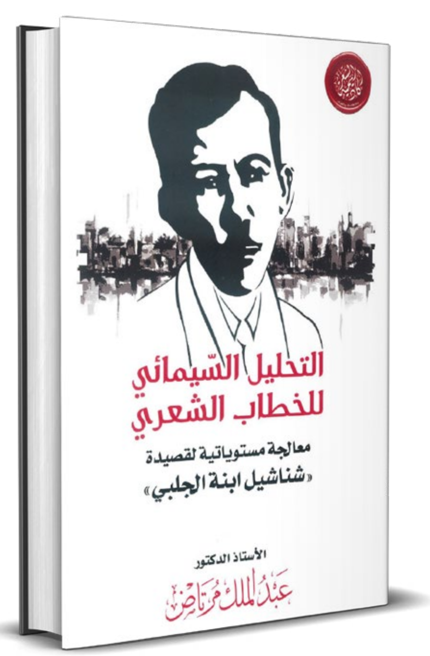
نود أن نتعرف على نصائحكم فيما يخص تعليم العربية للناطقين بغيرها: ما الأساليب التي ترونها أنجع وأنفع في تذليل العقبات أمام المتعلمين لا سيما أنّا قد أنشأنا مركز اللسان لتعليم العربية للناطقين بغيرها؟

تعليمُ العربيّـة للأجانب، أو لغير الناطقيـن بهـا، مهمّـةٌ نبيلـة، وغايـة شريفة، كمـا يأتـي ذلـك مجمـع اللغـة العربيّـة فـي إمـارة الشـارقة الزاهيـة. إنّـه لشـأنٌ وحيدُ نسْجه. وإلاّ فكم مِـن مجمع قـام ثم قعَد، أو نشأَ ثم برَكَ، فلم يكد يصنع مـن المآثر شيئا، فلا هو كان نافعاً للعربيّة الفصحى بين أهلها، ولا هو فكّر في أن ينشرهـا خـارج ديارهـا، وبيـن الأَتَـاوِيِّيـن مـن محبّيهـا، بمحاولـة تعليمهـا إيّاهـم تعليمًـا عصريًـا منهجيًـا. وهـذه الهِمّة مقصورة على مجمع اللغة العربيّة بالشـارقة المشرقة، فليفتخرْ بذلك افتخارًا، وليعْتَزِزْ به اعتزازًا، وكلّ ذلك يعود إلى وعي سموّ الشيخ سلطان القاسميّ، وحبّـه للعربيّـة، وحرصـه علـى ترقيتهـا بيـن أهلهـا، ونشرهـا بيـن الأَتـاوِيّيـن والغربـاء ممّـن يرغبون فـي تعلّمهـا.

إنّـا وجدْنـا كلّ الأمم الحيّة تسعى إلى نشر لغاتها للأجانب ممّن يرغبـون إلـى تعلّمهـا، إلاّ العربَ لولا الشيخ سلطان القاسمي الذي كسـر هـذه القـاعـدة العربيّـة الخبيثـة، فجزاه الله عـن العربيّـة خيـرًا كثيـرًا. فهـو له عليها أيـادٍ بيضـاءُ جـاوزَت هذا المجال إلى مجالات أخرى.

> تعليمُ العربيّة للأجانب، أو لغير الناطقين بها، مهمّةٌ نبيلة، وغاية شريفة

وأمّـا عـن النصائـح فـأرى أنّ مـن بيـن مـا يمكـن ذكرُه هنـا أنّ الـذي يعلّـم العربيّـة للأجانب يجب أن يكون ذا تجربـة طويلـة في مجـال تدريسِـهـا، كمـا يجب أن يكون هو نفسـه مُحبّاً لهـا، حريصًا علـى الاسـتزادة مـن تعلّمهـا، ذا شـخصيّة لطيفـة تحبّـب المتعلميـن إليهـا، فقد رأينـا الأجانب مـن الـدول التـي سبقتْنا لهـذه المؤونـة يختـارون لهـا، فـي الغالـب، مدرّسـاتٍ فصيحات جميلات أنيقات، فليكـن ذلـك مُسقَطًا، بالقيـاس إلينـا، على شبـاب حُبِيَ بالوسـامة، وحُلِّـيَ بالفصاحـة، وعُرِف بالأنـاقـة... ليُسـهم بعضُ ذلك في إقبال المتعلّميـن الأجانـب علـى تلقّـي العربيّـة الجميلة عنـه، وهـو يقدّمهـا إليهم نقيّةً شـهيّةً، على طبَق من حرير، وفي شكل نضِير. فهل نعثر علـى مثـل هـذا المعلّم الذي أتمثّله، بالاِسـتضافه إلـى تضلعه منها، يحـبّ العربيّـة في نفسـه، ليحبّبهـا لغيره؟





المركز التربوي للغة العربية لدول الخليج يحتفي بحصول الشارقة على لقب العاصمة العالمية للكتاب للعام 2019م

د.عيسى الحمادي

مدير المركز التربوي للغة العربية لدول الخليج بالشارقة



يحتفي المركز التربوي للغة العربية لدول الخليج تزامنًا مع حصول شارقة الثقافة والعلوم على لقب العاصمة العالمية للكتاب للعام 2019م الذي جاء تتويجًا لجهود صاحب السمو الشيخ الدكتور/ سلطان بن محمد القاسمي «يحفظه الله ويرعاه» عضو المجلس الأعلى للاتحاد – حاكم الشارقة في الاهتمام بتثقيف الإنسان وإعداده الإعداد الأمثل للحياة بالثقافة والكتاب.

ففي إطار سعي المركز لتطوير سياسات وإستراتيجيات ومحتوى مناهج تدريس اللغة العربية، وتحقيقًا لإستراتيجيات وأهداف المركز التي تستهدف مؤسَّسات تعليم اللُّغة العربيَّة، ومصممي مناهج اللغة العربية، والأجهزة المعنيَّة بالرقابة وتقييم أَداء مؤسَّسات تعليم اللُّغة العربيَّة، والإدارات والمعلمين والمشرفين التربويّين العاملين بمؤسَّسات تعليم اللُّغة العربيَّة، فقد أصدر المركز التربوي للغة العربية لدول الخليج بالشارقة عدة إصدارات لدراسات جديدة تزامنًا مع هذا الحدث العالمي للشارقة لعام ٢٠١٩م، ومن أهم تلك الإصدارات دراسة بعنوان: تطوير معايير مناهج اللغة العربية للصفوف من (٧ – ٩) ويهدف هذا البرنامج لبناء أطر عامة ومبادئ وأسس تربوية تكون المنطلق الأساس لتعلم وتعليم اللغة العربية للصفوف من (٧ – ٩)، وذلك من خلال مراجعة نواتج تنفيذ البرنامج في الدورات السابقة والاطلاع على التجارب والممارسات الإقليمية والعالمية في المجال، ورصد أبرز البرامج القائمة في الدول الأعضاء في مجال تطوير معايير مناهج اللغة العربية، لإعداد وثيقة بالأطر العامة والمبادئ والأسس التربوية التي تمكّن لتعليم وتعلم اللغة العربية للصفوف من (٧ – ٩) في مرحلة التعليم العام، ويأتي هذا الإصدار استكمالًا للإصدارات السابقة لمعايير الصفوف من (١ – ٣) وكتاب معايير الصفوف من (٤ – ٦).

كما أصدر المركز دراسة جديدة بعنوان: تطوير سياسات تقويم أداء الطلاب في اللغة العربية للصفوف من (٧ – ١٢)، حيث يُركز البرنامج على تطوير السياسات العامة لتقييم وقياس مخرجات تعليم اللغة العربية بما يحقق اكتساب الطلاب للمهارات اللغوية التطبيقية إلى جانب اكتساب المعارف المهمة في اللغة العربية، وذلك من خلال الاستفادة من البرامج التي نفذها المكتب في هذا



المجـال، ويهـدف البرنـامج إلى تطوير سياسـات تقويـم أداء الطلبة فـي اللغـة العربيـة لتعزيز فعاليـة تعلمها وتعليمها.

ويأتـي الإصـدار الثالـث لعـام ٢٠١٩م بعنـوان: تطويـر معاييـر اختيـار وإعداد وتدريب معلمي اللغة العربيـة ، ويركز هذا الإصدار علـى تطويـر عمليـات اختيار وإعداد وتدريب معلمـي اللغة العربية في التعليم العام، وذلك من خلال تقديم جملة من المعايير التي من شأنها المساعدة في رفع مستوى أداء معلمي هذه المادة المحورية في كافة عمليات التعليم والتعلم، وانتقائهم من بين أفضل القوى البشـرية المتخصصـة وذات الكفايـات العلميـة والمهنيـة العاليـة والقـادرة علـى أداء رسـالة المعلم علـى أكمل وجـه، وتقديـم جملـة مـن المعاييـر والمؤشّـرات العلميـة وفق آخر المستجدات التربوية؛ لتعزيـز كفايـات معلمي اللغـة العربية بـالدول الأعضـاء ومهاراتهم.

أمـا الإصـدار الرابـع فهـو دراسـة بعنـوان: إصـدار المـواد القرائيـة المناسبة لطلاب الصفوف من (٧–١٢) على ضوء ميولهم، وتـأتي أهميـة اختيـار المـواد القرائيـة فـي هـذا الإصـدار بدقـة وعنايـة في تحديد الميـول القرائيـة لطـلاب الصفـوف مـن (٧– ١٢) فـي الدول الأعضـاء بمكتـب التربيـة العربـي لـدول الخليـج سـواء أكانـت هـذه المواد ورقية أم إلكترونية، ووضـع قـائمة بـالمواد القرائية (الورقية، والإلكترونيـة) المناسـبة لهـم، وملبيـة لميولهـم واحتياجـاتهم، كمـا تراعـي قيـم المجتمـع وثقافتـه، وتحـافـظ عليهـا، وتـم تصنيـف هـذه القوائـم وفقًـا لميـول التلاميـذ فـي كل مرحلـة عمريـة، وهـم طـلاب الصفـوف مـن (٧–٩)، ثـم طـلاب الصفـوف مـن (١٠–١٢)، امتدادًا للإصـدار السـابق للصفـوف (١ – ٦).

بـالإضـافة إلى إصـدار دراسـة جديدة للمركز بعنوان: إسـتراتيجيات تدريس اللغـة العربيـة للصفـوف مـن (٧–١٢) فـي)ثلاثـة أجـزاء) ، ويهـدف الإصـدار إلـى تطويـر إسـتراتيجيات تعلـم اللغـة العربيـة للصفـوف (٧ – ١٢)، والـذي يأتـي اسـتكمالًا للإصـدار السـابق لإسـتراتيجيات تدريس اللغـة العربيـة للصفـوف (١ – ٦)، ويتكون الإصـدار مـن ثلاثـة أجـزاء؛ يتضمّـن الجـزء الأول تشـخيص واقـع اسـتخدام إسـتراتيجيات تدريس اللغة العربية للصفوف (٧ – ١٢) فـي الـدول الأعضـاء بمكتـب التربيـة العربي لـدول الخليـج (دراسـة ميدانيـة)، والجـزء الثانـي وهـو عبـارة عـن بنـاء دليـل تربـوي، أمـا الجـزء الثـالـث، فهـو حقيبـة تدريبيـة لإسـتراتيجيات تدريـس اللغـة العربيـة، وأدوات تعليميـة، وتقنيـة حديثـة في تدريـس اللغـة العربيـة للصفـوف (٧ – ١٢)، بـالإضـافـة إلـى تطويـر أداء المعلميـن فـي تدريس اللغـة العربية لصفوف هذه المرحلة من خلال تدريبهم على الإسـتراتيجيات الحديثـة والأدوات التعليميـة، والتقنيـة الحديثـة.

وفـي الختـام، نتوجـه بجزيـل الشكر والتقديـر إلـى صاحـب السـمو الشـيخ الدكتـور / سـلطان بـن محـمد القـاسمي «يحفظه **الله** ويرعـاه» علـى رعايتـه الكريمـة وتحفيـزه ودعمـه المسـتمر لمسـيرة المركـز التربـوي للغـة العربيـة لـدول الخليـج بـالشـارقة.

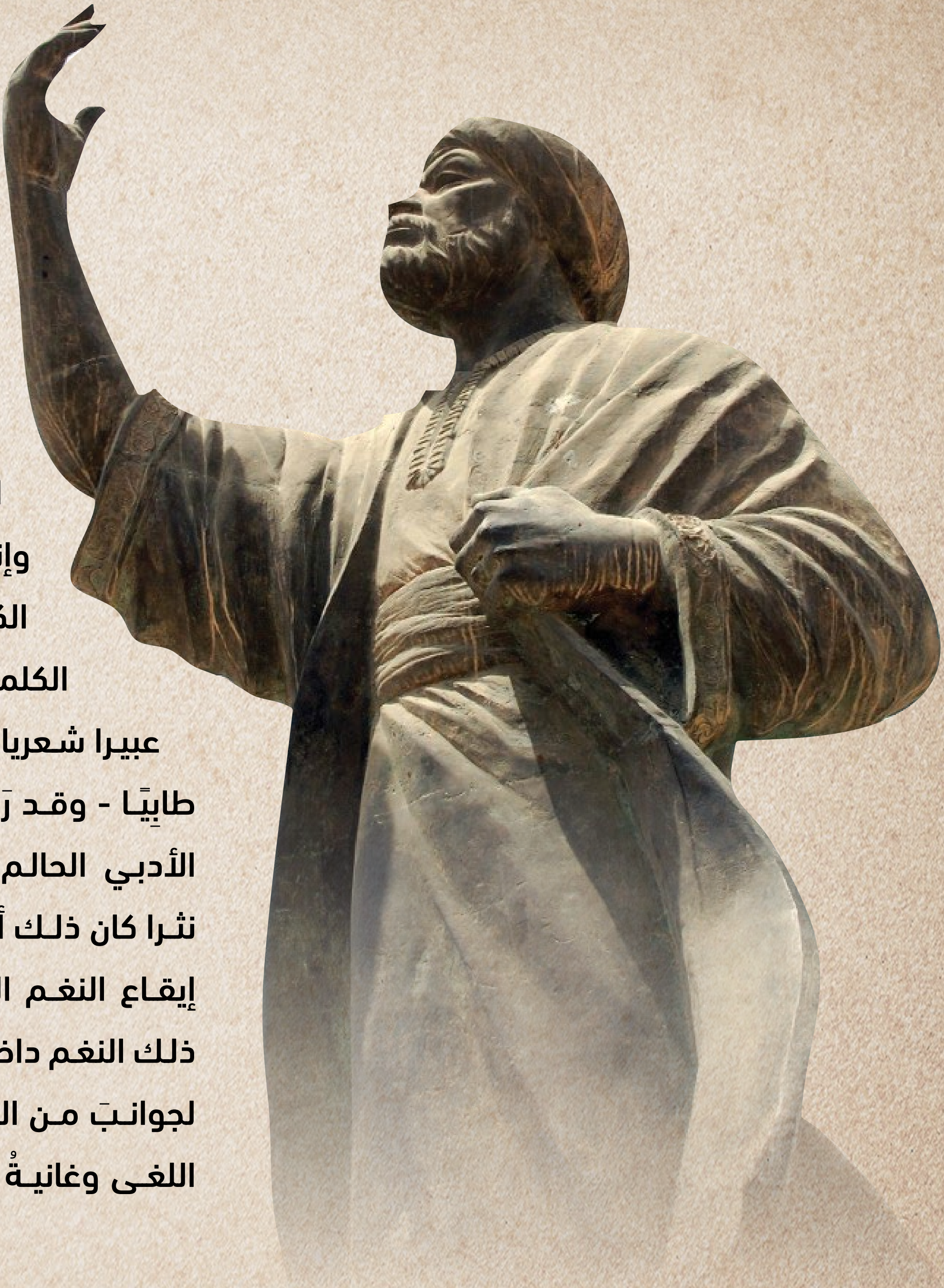


من صور الجمال الوصفي في الأدب العباسي



أ.د. إدريس عتيه

أستاذ بالجامعة القاسمية



لا يسعى هذا المقال إلى الغوص البعيد المؤصل في جميع مناحي النص الوصفي الأدبي في الأدب العباسي كافة ؛ وإنما سيحاول إشراك القارئ الكريم : في إضاءات من بهاء الكلمة العربية - وهي تَشذَى عبيرا شعريا أو يتضوع أريجُها عَرفا نثريا طابِيًا - وقد رَفَلَّتْ في حلل من الخيال الأدبي الحالم، وضُمّختْ بعَبَق الشعرية - نثرا كان ذلك أو شعرا - أو تراقصت على إيقاع النغم الداخلي الفتان، سواء كان ذلك النغم داخليا أو خارجيا وسنانَ ؛ تناولا لجوانبَ من الوصف – كما تَمْتَمَتْه خَودُ اللغى وغانيةُ الألسن وضاديَّة العُرب .

وللقـارئ أن يتسـاءل عـن الوصـف الأدبـي الـذي تعنيـه؟ ومـا الخيـال الـذي ترومـه ومـا النغم الـذي تصطفيه في وصـف الصورة الأدبيـة كلها؟

لا أريـد أن أثقـل – علـى القـراء الكـرام – بطائفـة مملّـة مـن التعريفات: بوصف ذلك جزءا من الإجابة وإنما سأكتفي بالإلماع إلـى ومضـات كشـافة؛ لألـجَ بعـد ذلـك صلـب الموضـوع وأهْتِـكَ (والتعبير للجاحظ) جوانبَ مـن أسـرار الوصـف المتشح بجمال العربية والمزدهي بروعة بيانها وسلاسـة بنيانها، والمزدان بدقة وصـف هـذه اللغـة لكل مَجالي الحيـاة: أكنانِهـا و أكوانِهـا.

ولعل عـودة سريعة إلى أمـات المعاجم العربيـة تنبئ بذلك ؛ إذ قَرنتِ الوصفَ بالتحليـة والتزيين ؛ كأنما أسَرّت اللغةُ العربيةُ معنـى مضافـا إلـى الوصـف وهـو التحليـةُ ؛ لمـا تزيده مـن مظاهر الزينـة ومَباهـج الرؤية:

١ – جاء في التهذيب للأزهري (ت: ٣٧٠هـ)

« قال الليث: الوَصفُ: وصفُك الشيءَ بحليته ونَعْته»

٢ – جـاء فـي « معجـم مقاييـس اللغـة « لابـن فـارس (ت: ٣٩٥هـ)

وَصَـفَ: الْـوَاوُ وَالصَّـادُ وَالْفَـاءُ: أَصْلٌ وَاحِدٌ، هُوَ تَحْلِيَةُ الشَّيْءِ «

٣ – جاء في « اللسان « لابن منظور (ت: ٧١١هـ)

« وصَف الشيءَ له وعليه وصْفا وصِفَةً: حَلاّه «

ويتّضـح مـن معانـي وصف (كمـا وردت فـي المعاجم المذكورة أعلاه) أن الوصـف يقتـرن بالتحلية والزينة والحسـن.

ويتعـدى الوصـف – لغـة واصطلاحـا – المعانـيَ: المعجميـة والاصطلاحيـة؛ ليشملَ لفيفا واسـعا من مضاميـن الثقافة العربية الإسلامية متجليا ذلك في علومها وفنونها وآدابها: فنجد الوصف (فـي علـوم مختلفـة منهـا مثلا: النحـو والبلاغة والفلك والهندسـة) وفي الفقه وأصوله: (المواصفة :فقه المعاملات ، أقسام الوصف : أصول الفقه) وفي الطب : (وصف الدواء) وفي الفلسفة : (الوصف: اصطلاح دُرِج عليه فـي مختلف حقبها ....).

ولا أريـد الاسترسـال فـي اصطـلاح الوصـف؛ لتشـعّب معانيـه وغناهـا فـي متعـدد مضاميـر المعرفـة، وميادين العلـم؛ وإنمـا سيُعنى هذا المقال: بالوصف غرضا وموضوعا من أغراض الأدب العباسـي: فـي رُوَائـه الفنـي الجمالـي، وصورتـه الأدبيـة كمـا – كمـا رُسم ذلـك فـي مخيّلات الشـعراء، وأَسَلات أقـلام كتـاب هـذا العصر الذي امتد فترة طويلة (١٣٢–٦٥٦هـ)، وقسّمه النقاد إلى عصرين أدبيّيـن: أوّل (١٣٢–٢٣٢هـ) ويسـمونه العصـر الذهبـي، وثـانٍ: (٢٣٢–٣٣٤هـ) ممتدّيـن بيـن هـاتيـن الفترتين.

لقد أسفر عن التمدد الزماني والمكاني الكبير للعصر العباسي: أنـه كان أدبـا ثريـا متنوعـا ووليدَ تلاقـح أكثرَ مـن حضـارة وعرق وثقافـة؛ ليثمر كل ذلك نَتاجا جعله أكثرَ الآداب العربية من حيث العددُ والموضوعاتُ والأغراضُ والقضايا.

ولا مجـال هنـا للإفاضـة فـي ذلـك؛ لأنّ الأمـر سَيَسْتَسـيلُ منّـا مدادا كثيرا، ويقتضينا إطالةً؛ قد تُخرجنا عن موضوعنا الأصلي الموسـوم « من صـور الجمـال الوصفـي فـي الأدب العباسـي».

تأصيل نقدي اصطلاحي للوصف:

يمنح ابن رشـيق القيرواني: العمدة . ص .٢٩٤ (٣٩٠–٤٦٣هـ) نصيبا كبيرا لغرض الوصف في الشعر عامة ؛ إذ يقول :

«الشـعرُ إلا أقلّـه : راجـعٌ إلـى بـاب الوصـف، ولا سـبيلَ إلـى حصـره واسـتقصائه، وهـو مناسـب للتشـبيه، مشـتمل عليـه، وليـس بـه؛ لأنـه كثيرا ما يأتي في أضعافه، والفرق بين الوصف والتشبيه : أن هذا إخبـار عن حقيقة الشـيء، وأن ذلك مجاز وتمثيل».

–ويقول حازم القرطاجني. المنهاج .ص .٥٥ (٦٠٨–٦٨٤هـ)

« إضـاءة: فمعاني الشعر على هذا القسم: ترجع إلى وصف أحوال الأمـور المحركـة إلـى القـول أو إلـى وصـف أحـوال المتحركين لهـا ، أو إلـى وصف أحـوال المحركات والمحركين معـا، وأحسـن القول وأكملـه: مـا اجتمـع فيه وصف الحالين».

ويضيف مشيرا إلى أهمية تناسب أحوال الشعر قائلا:

« تنوير: ولا يخلو الشيء في جميع تلك الأحوال من أن ينسب إلى الشيء بإيجابه له ، أو تزال نسبته إليه بسلبه عنه ، أو ينسب إليه لا على جهة إيجاب ولا سلب ، ولكن على جهة الاحتمال والإمكان

ولكن الشريف الجرجاني. التعريفات. ص ٣١٣. (٧٤٠–٨١٦هـ) يوسع تعريف الوصف توسيعا فلسفيا منطقيا إذ يقول:

الوصـف : عبـارة عمـا دل علـى الـذات بـاعتبار معنى هـو المقصود من جوهر حروفه : أي يدل على الذات بصفة كأحمر ؛ فإنه بجوهر حروفـه يـدل علـى معنـى مقصـود وهـو: الحمـرة فـالوصـف والصفة : مصـدران كـالوعـد والعِـدَةِ والمتكلمـون فرقـوا بينهمـا فقـالـوا :

الوصف يقوم بالواصف والصفة تقوم بالموصوف وقيل : الوصف هوالقائم بالفاعل «

– بعد أن تناولنا لمحاتٍ تعريفيةً للوصف لغة واصطلاحا: يجدر بنا ضربُ بعض الأمثلة على تجليات الوصف في مناحيه الجمالية والفنيةِ – كما تناول ذلك طائفةٌ من أدباء العصر العباسي:

من نماذج الوصف الفني الجمالي في النثر العباسي:

١. يصف ابن المقفع . الأدب الكبير.ص ٢١ (ت: ١٤٢ه) كيفية المحافظة على الصديق :

« اجعل غاية تشبثك في مؤاخاةِ من تؤاخي ، ومواصلةِ من تواصلُ توطينَ نفسكَ على أنه لا سبيل لكَ إلى قطيعةِ أخيكَ، وإن ظهر لكَ منهُ ما تكرهُ ؛ فإنهُ ليس كالمملوك تُعتقهُ متى شئتَ أو كالمرأة التي تُطلقها إذا شئتَ، ولكنهُ عِرضُكَ ومروءتُكَ؛ فإنما مروءةُ الرجلِ : إخوانهُ وأخدانهُ ؛ فإن عثر الناسُ على أنكَ قطعتَ رجلا من إخوانكَ، وإن كنتَ معذرًا: نزلَ ذلك عند أكبرهم بمنزلةِ الخيانةِ للإخاء والمَلالِ فيه. وإن أنتَ معَ ذلك تصبرتَ على مُقارّتهِ على غير الرضى ؛ عادَ ذلكَ إلى العيبِ والنقيصةِ .»

في هذه الفقرة يحث ابن المقفع الصديق على الصبر على صديقه ، واصفا ما يجري بين الأصدقاء من تَصادٍّ وتَعاتُبٍ وتغاضبٍ : غائصا في اكتناه أعماق النفس البشرية ؛ فبدا كأنه طبيب نفس يشخصُ الداءَ ويصف الدواء حتى لا ينصرمَ حبل الود ، ولا ينقطعَ سابقُ العهد : وفي ذلك يقول النابغة الذبياني

ولستَ بمستبقٍ أخا لا تَلمُهُ

على شَعثٍ أي الرجال المهذب ؟

ويقول بشار بن برد أيضا :

إذا كنت في كل الأمور معاتبا

صديقَك لم تَلقَ الذي لا تعاتبُهْ

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كُلُّها

كفى المرءَ نبلا أن تُعدَّ معايبُهْ .

كان أسلوب ابن المقفع في وصفه : سهلا ممتنعا ، وتدفقت لغته جذابةً أخاذة فتانة ، وبدت فواصله حاملة جرسا نغميا وفّر لها شعرية النص النثري كما يقول النقاد المعاصرون .

٢. يقول الجاحظ في وصف الكتاب الحيوان ص.١٢ (ت: ٢٥٥هـ):

«والكتاب وعاءٌ مُلِئَ علمًا، وَظَرْفٌ حُشِي ظَرْفًا، وإناءٌ شُحِن مُزاحاً وجِدًا؛ إن شئت كان أعيا من باقل، و إنْ شئتَ كان أبيَنَ من سَحْبانِ وائل، وإن شئتَ ضَحِكْتَ مِنْ نوادِرِه، وإن شئتَ عَجِبتَ من غرائبِ فرائده، وإن شئتَ ألهتْك طرائفُه، وإن شئت أشجَتْك مواعظُه، وَمَنْ لَكَ بِواعِظٍ مُلْهٍ، وبزاجرٍ مُغرٍ، وبناسكٍ فاتك، وبناطقٍ أخرسَ، وببارد حارٍّ؟!

– ومَنْ لكَ بطبيب أعرابيّ، وَمَنْ لَكَ برُوميّ هِنْدِي، وبفارسي يُونَانيّ، وبقَديم مولّد، وبميت ممتّع، وَمَنْ لَكَ بشيءٍ يَجْمَعُ لَكَ الأَوّلَ والآخر .»؟!

تحليل وصف الجاحظ الكتاب :

لا أرى أن الجاحظ : سُبق إلى هذا الوصف وفيه استعان بقدرته التشخيصية المعهودة مثل وصفه في كتاب : « البخلاء « ووصفه _أيضا _ لأحمد بن عبد الوهاب في « رسالة التربيع والتدوير» الساخرين وغير ذلك ؛ مستنهضا كاملَ قدراته البيانية والكلامية (بمفهوم المتكلمين) ومشخصا – في وصفه الكتابَ – ثنائيةً ضديةً جمعت بين الشيء ونقيضه مثل : الإفصاح / العي ، وبين الموت / الحياة ، وبين الصمت /النطق ؛ مما يذكر بالطريقة الراسمة الناحتة ، والجاحظية الساخرة التي اختطتها ريشته البيانية ، وتعد ذروة الأدب الوصفي الساخر ؛ إذ جمعت بين فلسفة السُّخْر، وتملك ناصية اللغة العربية : صوغَ أسلوبٍ وأداءَ تعبيرٍ.

كما يشي وصف الجاحظ للكتاب: بألفته للورّاقين وطول مكثه مطالعا وملتهما كلّ ما تحويه مكتباتُهم من أصناف العلوم، وأنواع المعارف .

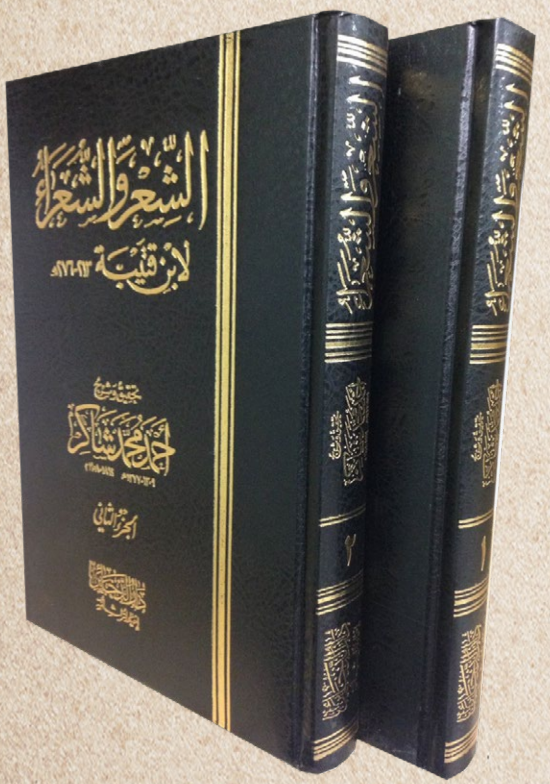
لقد كانت اللغةُ الوصفية الجاحظية : مشحونةً بركاز موسوعي هائل وهندسة للجمل البحرية : فكأنه يَقُدُّها قدًا ويَعُدُّ فواصلها

عدًا من حيث: انسجامُها وازديانُها بأنواع البديع والبيان: من سجع مُنوّع، وطباق مُطوّع، واستعارة في الإبداع معطاءٍ وكناية أربى في استعماله إياها على كل أديب مبدع في فن الوصف والإنشاء، وغير ذلك من أنواع البديع والبيان، وأساليب المعاني التي جعلت الكتابَ بقلم الجاحظ الموهوب: طِلبةَ الراغبين، وهدفَ المطالعين وبُغيةَ الناشدين؛ لما تحويه الكتب من جواهر العلوم، ومكنون الحكم وزواخرالتاريخ، لقد أفلح إمام المدرسة البيانية في النثر العباسي: أن يرسم للكتاب صورة خالدة، ولم يترك شاذّةً ولا فاذّةً من فضائله إلا ذكرها؛ مخاطبا بذلك: جميعَ الفئات والطبقات حتى لا يُبقيَ أحدا إلا والكتابُ: وجهتُهُ ومقصدُه بقدرته الوصفية الهائلة.

الوصف الفني الجمالي في الشعر العباسي:

يقول أبو تمام. الديوان ص.٣٣٢ (ت:٢٣١هـ)

رقت حواشي الدهر فهي تَمَرْمَرُ
وغدا الثرى في حلْيه يتكسرُ
نزلت مقدمةُ المصيف حميدةً
ويدُ الشتاء جديدةٌ لا تكفرُ
لولا الذي غُرس الشتاءُ بكفه
لاقى المصيفُ هشائما لا تُثمرُ
كم ليلةٍ آسى البلادَ بنفسه
فيها ويومٍ وبْلُهُ مُثْعنجرُ
مطرٌ يذوب الصحو منه وبعده
صحوٌ يكاد من الغضارة يُمطرُ
غيثان فالأنواءُ غيثٌ ظاهر
لك وجهُه والصحو غيث مُضْمَرُ
وندًى إذا ادّهنتْ به لِمَمُ الثرى
خِلت السحابَ أتاه وهْوَ مُعذّرُ
أربيعَنا في تسعَ عشْرةَ حِجّةً
حَقا لَهِنّك لَلربيعُ الأزهرُ
ما كانت الأيام تُسلب بهجةً
لو أن حسن الروض كان يُعمَّرُ
أولا ترى الأشياءَ إن هي غُيّرتْ
سَمُجتْ وحُسْنُ الأرض حين تَغَيّرُ
يا صاحِبَيّ تقصيّا نظريكما
تريا وجوه الأرض كيف تُصورُ
تريا نهارا مُشمسا قد شابه
زهرُ الربا فكأنما هُوَ مُقْمرُ
دنيا معاش للورى حتى إذا
حل الربيع فإنما هي منظرُ





تحليل الصورة الوصفية في هذه الأبيات:

الشاعر أبو تمام هو: ابن طبيعة الشام الساحرة الخالبة؛ فاختار مقدمة وصفية ربيعية لقصيدة: مدح فيها الخليفة المعتصم بالله العباسي؛ وقد تملكه سحرهذه الطبيعة الشآمية؛ فشخصها: فأرتْهُ صحوَها مطرا ومطَرها صحوا؛ كما تبدت له أزاهيرُها عيونَ غوانٍ؛ تزينّ بالحياء وقطراتُ الندى: كأنها عبراتٌ لؤلؤية روامقُ ودوامعُ بنضار من القطر؛ فاهتزت الأرض وربت وتهادت وقد وُشّيت بمختلف الألوان مخضرةً مونقةً ومصفرةً فاقعةً ومحمرةً قانيةً ومبيضةً يَققًا كأنها تحمل شاراتِ القبائل العربية وأعلامَها – حسب الألوان والسمات – نعم لقد وفق الشاعر بين الإبداع وبين البديع في هذا النص فكانت (مثلا) استعاراته وطباقاته وجناساته ورده الأعجازَعلى الصدورآيةَ ذلك وبرهانهُ أنه لم يلوأعناق البديع تكلفا لا صُورَه تعسفا.

كما تجلتِ الثقافة التّمّامية الواسعة متدفقةً في هذا النص ومتدثرة بما يشيع فيه من إيماءات – لا تخطئها العين إلى التاريخ والمنطق والفلسفة والسّوْفِ، فكان النص لوحة زاهية الألوان، تحمل من الإبداع كل عنوان، تنطبق عليها نظرية معروفة في الشعر الإنجليزي: تسمى نظرية الرسم والتصوير، وذلك بتحويل الشعر إلى لوحات ورسوم بدل الكلمات.

وختاما فقد تبين من نتائج هذا المقال:

– اقتران جمال النص الأدبي العباسي بعدسة المبدعين من الكتاب والشعراء في هذا العصر.

– استيعاب اللغة العربية للدقة الوصفية الإبداعية.

– سعة مدارك المبدعين الوصفية التخييلية

– رونق الكلمة العربية وشعريتها الفذة نثرا وشعرا.

وبعد هذا المنحى الجمالي الوصفي في الأدب العباسي





(وهـو ليس إلا غيضـا مـن فيض وحضضـا مـن بضض) يجب غَرزُ الطُمأنينـةِ في القلوب واستشرافُ الشُرَأْبيبةِ إلى المستقبل فـلا خـوف ولا قلـق علـى لغـة ﴿اقْـرَأْ بِاسْـمِ رَبِّـكَ الَّـذِي خَلَـقَ﴾ (سـورة العلـق، الآيــة الأولـى) إنـه الوحـي الإلهـي الخـالد الذي كفل البقـاء والخلـود :

﴿إِنَّـا نَحْـنُ نَزَّلْنَـا الذِّكْـر وَإِنَّـا لَـهُ لَحَـافِظُونَ﴾ (سورة الحجر الآية التـاسعة) مـا كتب الله على هذا الكوكب الحياة والوجود ؛ وحبـاهـا آلاءه تترى وأسبـاب ذلك البقـاء ؛ فقيض لها سلطانيها : سلطانَها الأخاذ الساحرَ البياني وسلطانَها القاسمي الذي يقود اليوم سفينة إنهاضها وهو العالم الربان (حفظه الله ورعاه) لا يخشى في ذلك المماخر والمعاثر؛ فمرحى لمحبي الضاد وبرحى للمتربصين لها بالمرصـاد : في كل سهل وواد.



قدرة اللغة العربية على صناعة المعرفة

أ.د. أحمد شحلان
أستاذ فخري بجامعة محمد الخامس
المغرب

رَمْيُ اللغة العربية بالعجز، هو جهلٌ أو تجاهل لماضيها وقدرتها على صنع المعارف. ولقد جَعَلَ الترويج لهذا الادّعاء شبابَنا من الراغبين في المعرفة اليوم، لا يؤمنون بلغتهم ولا يبذلون أي جهد لمعرفة ماضيها، أو الاطلاع على الجهود الجبارة التي بذلها علماء اللغة وصناع المصطلح. والتوسع في هذا الموضوع يتطلب حيّزاً كبيراً لا يتسع له مقال دورية. ولهذا اخترنا في هذا المقال، أن نقدم نبذة عن جهود الأوائل في هذا الباب، وجهود مؤسسة مختصة في صناعة المعجم. وكان الأمر يفرض علينا أن نتحدث عن المجامع العربية، وهي عريقة، وهي صاحبة عمل جبار بما وضعت من مصطلحات أو قعَّدت من قواعد من أجل تطوير اللغة العربية، غير أن البداية من هذا المسار، تستوجب التفاتة تاريخية لها بُعْدٌ في الزمان وبُعْدٌ في المكان، في حين أنا قصدنا من مقالتنا هذه، إطلاع شبابنا، على بعض المتوفر من مدوّنات معجمية علمية، لعلهم يتلمسّون من خلالها ما للغتهم من غنى، ويقدِّرون ما قام به أعلامُها من أمتهم، وهم يقربون إليهم لغة العلم. بل لعلهم يتجهون إلى هذه الأعمال التي توفرت لهم اليوم، فيفيدون منها في مؤسساتهم العلمية، ويأخذون العلم بلغتهم بدون واسطة لغوية أخرى، أو يستعينون بها، فيوفرون جُهدَ الفهم ويستثمرون حَيِّزَ الزمان للاستيعاب. وهذه بداية الجُهد :

كانت اللغة العربية قبل الإسلام في أصولها العريقة، لغة حضارات بلغت شأوًا في معارفها العقائدية والعملية، وفي آدابها وإبداعها. وتلون هذا الخلق اللغوي تبعاً لمصائر تلك الحضارات، فأتت عليه أحيان من الدهر أغنى واستغنى، وأحيان أخرى ضعف وافتقر. وقد كان للغة العربية قبل الإسلام، رواءٌ له مميزات جعلت من العربية لغة تستجيب لواقع تاريخي كان يعاصر مخاضاً لما آلت إليه مصائر هاتيك الحضارات، وهي تصارع ممالك شرقية وغربية تريد أن تستحوذ، أو تأمل أن تتخذ حليفاً نصيراً. غير أنها في جميع الحالات كانت تريد أن تفرض معتقدها الديني والمدني. وكان ظهور الإسلام خاتمة لذلك المخاض، كما كان في نفس الوقت بداية واقع اجتماعي له من المؤهلات ما جعله يُغيِّر حياة الناس، ويُوجِّه حضارتهم وجهةً غير وجهتها في سلوكهم ومعتقدهم وتعبيرهم. فزادت اللغة العربية ثراء حضارياً بنزول القرآن الكريم، وهو بلسان عربي مبين، وزادتها الأحاديث النبوية زخماً من المفاهيم والمصطلحات الجديدة مما لم يكن لها به علم. وكان لا بد لانتشار الكلمة في أصقاع بعيدة من أن يخلق هو أيضاً، واقعاً لغوياً جديداً، بدأ يتّسع في آفاق اللغة، في الدولة الأموية، مع الفتوحات والحاجة إلى التدوين والمحاسبة والجباية ووصف المسالك والممالك، وضرب العملة، ثم اتّخذ هذا التوسع اللغوي كلّ أبعاده في عهد الدولة العباسية وفي حضارة الإسلام في الغرب الإسلامي. ولم يعد من الملائم سرد هاتيك العلوم اللسانية والشرعية والفلسفية والعلمية والطبية التي رعتها الحضارة الإسلامية، لأنّ فعاليتها في مسار حضارتنا تنوب عن الذكر. فحضارة اليوم شاهد حيٌّ ناطق عما كان للغة العربية، تعبيراً ومصطلحاً.

ومن الطبيعي أن يُصيب الوهنُ الأممَ والشعوب، وقد دَبّ في أَوْصال ذوي اللسان العربي، لأسباب مقبولة في عرف التاريخ. وكونت أمم الغرب حضارات مادية سرت عُمْقاً في أعماق المحيطات، وسمت ارتفاعاً تَجُوب المجرات، ونفذت أفقاً في عقل الإنسان وجيناته، وهي عين على ما دَقّ في دماغه وما تَمَجْهر في خلاياه. كما أن العالم اليوم تقلص ليصبح نقطة في شاشة الحاسوب يقلّبُها الإنسان حيث شاء، وينفذ أبعادها من أين شاء، أو فضاء رحباً يجمع شتاتَه عالَمُ المنقولات المرئية أو



المسموعات المنقولة. وهذه هي التحديات الكبرى التي على لغتنا العربية أن تكون قادرة على السير في موكبها والتحدث بنفس لغاتها والقياس على معاييرها. أو بمعنى آخر، فهذه هي القضايا الكبرى التي على اللغة العربية أن تتعامل معها بيُسر وتمكُّن، ليعود للغة العربية ما كان لها عندما كانت صانعة للمعرفة والحضارة، وكانت واهبتهما للأمم الأخرى.

ولا تتحقق هذه العودة إلا بترسيخ مكانة اللغة العربية وإغنائها مصطلحاً، وتطويعها متناً، باستعمال كل الأدوات الجديدة التي ترتبط بالبرمجيات والمعلوماتيات وما وصل إليه علم التلقين والتعليم. ليتعدّى الأمر بعد ذلك إلى امتدادات أخرى تشمل مجال التربية والحضارة والعلم والتقنيات وقضايا الكتابة والحرف والرموز وكل مجالات الثقافة التي تعكس نشاط الإنسان في حياته اليومية ومشاغله الإبداعية واختراعاته النافعة في التدبير والصّوْن، وتحميه من أسباب التسرّب الذي يكتسي جوانب حضارية لها من الخصوصيات ما يجعلها مخالفة لسلوكنا الحضاري المتميز بالاعتدال والتوسط والتكافل.

لقد جابه هذه القضايا أو قريباً منها، أسلافُنا فاستطاعوا أن يصنعوا من لغتهم العربية لغة علم في مجالات الفلسفة والرياضيات والطب والكيمياء والفيزياء وعلم الحِيَل وعلوم إنسانية أخرى لم تكن



مـن صميـم اهتمـام مـن سبقهم فـي تاريـخ العـرب، ونجحـوا فـي مهمتهـم لأسـباب منهـا:

١. أنّ الإسلام قدّس العقل والإنسان، وجعل الإرادة خادمة للعقل، والعقلَ خادماً للإرادة، وجعل كمالهما طريقاً إلى السعادة الأبدية التي لا تقيس الأمور بعاجل الجزاء، فأخلص العلماء أنفسَهم لبلوغ هذا المقصد الأسمى.

٢. أنّ الأنموذج الحضاري الذي سبق الإسلام، سواء لدى الشعوب العُرْبانية (السامية) أو الشعوب الأخرى، كاليونان والرومان والفرس، لم يكن يمثل قمة علمية لا يمكن الوصول إليها. والدليل على ذلك أن اللغة لعربية اكتسحت مواطن تلك الحضارات في وقت كانت مجتمعاتها متداعية روحاً واجتماعاً واقتصاداً وعلماً.

٣. أن المسلمين عندما أرادوا أن يؤسسوا علومهم الخاصة بهم، اعتمدوا علوم سابقيهم، وكانت تلك العلوم في كل مجالاتها الفلسفية والطبية قد وقفت في التاريخ. بمعنى أنها أصبحت محصورة في الخلق والإبداع. وهذا «التّجمّد» مكّن العرب والمسلمين من الإحاطة بها مصطلحاً، إما توليداً أو تعريباً أو خلقاً. وعندما حرّكوا هاتيك العلوم الجامدة وأخرجوها من حدودها التاريخية التي وقفت عندها، كانوا هم أصحاب السلطة اللغوية وأصحاب القدرة على الخلق في الآلة والعلم، وبالتالي في صناعة المصطلح.

غير أنّ أمتنا لم تعد تملك زمام قدرتها العلمية، لأنها عاشت واقعاً مناقضاً للأسباب المشار إليها أعلاه، من ذلك:

١. لم يستطع العقل العربي أن يخدم الإرادة العربية نتيجة للانكسار الحضاري الذي تعرض له العرب والمسلمون بعد نكباتهم التاريخية المعروفة. وبعد الابتلاء بالاستعمار الذي كان يريد أن ينهب خيرات أمتنا العربية الإسلامية شرقاً وغرباً، فحوّل مقولة رجال الكنيسة التي كانت تعني: «كلما كان الإنسان جاهلا، كان أقرب إلى **الله**»، إلى مقولة أخرى هي: «كلما كان المستعمَر جاهلا، مكّن من نفسه وخيراته لمستعمريه».

٢. أن أمم الغرب كوّنت لها حضارات مادية طفرت بها طفرة لم يعرف لها التاريخ مثيلا، واجتمعت عليها كلمةُ علماء الغرب بعد أن استفاد أهله من علم قديم أسهمنا فيه، ومن خيرات مادية ابتُزّت منّا، وعند نهوضنا من غفوتنا تلك، وجدنا أممَ



الغرب ذهبت بعيداً في ضروب العلم، فأُصِبنا بهَلَع المسافة، وبحركية العلم، وبتضافر جهود أصحابه. وكلها أمور لم يعرفها أجدادنا عندما أسسوا علمهم. أو بمعنى آخر، استعظمنا عقدة الدُونيّة، ووصل جلنا إلى حقيقة مفادها أن علمنا لا يمكن أن يكون إلا تابعاً لعلمهم، وبالتالي فإن أصلح اللغات هي تلك اللغة التي استعملها أولئك الناس. وهذا الشعور، لسوء حظنا، هو الذي جعلنا نقع في غير المعقول، أي جعلنا نعتقد أن للعلم جنسيةً، في حين أن أجدادنا لم يسلكوا نفس المسلك، واعتبروا العلم واجباً إنسانياً تسهم فيه الأمم بقُدُراتها ومقدّراتها. فهو لكل الناس وليس لأمة بعينها، شريطة أن تكون المساهمة المبدعة، وبالتالي فإن الذي يميز تلك المساهمة الإنسانية ويعطيها خصوصيتها هو اللغة.

إن النظر في واقع العلم بهذا المفهوم، مفهوم المساهمة الإنسانية، وإن إيمان بعض أعلام أمتنا في العصر الحاضر بقدرة العقل واللغة العربيين، جعلاهم يستنهضون الهِمَمَ لتدارك ما فات، وكان البدء بمعرفة العلوم الحديثة قبل المساهمة فيها، ثم بتطويع اللغة العربية لتصبح أداة سليمة نفهم بها هذا العلم أوّلاً وقبل كل شيء.

وتعدّدت الجهود اللغوية في كل مجالات المعرفة، وكان لمجامع اللغة العربية أثرها الكبير في تطويع اللغة العربية نحواً ومعجماً. وتعتبر مجلاتها وتحقيقاتها ومعجماتها ومؤلفات أعلامها، المصادرَ الأساس للغة العربية المعاصرة. وقد كانت المجامع قدوة لعلماء ومؤسسات ممن اهتم بتطوير اللغة العربية في مجالات من العلوم مختلفة.

أفكار في المعجم التّاريخيّ



أ.د. صالح بلعيد

رئيس المجلس الأعلى للغة العربيّة – الجزائر

إنّه من الأهميّة بمكان أن يأتي حين من الدّهر لاستدراك ما كان يجب أن يكون، ولكن لم يحصل أن كان، وهذا ما ينطبق على معجمنا التّاريخيّ الذي طال موعد ظهوره، لظروف قاهرة جعلت كلّ الأفكار والمشاريع تعيش القهقرى وتراوح مكانها للعديد من الأسباب. وإنّا لنعلم أنّ من بين أسباب تخلّف لغتنا في الوقت الحاضر أنّها لم تصل إلى تدوين كلّ ماضيها، والمدوّن منها لم تعمل على تحيينه، فبقيت الأمور تعيش الفراغ وراء أحلام لا تعي الواقع، ولا تلاحق الحاضر. وإنّه لو كانت لنا الدّراية الشّاملة لبدأنا بما هو أساس.

هو أساس لأنّه يحلّ الكثير من قضايانا اللغويّة التي نراهن عليها للنهوض اللغويّ، بعد الاستثمار البشريّ، ولا يكون الاستثمار البشريّ غائباً عن المادّة اللغويّة التي نحن بحاجة إليها عبر الأزمان. وهنا نجمع بين الاستثمار في البشر المقرون بالاستثمار في المادّة اللغويّة التي هي مكوّنة هذا البشر. وذلك هو تراثنا الأثيل والأصيل الذي يحمل الزّاد الوفير، ونحن له ناكرون. وها قد جاء النّهوض والوعيّ المقرون بالإرادة، فهل يمكن تحقيق (المعجم التّاريخيّ) الذي بقي عالقاً لأكثر من ثمانين (٨٠) سنة، ونحن نذكر بدايات ما كُتب فيه، ونعجز عن مُواصلة الدّرب، بل نعجز عن ملاحقة اللغات التي أنجزت ذخائرها، وخرجت من التّخلّف. وهل يمكن أن يتحقّق الحلم في وقتنا الحاضر؟ يمكن بل سيكون المعجم التّاريخيّ للغة العربيّة، وعن طريقه ستحدث نقلات نوعيّة في تطويرها تطويراً يجعلها

تقف أمام ندّاتها وتقول: ها قد عُدْتُ. ومن خلال هذا أريد نقل أفكار للقارئ بخصوص التّصوّر الذي أملكه عن المعجم التّاريخيّ، وقد تنامت هذه الأفكار عبر اطلاعي على المصادر، وعملي في بناء التّصوّر الأولي للمعجم التّاريخيّ للغة العربيّة الذي شرع فيه اتّحاد المجامع اللغويّة العربيّة.

كلمات تعريفيّة للمعجم التّاريخيّ:

إنّ المعجم التّاريخيّ للغة العربيّة هو مشروع النّهضة العربيّة في كلّ مرافقها، وهذا لعدّة اعتبارات؛ حيث إنّ اللغة العربيّة بحاجة إلى التّأريخ لقضاياها والتّأصيل لها من خلال ما فيها من شواهد. وهذا التّأريخ يأخذ أبعاده القوميّة والحضاريّة والعلميّة والتّربويّة، بغية الكشف الدقيق عن المراحل التي عرفتها في غابر أزمانها، والمراحل التي مرّت بها إلى الوقت الحاضر، ومن هنا فإنّ المعجم التّاريخيّ:

- سيؤكّد أصالة هُويتنا العلميّة والحضاريّة واللغويّة من خلال جمع مدوّنات اللغة العربيّة ويعمل على التّأريخ لها، ولا شكّ أنّ هذا له دور في التّعبير عن تلك الهُوية، باعتباره رصيد الأمّة العربيّة الفكريّ، وذاكرتها اللغويّة والثّقافيّة هي اللغة العربيّة؛
- سوف يسدّ المعجم التّاريخيّ فراغاً في قلّة المصادر والمراجع، ويجيب حقيقة عن كلّ خصوصيات اللغة العربيّة بعمق وبدقّة متناهية، مركّزاً على النّواحي التّطوّرية؛
- ستُوضع العربيّة بفضله موضع اللغات العالمية الحيّة التي أنتجت معاجمها التّاريخيّة؛
- سيؤكّد المعجم التّاريخيّ الروابط اللغويّة الجامعة بين مستعملي اللغة العربيّة، ويوضّح مدى ارتباط هذه اللغة بأهلها وحضارتهم، وبالأجناس الذين خدموها عرباً كانوا أم غير عرب.
- سيؤكّد المعجم التّاريخيّ أصالة اللغة العربيّة وعمقها السّحيق، وسيساعد على دراسة اللغة العربيّة دراسة علميّة، ووصفها وصفاً لسانياً دقيقاً، ويجيبنا عن قدمها بين اللغات العروبيّة، كما سيعرّفنا على العربيّة القُدمى، وعلاقتها باللغات السّريانيّة، الثّموديّة، الصّفوية، الحبشيّة، النبطيّة العبريّة، الكنعانية...
- سيدحض المقولة الخطأ: السّامية أمّ اللغات.
- سيكون المعجم التّاريخيّ مرجعاً لكلّ المطالب، وسيلبّي رغبات كلّ باحث في اللغة العربيّة، وسوف يجيب كلّ سائل عن أيّة لفظة، شاهد، مسكوك، مثال، وصف حيوان، جماد... قيل في اللغة العربية.
- سيُمكّن من تدقيق قواعد اللغة العربيّة، كما يساعد الباحثين في كلّ الاختصاصات من إنجاز أبحاثهم بشكل دقيق، كما سيمكّننا من تدقيق معاجمنا المدرسيّة، ومن تصحيح شواهد العربيّة.
- سيمكّننا الوصول إلى المادة الأصل في اللغة العربيّة، والوصول إلى كلّ المظان، ويكون مادة لوضع المعاجم المتخصّصة.
- ستدخل العربيّة عبره ميدان الصّناعة المعجميّة، وسوف يكبر فيها الاهتمام بما تملكه من زاد معرفيّ قديم وحديث؛ حيث يكشف عن أصالتها و علميتها .

وبإنجازنا لهذا المعجم يمكن أن نقول: إنّنا نستطيع تحرير تاريخ معجم اللغة العربيّة بصورة متكاملة متّصل الحلقات، مستوعبا لكلّ الجوانب، وبه يكتمل وعيُنا بلساننا المبين، وندرك صراعه من أجل البقاء والازدهار.

إنّ التأريخ للغة العربيّة لذاتها يستدعي تأريخاً يستتبع مراحل نشأتها في البداية، فنحاول التّعرّف على ظروف نموّها وارتقائها وتغيّرها وتطوّرها، من خلال ماضيها الطويل بمنعطفاته العديدة وخطوطه المتشابكة المعقّدة، وتحدّياته الكثيرة المتلاحقة، كما يستدعي ذلك الرجوع إلى البلاد التي ساهمت



في دراسة وترقية وحفظ تراث العربيّة؛ والذي يتوزّع على كلّ من مصر، وبلاد الشّام والعراق، والجزيرة العربيّة، وإيران، وآسيا الوسطى، والمغرب العربيّ، وبلاد الأندلس، والدّولة العثمانيّة، والبلقان، وشبه القارة الهنديّة، وجنوب شرق آسيا وشرق إفريقيا وغربها، وجزر القمر... ومن هنا فإنّ المعجم التّاريخيّ عمل جبّار، سوف يكشف عن كنوز العربية، وعن معارفها التي ظلّت مجهولة، كما يؤرّخ للعربية على اعتبار أنّها ديوان لتاريخ العرب والمسلمين، واهتمامنا بالمعجم التّاريخيّ، يعني أنّنا نحتكم إلى التّاريخ الذي يظهر لنا قِدَم العربيّة، وتتجلّى لنا فيها السّيطرة العامّة على العلوم وأولوية التّرجمات؛ فيرينا بذلك مساحة العربيّة من الذّيوع في المهجر، وعبر بلدان الشّرق الأدنى، كما أنّ الاهتمام بالمعجم التّاريخيّ للغة العربيّة؛ يعني تحليل مقاصد الإصلاح والتّحديث على المستوى الثّقافيّ العربيّ والإسلاميّ، فالحاجة ملحّة لتطوير المساق المنهجيّ الذي اتّجهت إليه الدول العربيّة في وقتنا الحاضر إلى تطعيم علميّ يلحق بآليات العصر، ووفق ما تقوم به الدول الغربيّة في مجال الاهتمام بلغاتها.

مزايا المعجم التّاريخيّ:

إنّ المعجم التّاريخيّ يستوعب ما استعمل في نصوص العربيّة كلّها من مفردات لغوية؛ حيث يدوّن متن اللغة العربيّة تدويناً استيعابياً بعيداً عن المفاضلة بين العصور والبلدان، فيربط الحاضر بالماضي، ويزيل الحواجز التي كانت تُقام بين ما هو فصيح وما هو غير فصيح، ويُظهر العربيّة على أنّها لغة مُتطوّرة،



وليست لغة البداوة تعبّر عن واقع مضى، كما يكشف عن آلاف من الوحدات المعجميّة التي كانت من المولّد وأُهملت.

ويمكن تلخيص مزاياه وأهدافه في النّقاط التّاليّة:

- الاطلاع على كلام العرب وحضارتهم.
- معرفة ما حصل من تطوّر في الدلالات العامّة والخاصّة لكلّ لفظ.
- معرفة ما هجر من ألفاظ وما استحدث.
- معرفة المصطلحات ودلالاتها عبر الزّمان.
- معرفة المبانيّ والمعانيّ والصّيغ والتّراكيب والجوانب البلاغيّة لألفاظ اللغة.
- معرفة الحقول الدلاليّة لألفاظ اللغة العربيّة.
- معرفة اللفظ الأصيل والمولّد والأجنبي.
- معرفة زمن استعمال اللفظ، ومن استخدمه، وأين، وفي أي عمل، وعدد تكراره.
- التّرسيخ العلمي للغة العربيّة، ووجود مدوّنتها الكبرى، وتغني عن كلّ المدوّنات العربيّة.
- إنجازنا للمعجم التّاريخيّ، يكون أرضيّة لاستخراج المعاجم الآلية المتخصّصة.
- إفادة بمعلومات تخصّ الكلمة العربيّة عادية كانت أو مصطلحاً.
- معجم يكشف عن تاريخ ظهور الكلمة، وبأيّ معنى، وما المصدر الذي وردت فيه، وما هي السّياقات التي وردت فيها، وما المجال المفهوميّ الذي تنتمي إليه، وكيف تطوّرت دلالتها.
- إفادة بمعلومات تخصّ الجذور.
- إفادة بمعلومات أجناس الكلام.
- إفادة بمعلومات عن الحروف والصّيغ وما له علاقة بالعروض.
- إفادة بمعلومات تخصّ الجانب الحضاريّ أو العلميّ.
- إفادة بكلّ ما له علاقة بالجانب اللغويّ...

خصائص المعجم التّاريخيّ:

يتناول المعجم التّاريخيّ التّحديد الدّقيق للكلمات واستمرارها أو اختفائها، كما يعمل على تحليل لغة كاتب/ شاعر/ قاصّ/ روائي/ عالم/ خطيب/ طبيب/ جرّاح/ طيّار/ مهنيّ... وإحصاء مفرداته بكيفية آليّة. وإنّ المعجم التّاريخيّ لا يقف عند عصر، ولا يدرس الكلمة مجرّدة عن نصوصها، ولا يضيق متنه بكلّ ما دوّن في العربيّة، فيضّم القديم كلّه، ويستوعب الجديد المتوالي، ويبقى مفتوحاً لتعاقب الأجيال، ويعمل على دراسة المستوى الدلاليّ للغة في ضوء مباحث وقضايا علم اللغة التّاريخيّ؛ بالرّجوع إلى كلّ النّصوص العربيّة، والإشارة إلى مصادرها ويدلّنا على الاستعمال الأوّل، ومن مستعمله، وأين ومتى، ومدلول اللفظ، وشيوعه أو عدم الشّيوع. وإنّ المعجم التّاريخيّ المنشود، كذلك لا يقف عند حدود جمع التّراث، بل يستجيب للمعاصرة، ويكون شاملاً وسهلاً ومجيباً لكلّ المرغوب، باستغلال التّقنيات المعاصرة. وممّا لا شكّ فيه أنّ التّطوّر العلميّ والحضاريّ والمعرفيّ الذي وصل إليه العالم اليوم، والتّقدّم الهائل في وسائل البحث وأدواته، يتطلّب إعداد معجم تاريخيّ للغة العربيّة يواكب النّهضة المعاصرة، ويفي بمتطلّباتها، ويعين الباحثين، ويشمل على جميع الألفاظ، ويعتمد

منهجاً دقيقاً في إيراد المعاني وترتيب الألفاظ، ويفيد من التّطوّر الثّقافيّ لتسهيل عملية الرّجوع إليه، هذا من جهة، ومن جهة أخرى علينا الاحتجاج بالتّجارب النّاجحة، من مثل التّجربة النّاجحة لمعجم أكسفورد التّاريخيّ الذي سجّل مفردات اللغة من حيث مبانيها ومعانيها تأريخياً، فقد غطّى مفردات اللغة الإنجليزيّة تغطية شاملة؛ حيث سجّل تاريخ استعمال الكلمة، ونموّ معناها وصلاتها، كما سجّل الكلمات المهجورة، وحدّد آخر استعمال لها. كما يمكن أن يفيد من تلك المعاجم التّأثيليّة للغة الفرنسيّة التي أنتجت معاجم خمسة (٥) في هذا المجال، وهناك تجارب أخرى لكثير من الدّول، واستطاعت تسجيل تاريخها اللغويّ بما تملك من وسائل عتيقة، ولكنّها ما فشلت ولا وهنت بل مضت في جمع مدوّناتها من مختلف المظان، وأخرجت معجمها التّاريخي.

وجب أن نضع في الاعتبار أنّ المعجم التّاريخيّ للغة العربيّة ليس معجماً عادياً، ولا موسوعة مطوّلة، بل هو ديوان لغة العرب؛ باعتبار أنّ اللغة العربيّة أوسع الألسنة لكثرة انتشارها وشموليتها وكتَبَ فيه العرب وغير العرب، إلى جانب مراعاة خصوصيّة هذا اللسان؛ من حيث قدمه وعلاقته باللغات العروبيّة القُدمى، إلى جانب أنّه لسان الوحي والنّاموس، وهذا اللسان له سلطان عرب الجنوب عامة، ولسان حمير خاصّة، ولسان عرب الشمال الذي أصبح مثالاً يُحتذى بعد القرن السّادس الميلاديّ. ومن هنا فإنّ المعجم التّاريخيّ للغة العربيّة:

- يسجّل بدايات اللغة العربيّة، وعلاقاتها باللغات الحاميّة، بدءاً من عصر النّقائش إلى بداية ظهور العربيّة في صورة كتابتها بخطّ المسند.
- يسجل كلّ لغات (لحون) العربيّة المكتوبة، بدءاً من القدامى، فيبدأ من تلك اللغة المدوّنة والتي تمتدّ جذورها من دوحة لغة عاد وطسم وجديس ويعرب وقحطان وجُرهم وقطراء، وغيرها من القبائل العربيّة؛ فيسجّل لغة عدي بن زيد في الحيرة، ولغة أمية بن أبي الصّلت في الطّائف، وكلّ من عاشوا في بلاد الحيرة، وفي بلاط الغساسنة في الشّام، فهو معجم يسجّل ما توارثناه من عربيّة الرّهبان واليهود والنّصارى وأهل الفرس.
- يعمل على تشقيق أثل اللفظ من فصيلة ما من فصائل اللغات المنتشرة على صعيد شبه الجزيرة العربية، ثمّ خارج الجزيرة العربية.
- يولي مسألةَ التّعريف الدلاليّ أهميةً خاصّة، ويعالجها من جميع جوانبها، وهو لبّ الأمر في المعجم التّاريخيّ؛ لأنّه يغوص في حمولة اللغة عبر العصور والأزمان، وما عرفته المادة من تحوّلات في المبنى والمعنى.
- معجم تاريخيّ شامل كبير موسّع «يتقصّى معاني اللفظ في مختلف العصور والبيئات ولدى كلّ الطبقات الاجتماعيّة؛ سواء كان اللفظ عربياً أصيلاً فصيحاً، أو كان معرّباً أو دخيلاً، أو مُولّداً. تذكر معانيه كلّها دون إهمال معنى منها، مع مقارنة هذه المعاني في لغتها الأصلية في المعرّب والدّخيل بمعانيها في العربيّة.
- معجم تاريخيّ لا يتوخّى الاختصار؛ لأنّ غرضه تسجيل وتصنيف وعدّ وتحليل كلّ لفظ عربيّ.
- معجم تاريخيّ لا يترك الرّسائل ولا التّصانيف المطوّلة والأسفار الكثيرة، ولا يهمل الغريب، ولا ينسى تلك التّصانيف التي ما زالت رهينة القماطر، حبيسة القراطيس؛ الموزّعة في خزائن المكتبات بجميع المخطوطات، كما لا يستثني المنظومات والألفيات، وسائر الصّنائع السّجعيّة والمقامات، وما نجده في الأسفار الأدبيّة والتّاريخيّة والعلميّة والاقتصاديّة والقانونيّة والاجتماعيّة والنّفسيّة، دون أن ننسى السِيَر وكتب الطبقات وكتب المعارف.
- معجم تاريخيّ لا يترك كتب معاني القرآن، ومجازه، ومشكله، وإعجازه، وغيرها من المصادر؛ سالكاً التّأريخ من القديم، والتدرّج في التّأريخ إلى الآن.
- معجم تاريخيّ يتتبع كتابات الأئمة وعلماء

العربيّـة السّـالفين واللاحقيـن والخالفيـن حسـب التّسلسـل المنطقـيّ التّاريخـيّ.

- معجـم تاريخـيّ لا يتـرك قـول شـاعر مـن الشّـعراء، فـلا يتـرك لفظـة شـعراء المعلّقـات، وسـائر شـعراء الجاهليّـة، والشّـعراء المُقلّيـن والمُخضرميـن، وسـائر الشّـعراء القرشـيين، وشـعر المجهوليـن والشّـعراء الأكثـر احتجاجـاً بشـعرهم، بـدءاً بالأدنـى فالأدنـى.
- معجـم تاريخـيّ تلعـب فيـه الشّـواهد الـدّور الهـامّ، ومنهـا تُختـار المداخـل، ومـن سـياقاتها تسـتخرج معانيهـا، ومنهـا نسـتدلّ علـى تطوّرهـا عبـر العصـور.
- معجـم تاريخـيّ لا يتـرك لفظـة مـن الألفـاظ المُسـماة بالوحشـيّة والمتناهيّـة فـي الغرابـة والنّـدود قصـد التِماس الأصالـة والفطـرة.
- معجـم تاريخـيّ يعـود إلـى لغـة النثّـار والشّـعراء: صعاليكهـا وشُـذاذها وخُلعائهـا وعماريطهـا والشّـعراء اللصوص.
- معجـم تاريخـيّ يلاحـق كلّ صغيـرة وكبيـرة مهمـا تلاحقـت الأعصـار، وتـواردت الأدهـار.

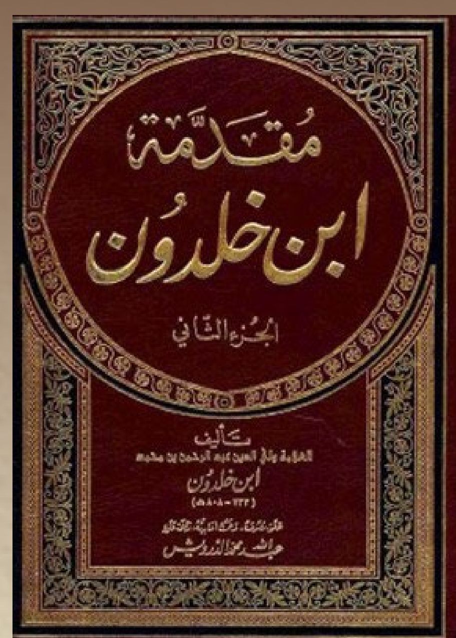
اللغة والإبداع العلمي



أ.د. أحمد بن محمد الضبيب
مدير جامعة الملك سعود سابقًا

عندما أتم الله خلق آدم لم يطلقه إلا بعد أن منحه اللغة، فعلّمه الأسماء كلَّها، ثم بيَّن مزيَّة هذا الإبداع الربّاني، عندما سأل الملائكة عن الأسماء، فنَفَوْا علمَهم بها. وهي المعرفةُ التي امتاز بها آدم على جميع المخلوقات، وبذلك تبيّنَ فضلُ هذا الإنسان الذي أبدع الله خلقه. اللغةُ إذن، هي مزية الاكتمال الإبداعي في الإنسان، ومن أجل اللغة سُمِّي الإنسان منذ القدم بالحيوان الناطق.

إنّ العلاقة بين اللغة والإبداع علاقة عضوية؛ إذ لا يوجد إبداع حقيقي مكتمل بدون لغة قوية مكتملة. ويتأثّر الإبداع بضَعف اللغة أو عدم اكتمالها عند المبدع.



ولذلك فإن اللغة ضرورية لأيّ إبداع سواء أكان علميا أم تطبيقيا أم كان أدبيا. بل إنّ من المؤكد أنّ أيّ إنجاز علمي ذي بال لابد له أن يكون قد مرّ – قبل تكوّنه وأثناء تكوّنه وحين تنفيذه– من خلال لغة قادرة على التعبير عن مكوناته بدقة، حتى يصل إلى مرحلة التنفيذ الحقيقي، واستفادة الناس منه.

بل إن إبداعات الأمم، على المستوى الإنساني، وتحقيق إنجازاتها الكبرى لم تتم إلا من خلال لغة مفهومة ومتداولة بين أفراد مجتمعاتها، تلك هي لغاتها المحلية، التي نقلت إليها

العلوم وشاعت بين أفرادها من خلال هذه اللغات، ليس لكونها أفضل وسيلة لنقل الفكر العلمي وحسب، ولكن لأنها أيضا أقدر على جودة التفكير فيه. فباللغة الوطنية أو القومية يتخلق التفكير العلمي في المجتمع، ويجد الأرضَ الخصبة التي تُمِدّه بالغذاء والنماء، حتى يستوي على سوقه، ويصبح فاعلا رئيسيا في نهضة الأمة وتقدمها، بل في نهضة البشرية جمعاء.

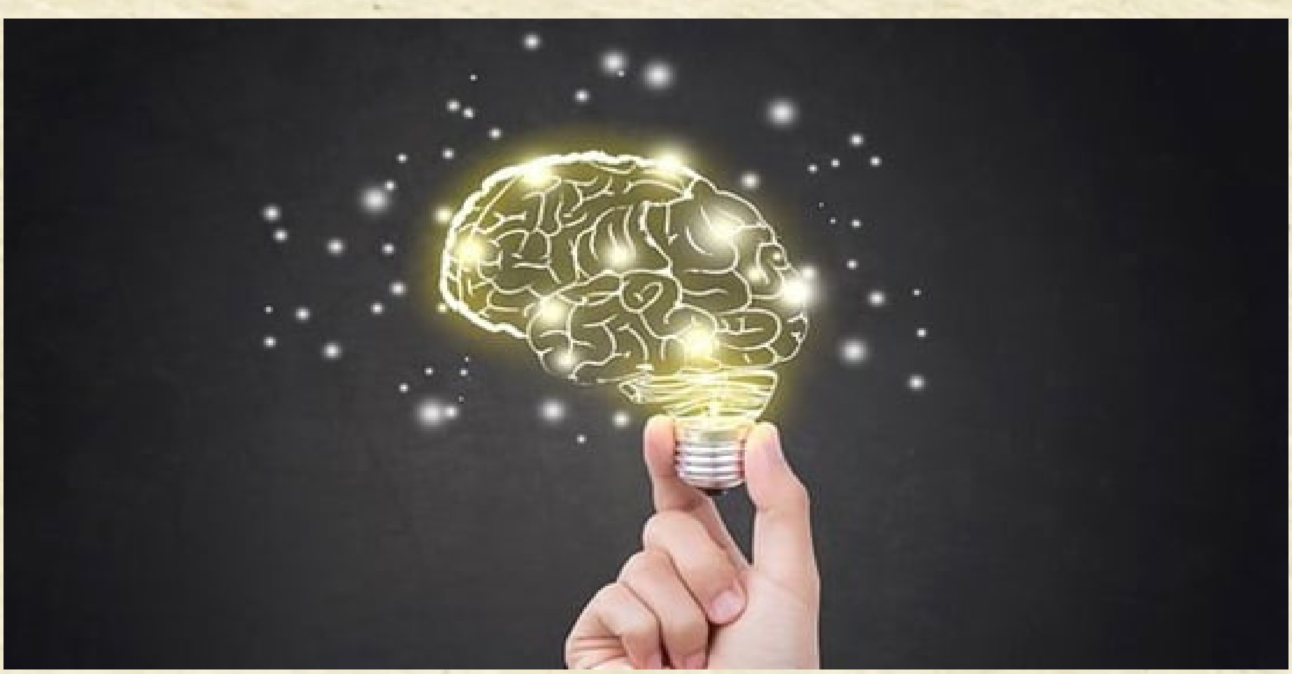
ولذلك فإن من الخطأ حجب العلوم والتقنيات الحديثة عن القاعدة العريضة من أبناء الأمة من خلال الاقتصار، في تعليم العلوم والطب وفنون التقانة، على اللغة الأجنبية، التي لا تكفي أبدا لتمكين الدارس من معايشة العلم، فضلا عن التفكير فيه بطريقة سليمة، تجعله مؤهلا للإبداع.



ابوالعلاء المعري

وذلك بعكس الحال عندما يوكل الأمر إلى اللغة العربية، التي يتشرب الدارس من خلالها العلم بسهولة ويسر، ويستطيع إعمال الفكر فيه برحابة، لا تُتيحها له اللغة الأجنبية مهما كان مقدار تمكّنه منها، خاصة وأنّ اللغة العربية مؤهّلةٌ للقيام بذلك لما تشتمل عليه من ميزات بنيوية لغوية متعددة، وما تكتنزه – عبر تاريخها الطويل– من معجم ثري واسع.

والتجارب العالمية كلها تشير إلى أنّ الأمم المتقدمة إنما وصلت إلى ما وصلت إليه من خلال تمكين العلم في صدور أبنائها، وإشاعته بينهم من خلال لغاتهم القومية. ويدلك على ذلك أن كثيرا من المخترعين لأهم المخترعات الحديثة لم يكونوا علماء أو أساتذة في الجامعات، أو حائزين على جوائز عالمية، أو درسوا علومهم بلغات أجنبية، وإنما كانوا على ثقافة محدودة، في مجتمعات تخمّرت فيها الأفكار العلمية، وتراكمت فيها التجارب العملية، من خلال اللغات المحلية، وأصبحت متاحة للجميع. فما أن تلمع فكرة في ذهن أحدهم، أو يقدح ذهنه متأمّلا في قضية





من القضايا، التي يعايشها يوميا، حتى يجد المعلومات المساعدة ثرّةً بين يديه، مكتوبة بلغته الوطنية الميسرة، التي لا يحسن في الغالب غيرها، فيستعين بها على إكمال مشروعه، والوصول به إلى النتائج المستهدفة.

ولدينا في الواقع أمثلة كثيرة من المخترعين العالميين الذين أَسْدَوْا للبشرية أعظم الاختراعات ولم يكونوا على علم بلغة أجنبية. هذا هو جراهام بل الإسكوتلندي مخترع الهاتف(ت١٩٢٢م) لم يتلق من العلم إلا قسطا ضئيلا، إذ لم ينتظم في المدرسة إلا بضع سنوات، لكنه كان على ثقافة جيدة بلغته الأصلية، وكذلك توماس إديسون (ت١٩٣١) صاحب المخترعات الكثيرة ومن أهمها المصباح الكهربائي، لم يكن أيضا من العلماء المشهورين وإنما عاش طفولة معوقة، وكان يبيع في طفولته الجرائد والحلوى في محطات القطار، لكنه كان نابها متّصلا بالثقافة العلمية السائدة بلغته في المجتمع.

فإذا أردنا إبداعا علميا نخترق به حالة الجمود العلمي التي يعيشها الإنسان العربي فلا بد أن نتخذ من الأدوات ما اتّخذته الأمم المتقدمة، وأن نعمل على ترسيخ العلم في بيئاتنا المحلية، وأن نستثير أذهان الشباب والناشئة، لتشتعل لديهم جذوة التفكير العلمي، ويحيطوا بحقائق الحياة التي حولهم، فيُقْدِمون على التّجارب التي تجعلهم يُسهِمون في حل مشكلات العصر، والإضافة الحقيقية إلى منجزاته. ثم نحوّل هذه الأفكار والمخترعات إلى مشاريع منتجة، تسهم في التقدم الاقتصادي للوطن، وتشكِّل موارد معتبرة له. وبخاصة أن البلاد الغنية في البلاد العربية تعيش منذ سنوات طويلة على اقتصاد ريعي لا منتج، مورده الأساسي، وهو النفط، آيل للنضوب، ولا يكون ذلك إلا بتدريس العلوم والطب باللغة العربية.

إن هذا الكلام لا يعني – بالطبع – أن نهجر اللغات الأجنبية أو ألا نتواصل مع الآخر. كلا فنحن في أمس الحاجة لنقل العلوم والمعارف إلى لغتنا العربية، ومن الواجب أن نتعلم اللغات الأجنبية، لكنْ فرقٌ بين أن تكون العربية لغة التدريس لهذه العلوم، فيصبح العلم متاحا للجميع كالماء والهواء، وبين أن تكون بينه وبين المبدع عقباتٌ وحواجزُ تتمثل في إتقان اللغة الأجنبية.

وفرق أيضا بين أن نُشيع العلم بين كافة أبناء الوطن وأن نقصره على فئة قليلة تتقن اللغة الأجنبية، وهي لن تستطيع – في الغالب – تمثُّلَه وبلورته، كما يستطيع الإنسان الذي استوعبه وتشرّبه بلغته الوطنية وأصبح يجري في شرايينه.

لقد جرّبت البلاد العربية تدريس الطب والعلوم في مدارسها وجامعاتها لمدة تزيد على مئة عام، ولم تحصد من ذلك كله النتائج المرجوة، فسبقتها أمم كانت أقل شأنا منها، اعتمدت في تعليمها على لغاتها المحلية، فقدّمت للعالم كثيرا من المخترعات والاكتشافات التي أغنتها علميا واقتصاديا، وبقيت بلادنا العربية تقتات على الاستهلاك مما تنتجه أمم الأرض.

إن تحقيق هذا الأمل لا يكون إلا باتباع سياسة لغوية في بلادنا العربية تعلي من شأن اللغة العربية، وتمكّن لها في مفاصل الحياة المختلفة، ومن أهمها التعليم في جميع مراحله.

جائزة الألكسو

الشارقة للدراسات اللغوية والمعجمية في دورتها الثالثة 2019
تُعنى بالأبحاث العلمية الأكاديمية في مجال اللغويات والمعجميات.

مشاركات متميّزة وجوائز قيّمة.



جائزة
الألكسو.الشارقة
للدراسات اللغوية والمعجمية

يتمّ إعلان نتائج الفائزين وتكريمهم بمناسبة
اليوم العالمي للغة العربية في اليونسكو

18 ديسمبر 2019

للاطلاع على تفاصيل الجائزة يمكنكم زيارة موقعنا الإلكتروني
alecso-sharjah.shj.ae

اللغـة الإنجليزيـة لغـةُ الثقافـة اليـوم. وهـي المِسـطرة التـي تُقـاس بهـا لغـات العالـم. أمـا العربيـة، فيُظَـنُ أنهـا تَحـولُ دون الثقافـة. والحقيقـة أن اللغـةَ أداةٌ تُنقَـلُ بهـا الأفـكار. فـإن تزدهـر الأفـكار، تزدهـر اللغـة. تدليـلاً علـى هـذا سأسـتعرِض هنـا ازدهـارَ فِـكرة اسـتوعبتها اللغـة، ازدهـارَ ' الثقافـة' وإبـداعَ اللغـة.



أ.د. حسين محمد ياغي

رئيس قسم اللغة الإنجليزية - جامعة الشارقة

من تثقيف الرّمح إلى تثقيف العقل

يحسُـن بـي أولاً أن أبـدأ بتاريـخ هـذه الكلمـة فـي اللغـة المِسطرة. فحسـب معجـم أوكسـفورد (٢٠١٩) فـإن culture دخلـت إلـى الإنجليزيـة عـن طريـق الفرنسـية فـي العصـور الوسـطى. وأصلهـا لاتينـي هـو culturare المشـتقة مـن colere بمعنـى (يعتنـي، يسـكُن). وقـد استُعملت culture فـي البدايـة بمعنـى (الأرض الجاهـزة للزراعـة). ثـم تطـوّرت فـي أوائـل القـرن السـادس عشـر لتعنـي (تجهيـز العقـول وضبـط السـلوك).

يـرى ريمونـد ويليامـز (١٩٨٥) أنّ colere اللاتينيـة كانـت تعنـي (يسـكُن، يعتنـي، يحمـي، يُعَظِّـم). ثـم تطـورت فـي اللاتينيـة إلـى (colonus) التـي اسـتقلت لاحقـاً بمعنـى (يسـكن، يقطـن)؛ وإلـى cultus التـي اسـتقلت بـ (يُعظِّـم عبـادةً)؛ وإلـى cultura التـي اسـتقلت بـ (يعتنـي). أمـا الإنجليزيـة فدخلـت كلمـة cultura إليهـا مـروراً بالفرنسـية فـي أوائـل القـرن الخامـس عشـر، وكانـت دلالاتهـا تتعلـق بـ (الفلاحـة والاعتنـاء بالنمـاء الطبيعـي). وهـو يـرى أن اسـتعمالاتها الأولـى كانـت اسـماً لعمليـة (الاعتنـاء بالمحاصيـل الزراعيـة والحيوانـات). كمـا يـرى أن دلالـةً ثانويـة لهـا بمعنـى (نَصْـل المِحـراث) عَبَـرَتْ إلـى الإنجليزيـة مـن الفرنسـية بهـذه الصِيَـغ الإملائيـة: culter، colter، coulter . أمـا الإمـلاء المعاصـر (culture) فدخـل إلـى الإنجليزيـة فـي بدايـات القـرن السـابع عشـر حيـثُ ورد فـي مسـرحية جـون وبسـتر (دوقـة مالفـي) ١٦١٢م: (hot burning cultures) أنصـال المحـراث السـاخنة. وهكـذا انتقـل المعنـى بالاسـتعارة مـن (العنايـة بالنمـاء الطبيعـي) إلـى الإنتـاج البشـري حتـى صـار المعنيـان السـائدان لـ culture فـي القرنيـن الثامـن عشـر والتاسـع عشـر همـا (العنايـة بالنمـاء النباتـي والحيوانـي) و (النتـاج العقلـي). وصـار هـذا الاسـتعمال ممهّـداً لانتقـال دلالـة الكلمـة إلـى المفهـوم المجـرد الـذي تشـكّلَ فـي منتصـف القـرن التاسـع عشـر.

هـذا هـو تاريـخ الثقافـة culture في اللغة التي تُقاسُ اللغاتُ

بها. فلنستكشف معاً كيف تطوّرت ومتى أخذت مفهومها المعاصر في تاريخ لغة الضاد. سنتّكئ في بحثنا هذا على الذخيرة العربية التاريخية HAC (Historical Arabic Corpus) التي طوّرناها بهدف دراسة تاريخ المفردات العربية وتاريخ الفكر العربي من منظورٍ معجمي.



في الساميّات

يمتد أصل الثقافة الذي يرتبط في أذهاننا بالحضارة والتقدم إلى ما لا يقلّ عن ٣٧٥٠ قبل الميلاد حين جاء الساميون من الصحراء إلى بلاد ما بين النهرين.

وفي العربية الجنوبية (ثقف) وفي الآشورية والأكّادية sakapu. وقد خضع هذا الجذر مثل غيره من الكلام إلى تطوّر صوتي، فتحوّلت الثاء في السامية الأم إلى تاء في العبرية والآرامية والسريانية والنبطية وسين في الآشورية والأكادية. وبقيت ثاء في العربية.

كما خضع معنى هذا الجذر إلى تطوّر في اللغات السامية المختلفة لا نستطيع أن نتحرّاه، لكنه في العبرية المعاصرة يعني (غلب)، (انتصر)، (قَوِيَ)، (اشتدّ). وهو في الآرامية يعني (اشتدّ)، وفي السريانية (قَوِيَ)، (اشتدّ) وفي الآشورية (طَرَدَ)، (قَلَبَ)، (غَلَبَ) وفي الأكّادية (صَدّ)، (قَلَبَ)، دفَعَ. أما في النبطية فقد ورد اسمٌ من هذا الجذر بمعنى (وثيقة،سُلطة).

لعلّنا لا نكون مخطئين إن خَلُصنا إلى أنّ معنى هذا الجذر في اللغة السامية الأم هو المعنى المشترك بين هذه اللغات المتحدّرَة منها. أي أنّ (ثقف) كانت تعني شيئاً متعلقاً بالقوة، فما اشتدّ فقد قَوِيَ، وما غلب أو انتصر إلا مَن كان قوياً، ولا يكون الطرد والقَلب دون قوة، والوثيقة تقويَةٌ للحق، والسُلطَةُ موطِنُ القوة.

وقد تطور هذا المعنى في العربية طِبقاً للحاجات. لكن هذا التطور مهما ابتعد، ظلّ لصيقاً بمعنى الجذر. والعربيةُ تتميّزُ بكثرة اشتقاقاتها من الجذر الواحد وبكثرة دلالاتها.

في أول المعجمات العربية

يرى الخليل بن أحمد الفراهيدي (٧٨٦م) في معجم العين أن العرب في العصر العباسي الأول عرفوا للجذر (ث ق ف) فعلاً واحداً على وزن فَعِلَ وخمسة أسماء ومصادر وصفات على وزن فَعْل، فَعيل، فِعّيل، فَعالَة، فِعال (وجمعُ الوزن الأخير على أَفْعِلَة وفُعُل) وهي: من الأفعال: ثَقِفَ، ومن المصادر والأسماء والصفات: ثَقْفٌ، ثَقيفٌ، ثِقّيفٌ، ثقافَةٌ، ثِقافٌ (وجمعُها: أثقِفَةٌ وثُقُفٌ). وقد تحرّينا واقعية هذا الرأي بما توافر في الذخيرة العربية التاريخية HAC، فوجدنا فَعْلٌ وفِعالٌ وفَعيلٌ وفِعّيلٌ ومُفَعّلٌ من الأسماء والمصادر والأسماء والصفات، ولم نجد من الأفعال غيرَ فَعِلَ (ثَقِفَ). قد يُستَشَفُّ من الصِيَغِ القياسية أنْ رُبما استُخدِمَت فَعّلَ (ثَقّفَ) فاشتُقّ منها مُثَقّف، لكننا لم نجد في نصوص الذخيرة ما يُثبِتُ ذلك. فهل كان هذا الوزنُ في طريقه إلى دخول الاستعمال اللغوي فدخلت أولاً مُثَقّف على وزن مُفَعّل ثم اشتق الناس منه ثَقّفَ (فَعّلَ)؟ أم أن ثقّفَ كانت في لغة العامة لكنها لم تدخل الفصحى بعدُ؟ أم أنّ نصوص ذخيرتنا يعتريها قصورٌ في التمثيل للغة المستعملة؟

كانت المسيرة الدلالية للأفعال المعاصرة المشتقة من ث ق ف على النحو الآتي:

العصر الجاهلي

يمتد هذا العصر بتعريفنا حتى ٦٠٠ م أي إلى ٢٣ ق.هـ. وهو يُغطي كل ما وصلنا من أعمال مكتوبة شعراً ونثراً. استعمل العربُ في الجاهلية وزنين لفعل الثّقْف هما فَعِلَ وأفْعَلَ. فقد ورد أنّ عمْراً ذا الكلب، جارَ بني هذيل، الشاعرَ الجاهلي، أنشد:

فإما تثقفوني فاقتلوني فإنْ

أثقف فسوف ترون بالي

أي إنْ أدركتموني أو ظفرتم بي، فاقتلوني. وجاء أنّ الجاهلي أبا المثلم الهذلي قال لصخر الغي:

كلوا هنيئاً وإن أثقفتم بَكلا

ممّا تجيرُ بنو الرمداءِ فابتكلوا

وقد عنى بذلك أنكم إنْ وثبتم على جار القوم، فكُلوا هنيئاً. وإنْ وجدتم غنيمةً أو ظفرتم بغنيمة مما في جِوار بني الرمداء، فخُذوها. وهكذا فقد استخدم العربُ ثَقِفَ وأَثْقَفَ بمعنى واحد، وهذا لا يستقيم نظرياً؛ إذ يتعارض مع مبدأ الاقتصاد الذي تقوم عليه اللغة؛ فلا يُمكن أن يترادف فعلا الثقف تماماً. فلعل ثَقِفَ كانت فعل الثّقف في لهجة وأَثْقَفَ فعله في لهجة أخرى.

لا يملك المرءُ إلا أن يشُكَّ أنّ ثمة وزنين آخرين كان لا بُدّ أنّ عرب الجاهلية استعملوهما وإن لم يرِد في الذخيرة اللغوية ما يُثبتهما. إذْ كيف لـ (ثِقاف) أن تكون مستعملة دون (ثاقَف) وهي مصدرها؟ هل يُعقَلُ أنْ يُستَخدم المصدرُ دون الفِعل؟ وكيف لـ(مُثَقّف) أنْ تُستَعمَلَ دون (ثَقّفَ)؟

لو دخل في الذخيرة كلُ ما يتوافر من النصوص الجاهلية، ولم يَرِد فيها ما يُثبتُ استعمال (ثاقَفَ) و(ثَقّفَ)، ولو افترضنا جدلاً أنّ هذه النصوص صادقةُ التمثيل للغةِ عصرها، ولو افترضنا خطأً أنّ اللغةَ المحكيةَ في الجاهلية تتطابقُ تماماً مع اللغة المكتوبة التي تمثّلها النصوصُ الجاهلية، لكان تبريرُ استعمال عرب الجاهلية المصدر واسم المفعول دون الفعل هو أنّ هذه الأفعال قد زالت من الاستعمال اللغوي في عصور سبقت عصرهم. وما كانت (ثِقاف) و(مُثَقّف) لتبقى لولا أنّهما تحوّلا في دِلالتهما عن معنى المصدرية وأصبحا يدُلّان على أسماء ذات. فالثِقافُ والمُثَقّفُ هما اسمانِ لأداتين شاع استعمالهما في الحروب. قال الجاهلي سلامةُ بنُ جندل (ت. ٣٢ ق.هـ. ٦٠٠ م)

سَوّى الثِقافُ قَناها فَهيَ مُحكَمَةٌ

قَليلَةُ الزيغِ مِن سَنٍّ وَتَركيبِ

فالثّقافُ خشبةٌ في وسطها ثقب لتقويم الرماح إذا اعوَجّت. كما جاء في معلقة عنترة بن شَدّاد (ت. ٢٢ ق.هـ. -٦٠١ م)

ومُدَجّجٍ كَرِهَ الكُماةُ نِزالَهُ

لا مُمْعِنٍ هَرَباً ولا مُسْتَسلِمِ

جادتْ له كفّي بعاجل طعنة

بِمُثَقّفٍ صَدْقِ الكُعُوبِ مُقَوّمِ

فَشَكَكتُ بِالرُمحِ الأَصَمِّ ثِيابَهُ

لَيسَ الكَريمُ عَلى القَنا بِمُحَرّمِ

فما جادت يد عنترة إلا بطعنةٍ من رُمحٍ مُقَوّم، لكنه استعمل الصفة مع حذف الموصوف للدلالة على الرُمح، فصارت كأنها اسمٌ له، وأصبحت (مُثَقّف) تعني رُمحاً.

استعمل عربُ الجاهلية للحديث عن فعل الثقافة (ثَقِفَ) و (أَثْقَفَ) بمعنى واحد هو (أدرك أو ظَفِرَ بـ)، واستعملوا من المصادر والأسماء والصفات (ثِقاف) للدلالة على (أداة تُسَوّى بها الرّماح) و (ثَقْف) على (صَلْد أو اسم علم) و (مُثَقّف) أو (مُثَقّفة) على (رُمح) أو على اسم المفعول بمعنى (مُقَوّم). ويبدو أنّ إمساكَ الطرائد أو إدراكها والظفر بها كان يتطلب منهم

استخدام الرِّماح المُثَقَّفَة، لهذا فقد جاء الربط بين الإمساك بالشيء وتقويمه.

السؤال هو: ما علاقة معنى الفعل بمعاني المصادر والأسماء والصفات؟ هل هي أن الرمح هو الذي يُدرِكُ الطريدة، فيثقَفُها، وأنه يحتاجُ إلى التقويم والتثقيف ليصبح شديداً مُثَقّفاً مُسَوّىً، وأنّ الشيء الذي لا يُدرِكه الرمح لشدته ثَقْفٌ، وأنّ الأداةَ التي تُستعمل لتعديله وتثقيفه هي الثِّقاف؟
لا شكّ أنّ مفهومَ الثقافة منذ الجاهلية الأولى يرتبط في ذهن العربي بـ (الإدراك والتقويم والصلابة والاستقامة) مهما كان جوابنا على هذا السؤال. وهذا المفهوم هو أقربُ ما يكون من مفهوم الثقافة المعاصر.

القرن السابع

يمتد هذا القرن من ٢٣ ق.هـ حتى ٨١ هـ. أهم أحداثه نزولُ الوحي عام ٦١٠ م والهجرة النبوية عام ٦٢٢م، ووفاة الرسول صلى الله عليه وسلم عام ٦٣٢ م، وفتح الشام ٦٣٧ م، ومصر ٦٤٢ م، واستشهاد الإمام علي بن أبي طالب ٦٦١ م، وتأسيس الدولة الأموية في العام ذاته.

اختفى الفعل (أَثْقَفَ) تماماً من الاستعمال اللغوي في هذا العصر، فكانت الآية الكريمة﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ (البقرة ٢:٩١)، أي حيثُ وجدتموهم، والآية الكريمة ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ (الأنفال ٨:٥٧)، أي فإما تدركنّهم.

ومن حيث الدلالة، تخلّى العربُ عن قَصْرِ الثقافة على ميدان الحروب وأدواتها كما كان الحالُ في الجاهلية. وبدأوا يستعملونه مع مصاحبات لفظية تتعلّق بالاجتهاد، (أَجَدّ بها أَمراً)؛ وبالإعجاب، (راقَهُ ذُراها)؛ وبالرِّضى، (ارتضى ثقوفته)؛ وبعمل اليد، (ثَقْفُ اليَدَيْن)؛ وبسرعة التعلّم، (لَقِنٌ ثَقِف)؛ وبالحصول على الأشياء، (ثَقِفٌ إذا نالَتْ يَداهُ). فلم يستعملوه في سياق الرماح والطّعان فحسب.



لاحظ أن المعنى الأساس للجذر مُتعلق بالقوة والشدة، وأن المعنى الذي راج في الجاهلية هو تقوية الرماح. أما في العصر الإسلامي فبدأ هذا الجذر يأخذ منحى مجازياً متعلقاً ببذل الجهد. فهل سيقودُ هذا الاستعمال المجازي في القرن الثامن إلى التخلي عن الرماح تماماً؟

القرن الثامن

يمتد هذا القرن من ٨١هـ حتى ١٨٤هـ. أهمُّ الأحداث فيه: فتحُ طارق بن زياد لإسبانيا عام ٧١١ ، ومحمدِ بن القاسم للسند في العام التالي، واحتلالُ المسلمين لمدينة نيم في جنوب فرنسا ٧٢٥ م، وسقوطُ دمشق في أيدي العباسيين ٧٥٤ م، وتأسيسُ عبدالرحمن الداخل لدولة بني أمية في الأندلس ٧٥٦ م. ومن أهم أعلام الثقافة فيه ابن سيرين والحسن البصري وابن المقفع والخليل بن أحمد الفراهيدي وأبو حنيفة ومالك والأخفش وسيبويه والكسائي.

اختفت (أَثْقَفَ) من الاستخدام اللغوي في هذا العصر، واستمرّ استخدام (ثِقاف) و(مُثَقَّف)، لكن يبدو أنه كان مرحلةً انتقالية في التطور الدلالي لمادة ثقف. إذ استخدم بعضُ العرب الثِّقاف والمُثَقَّفَ بمدلولاتها الجاهلية. فقال كُثَيِّرُ عَزّة (ت. ٧٢٣ م) وهو يمدح عمر بن عبد العزيز:

وَقلتَ فصدّقتَ الّذي قلت بِالّذِي
فعلت فأمسى رَاضِيا كلُ مُسلم



أَلا إِنّمَا يَكْفِي الْفَتى بعد زيغه
من الأَوَد الْبَاقِي ثقافُ الْمُقَوِّم
وَمَا زلتَ سبّاقا إِلَى كل غَايَة
صعدت بهَا أَعلَى الْبناء بسُلَّم

فأصبح سياقُ استخدامها في هذا العصر سياقاً معنوياً مُتعلقاً بالسلوك والأخلاق، وصارت المصاحبات اللفظية لمادة الثقافة هي: تقويمَ زَيْغِ الإنسان وميلِ القصيد.

وظهرت في هذا العصر صيغَةُ مُبالَغة هي ثِقّيف بمعنى (شديد الحُموضة). فقد جاء في تفسير الأحلام لابن سيرين (ت. ٧٢٨ م): (وحكي أنّ رجلاً أتى جعفر الصادق عليه السلام فقال: رأيت كأنّ ربي أعطاني حديداً وسقاني شربة خل ثقّيف).

القرن التاسع

يمتد هذا القرن من ١٨٤ هـ حتى ٢٨٨ هـ. وأهم أحداثه: وفاة هارون الرشيد ٨٠٦، وتنصيب عبدالرحمن الثاني على العرش في الأندلس ٨٢٢ ، وفتح صقلية في ٨٢٧. ومن أهم أعلامه الشافعي والفرّاء وأبو العتاهية والأصمعي وأبو تمام وأحمد بن حنبل والجاحظ والبخاري ومسلم وابن قتيبة الدينوري.

اختفى من الاستعمال الثلاثيُ المجرد، إنْ بصيغته ثَقِفَ أو ثَقُفَ. ولم يرد في الذخيرة التي يبلغ عدد كلماتها للقرن التاسع ٤,٢ مليون كلمة غيرُ فعلٍ واحد هو: ثَقّفَ. فهل هذه ظاهرة حقيقية أم أنّ قصوراً في الذخيرة هو المسؤول عن تبدّل فِعل الثّقف إلى صيغة الزيادة هذه؟

جاءت مشتقات الثّقْف مرتبطةً في معظم سياقاتها بالمعنوي لا بالمحسوس. فابن الرومي (ت. ٨٩٦ م) استخدمَ ثَقّفَ بمعنى (هَذّبَ) و(ثَقْف) بمعنى (حَذِق)، فقال في وصف علي بن يحيى:

يا لقومٍ لجوده كيف يَبني
وهو سيلٌ وكلُ سيل معفّي
لو تكون الجبالُ مالاً أو البحرُ
لغاداهما بنسفٍ ونزف

هل تراه وماله غيرُ نهبٍ
أم تراه وجاهُه غيرُ وقف
ما يرى نُهزةً من العُرف إلا
ثَقّفَتْها يدُ أمرئٍ منه ثَقْف
قُذِفتْ خِيفةُ الملامة منه
في فؤادٍ مشيّع كلّ قذف

ففي سياق مدح جود عليّ يذكر ابن الرومي أنه لا يرى نُهزَةً، فُرصَةً للمعروف، إلا هذّبتها وثَقّفَتها يداه وهو الحاذِقُ الثّقِف. واستخدم الجاحظُ (ت. ٨٦٨ م) التثقيفَ في الرسائل بمعنى (التعليم والتهذيب)، فقال: (وإن كان بحسن التعليم والتثقيف، فمن كان الله تعالى يخاطبه، ويتولى مناجاته دون أن يرسل إليه ملائكته ويبعث إليه رسله، أقرب منزلة، وأشرف مرتبة، وأحق بشرف التأديب وفضيلة التعليم).

بل يتضح هذا الاتجاه أكثر في دلالات المُشتقات. فقد فَرّقَ ابنُ قتيبة الدينوري (ت. ٨٨٩ م) في الشعر والشعراء بين الشعراء المتكلّفين والمطبوعين فقال: (فالمتكلّف هو الذي قوّم شعره بالثّقاف، ونقّحه بطول التفتيش، وأعاد فيه النظر بعد النظر، كزهير والحطيئة). فشبّه الشعرَ بالرماح في أنّ كلاً منهما يحتاج التعديل والتهذيب. فلم يعُد التثقيفُ خاصاً بالرماح، إنما تجاوزه للشعر والفكر، ولم ينسوا المعنى القديم المحسوس فاستخدموا الثِّقاف خشبةً لتسوية الرماح كذلك.

كما استُخدِمَت (ثقاف) للتعبير عن العمل بالسيف لما فيه من مهارة. ومن ذلك ما ورد في المواعظ والتعازي والوصايا للمبرد (ت. ٨٩٨ م) عن مسلم بن عقبة المري عند وفاته إذ أوصى حُصين بن نمير لدى توليته: (ولا تُمكّن قريشاً من أذنك، فإنهم قوم خُدَع. ليكن أمرُك الوِقاف ثم الثِقاف ثم الانصراف)، أي نازِلهم ثم أعمِل السيف بهم ثم انصرف. وقد وصف الجاحظ الهنود في رسائله، فقال: (ولهم السيوف القلعية، وهم ألعب الناس بها وأحذقهم ضرباً بها... ولهم ضروب الرقص والخفة، ولهم الثقافة عند الثِقاف خاصة، ولهم مغرفة المناصفة، ولهم السحر والتدخين والدمازكية)، أي أنهم يمتازون بالخِفّةِ والحذاقةِ والإمتاع عند اللعب بالسيف. وقال الجاحظ في المحاضرات والمحاورات أثناء حديثه عن الأخبار والنُتَف: (هي ثقاف العقل، وجمام النفس، ومستراح القلب، ورائد الفهم، وقائد المروءة ... وبها تجذب القلوب عند المجاذبة، وبها يكون الإمتاع والمؤانسة). لا يخفى أن الإمتاع هو المقصود ليس غير من الثِّقاف علماً بأن معنى الإمتاع لم يرِد للثِّقاف في المعجمات العربية.

لم تعُد الثِّقاف تقتصر على تقويم الرماح وتشذيبها، بل غدت في القرن التاسع الميلادي تُستخدم لتقويم الأدب والدين والفكر والنفس. وقد ظهرت كلمة (الثقافة) لأول مرة في تاريخ العربية في القرن التاسع بمعنى (العلم بأمور ذهنية وإتقانها). فقد استخدمها الجاحظ في أخلاق الملوك بهذه الدلالة في قصة غلام هاربٍ جائع: (وعندي جنس آخر من الثقافة. قال: وما هو؟ قال: ادعُ لي بإبَرٍ. فدعا له بها. فأخذ إبرةً، فرمى بها على عشرة أذرعٍ، ثم أتبعها بأخرى فشَكَلَها، ثم أَتبعها بأخرى فشَكَلَها كذلك، حتى جعلها سلسلةً قد تعلق بعضها ببعض).
هل من متطلبات الثقافة الاحترافُ الباهرُ غيرُ المعتاد؟

القرن العاشر

يمتد القرن العاشر الميلادي من ٢٨٨ هـ حتى ٣٩١ هـ. وقد وقعت الأحداث الآتية فيه: تأسيس الدولة الحمدانية في الموصل والجزيرة عام ٩٠٥ م، وتأسيس الدولة الفاطمية في شمال إفريقيا ٩٠٩، واستيلاء الترك على بخارى عام ٩٩٩. ومن أهم مشاهيره ابن المعتز والطبري والزجاج والفارابي والمسعودي والجصاص وأبو علي القالي والصاحب بن عباد، وابن جني، والجوهري، وابن فارس.

استمرت الدلالات القديمة المرتبطة بتشذيب الرماح وتقويمها، ونشأت دلالات جديدة تؤكد الاتجاهات المعنوية التي اتخذها هذا الجذر. ومن تلك المعاني (تعلّمَ) و(تحسّن). فقد ورد في ديوان المعاني لأبي هلال العسكري (ت. ١٠٠٥ م): (فحاجة الأديب إلى هذا الفن شديدة وفاقته إليه عتيدة، وأولى ما يصنف ويؤلف ويقرب مأخذه ويسهل ما كانت الحاجة إليه هذه الحاجة فوقعت العناية عليه وانصرفت بالاهتمام إليه حتى تهذب وتثقف وتشذّب وتدانت شعبه وتقاربت سبله). فتثَقّف هنا تعني تَحَسّنَ وأُتقِنَ.



وقد ابتعدت دلالة المصدر تثقيف عن الرماح كلياً فحملت معنى (إطالةَ النظر) إضافةً إلى (التعليم) و(التهذيب) التي استُخدمَت تثقّف لها. فقد جاء في الوساطة بين المتنبي وخصومه لأبي الحسن الجرجاني (ت. ١٠٠١ م): (وجملة القول في هذه الأبيات وأشباهها أنه لو وُفّي فيها التهذيب حقه، ولم يُبخَس التّثقيفُ شرطَه، لانقطعت عنها ألسُن العيب، وانسدّت دونها طرُق الطعن، فالتثقيف هنا لا تعني إلا إطالةَ النظر.

جماع الأمر أن الجذر، ثقف، ومشتقاته ابتعدت كثيراً عن الرماح واقتربت من المعنى المستخدم حالياً اقتراباً بيّناً. ولم يأتِ ذلك دُفعةً واحدةً، إنما تدرّج منذ صدر الإسلام حين وصفت عائشةُ عبدَالله بن أبي بكر بأنه (لِقنٌ ثَقِفٌ) حتى بلغت دلالة هذا الجذر هذا المبلغَ تدريجياً مبتدئة بالتشبيهات والاستعارات والمجازات، ثم تُرِك التشبيه وبقي المعنى دونه. فالتشبيه يبدأ بمُشَبهٍ ومُشبهٍ به ووجه شبَه تُذكَرُ فيه الرماح أو أداةُ تثقيفها، ثم يُلغى وجهُ الشبه فيُستَغنى عنه تدريجياً لاعتياد الناس على ذلك، ثم يُلغى المُشبَه به في الاستعارة لاستنباطه من القرينة المانعة. ومن ثم تُستَخدم الكلمةُ لتعني المعنى الجديدَ من غير أن تكون استعارة أو مجازاً أو تشبيهاً. وهذه سُنّةٌ لغويةٌ عالميةٌ تُستخدم في توليد المعاني الجديدة.

قبل أن أتوقف عن استقصاء معنى الثقافة هنا التزاماً بالمساحة المتاحة لهذا البحث، فتجدر الإشارة إلى أنني اكتشفت كثيراً من الدلالات لثقف لم توردها المعاجم، منها: ثَقِفَ بمعنى التَقَطَ، وثَقّفَ بمعنى دَلّلَ، والتثقيفُ بمعنى الإمتاع، والمُثاقَفَةُ الطّردُ بالعِصِيّ وبمعنى المُجادَلَةِ والمُقابَسَةِ. ومن تلك الدلالات أيضاً الثّقافُ بمعنى السّور والحِصنِ والسِّجن والقَيْدِ. والمُثَقّفُ بمعنى السّجينِ والمُكَبّل، والمُثَقّفُ بمعنى الضّامِرِ وبمعنى الصّلد والمُنَمّق. والتّثقيفُ إطالَةُ النّظَر والإخبارُ والتّنسيقُ. وأبو ثقيّف بمعنى الخَلّ.

الخلاصة

هذا هو الفكرُ المزدهر الذي طوّع أدواته، فانصاعت له. ارتقى

فارتقت اللغةُ بـه. ما كان لهذه الدِّلالات أن تتولّد من معنى الجذر الـذي هـو الشِّـدةُ والقُـوّة لـولا المجـازات مـن تشـبيه واسـتعارةٍ وكنايـة. وهـذه لا تـزال فـي متناولنـا. لا تـزال مطواعـة لمكتشـفات العصـر ومخترعاتـه، قـادرة علـى استيعاب كل فكرة تخطـر ببـال أبنائها. قد تبدأ الكلمة الجديدة بالتشبيه بين مفهوم قديم ومفهوم جديد، ثـم تُحـذَفُ أداةُ التشبيه ووجـهُ الشّبَه، ثـم يُحـذَفُ المُشـبّهُ بـه، وتُصبـح الدلالـة معروفـةً بمجرد ذكر المُشَبّه الذي هـو الدِّلالة الجديـدة. فتُشَـبّهُ الفرسُ الضّامِـرُ بـالرُّمـح المُسـتقيم المُثَقّـف ثـم تُحذَف (المُستقيم) و(الرمح) فتُصبح تدريجياً المُثقّفةُ هي الضّامر. ويُشَبّه المُجرّد بـالمحسوس كأن يُقـالَ ثَقّفَ الرّجُلَ كتثقيف الرّمح بإزالة المُستقبَح منه وتقويمه، ثم يُزالُ وجهُ الشبه ثم أداةُ التشبيه والمُشبه بـه، فتُصبح ثقّف الرجلَ علّمَه وهذّبه. ويُقالُ ثَقّفَ المدينةَ كتثقيف الرُّمـح فقوّاهـا كمـا يُقـوّى الرمـح، وحصّنَهـا بـالقـوة كمـا يُحصِّنُ الرمـحُ أصحابَـه بقوتـه فـي الدفـاع عنهـم، ثم تُصبـح ثَقّفَ المدينـةَ إذا حَصّنهـا فغـدت قويـةً تسـتعصي علـى الخُصـوم. ولا أوضح من السِّجال بين معاوية بن أبي سفيان (ت. ٦٨٠ م) وعبد الله بـن العباس وعبدالله بـن الزبير الوارد في كتـاب (أخبار الدولة العباسية) لمؤلف مجهول من القرن الثالث الهجري: (قال معاوية: لا وأبيك، مـا بِكَ الشمـاتةُ يـا ابن الزبير، ولكن خشيتَ على نفسك إذ همز بك غلامٌ أبطحيٌّ هـاشميٌّ منافيٌّ، لم تقعد بـه أعراقُه، ولم تُشنه أخلاقُـه. فهمـزك همـزَ القناة لثقافها حتى اعتدل صعرُك، واستقام لـه ميلُك). لاحِظ التشبيه الـذي مهّدَ لاستخدام كُثَيِّر عَـزّة الثِّقاف فـي القـرن الثامن دون تشبيهٍ للفتى بـالقنـاة حين قـال:

أَلا إنّمَـا يَكْفِي الْفَتـى بعد زيغه

مـن الأوَد الْبَـاقِي ثـقـافُ الْمُقَـوِّم

خُلاصـةُ القـولِ إذَن هـي أَنّ الثقافـةَ فـي العربيـة هـي مجمـوعُ معانيهـا: قـوةٌ تُسـتَمَدُّ مـن العلـم والتهذيـب والتقويـم والاسـتقامة والحذاقـة والفطنـة والانضبـاط ووضـع الأمور في مواضعها. وهي تحصيـنٌ للمـرء وتقويـةٌ وتكبيـلٌ لنزَواتـه وأنانيتـه. فالمُثَقّفُ قَويٌّ بمعارفه، مُقَوّمٌ سلوكُه فَلا يَنبو عن الذوق، ولا ينحدرُ إلى الجهالة. وهـو مَـنْ وجدَ علمـاً ومعرفـةً، فأدركها وظفر بهـا وقـابَسَ العُلَماء والخُبَراء ليُنَمّيهـا. وهـو مَـنْ تَقَوّى بـالعِلـم والمعرفةِ فهذّبـا سُلوكَه وقوّمـاه حتى تَحَسّنَ فَتَنَمّقَ، وصارا لـه سوراً وحِصناً مَنيعاً جعلاه قَـويّ الشّكيمة صَلداً لا تنـالُ منـه رِمـاحُ الجُهّـال. وهـو مَـنْ كـانـت لَدَيـه الأخبـار وتَـدَرّبَ علـى العلـوم حتـى صـارَ رَشيقاً مـاهِـراً حَذِقاً مُتقِناً لِعَمَلِه، يُنَسّقُ ما يفعَل ويُنَقّحُ ما يقول، مُمتِعَ الحديث، يُطيلُ النّظَرَ فيفهَم عـاقِبَـةَ الأمـور، يُهَذّبُـه عقلُـه فيُكَبّلُ نَزَواتـه ويسجُنُ رغَباتـه، يُعمِلُ سَيْفَ العِلـمِ والأدب فَيَكـونُ خَـلاً فـي حُموضَتِـه، مُرّ اللّحَـمِ، شَديدَ الخِصـام، قَـويّ الجِدال، طَرّاداً للرذيلَة.

انظُـر إلـى تـاريـخِ الثقـافـة فـي العربيـة وانظُـر إلـى تـاريخهـا فـي الإنجليزيـة. أيُّهمـا أعـرق؟ أيُّهمـا أثـرى؟ هـل اللغـةُ إلا وعـاءً للفكر؟



التسامح
أصلٌ وتأصيلٌ من المعجم العربي

للتسامح نصيب ليس بالقليل في لسان العرب، كما أنَّ له حظا موفورًا في دولة الإمارات العربية المتحدة، وقد تعددت لدى العرب اشتقاقات مادة: سمح، فيقولون:
(سَمَح)، و(السَّماحُ) و(سُمُوحة) و(سَماحاً) و (سَمِيحٌ) و (ومِسْمَح) و (ومِسْماحٌ). ويُنعت بها الرجال والنساء، وكذلك الدواب، والنباتات، والجمادات، ولكلّ قسمٍ معنىً يناسبُه، فيقولون: رجلٌ سَمْحٌ وامرأة سَمْحة، وفلانٌ سَمِيحٌ لَمِيحٌ وسَمْحٌ لَمْحٌ، ورجالٌ مَساميحُ ونساءٌ مَساميحُ، وسِماح وسُمَحاء.
والتسامح قرينٌ لا ينفك عن ديننا الإسلامي، فيقولون: الحَنيفِيَّة السَّمْحة، أي: ليس فيها ضيق ولا شدَّة، وكلّ ما كان سَمْحاً فهو منها.



د. خطاب أحمد خطاب
أستاذ اللغويات العربية المساعد

لغاتٌ واردةٌ فيها:

– الإسماح لغة: في السماح.
– إلحاق الجيم بها: السّمْحَجُ والسِّمْحاجُ والسُّمْحُوجُ، وهي –غالباً– مع الدواب والجمادات، وسيأتي الحديث عنها.
– أسمح بهمزة قطع مفتوحة لغة في سَمُحَ.

دلالات مادة (سمح):

للسياق أثرٌ جليٌّ في دلالة مادة (سمح)، ومن تلك الدلالات الآتي:
(الجُود): يقال: سَمُحَ سَماحَةً أي: جاد جوادا. قال عديّ بن الرقاع:

غَلَبَ المَساميحَ الوَليدُ سَماحة
وكَفى قُريشَ المُعضلاتِ وَسادَها

ويقصد أن الوليد قد بزّ غيره من المساميح جودا وكرما، واستغنت به قريش في مواجهة المعضلات لأنه سيدها.

وقال آخر:

في فِتْيَةٍ بُسُطِ الأَكُفِّ مَسامح
عندَ الفِضالِ نَديمُهم لم يَدْثُرِ

فبُسُط الأكفِّ مسامحٍ: أي كثيرو الجود والكرم؛ فإذا تفاضل الناس فيما بينهم عز مَن صاحَبَهم أو رافقهم.
وعند أحمد في مسنده، من حديث أبي بكر الصديق، أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: أَسْمِحُوا لعبدي كإِسماحه إِلى عبادي.
وأسمح بهمزة قطع مفتوحة لغة في سَمُحَ ، وكانت السماحة سبباً في دخول العبد الجنةَ وإن لم يفعل غيرها.

(العطاء)

تأتي سمح بمعنى أعطى، فيقال سَمَحَ وأَسْمَحَ إذا جاد وأَعطى

عن كَرَمٍ وسَخاءٍ.

ولقد سَمُحَ بالضم سَماحةً وجادَ بما لديه، وأَما أَسْمَح فإِنما يقال في المتابعة والانقياد، وسَمَح لي فلان أي أَعطاني.

(الموافقة)

يقال: سَمَح لي بذلك يَسْمَحُ سَماحة وأَسْمَح وسامَحَ وافَقَني على المطلوب.

قال الشاعر:

لو كنتَ تُعْطِي حين تُسْأَلُ سامَحَتْ
لك النّفسُ واحْلَولاكَ كلُ خَليلِ

أي وافقتك النفوس وصَفَت لك.

(المساهلة)

المُسامَحة المُساهَلة ويقال: تَسامحوا أي تَساهَلوا، وقيل في الحديث: السّماحُ رَباحٌ، والعُسر شُؤْمٌ، أَي المُساهلة في الأَشياء تُرْبِحُ صاحبَها، والعُسر نذير بالخسارة والخراب. ومنه قولهم: سَمَحَ وتَسَمّحَ فَعَلَ شيئاً فَسَهّل فيه، قال ابن الأَعرابي: سَمَحَ له بحاجته وأَسْمَح أَي سَهّل له.

وسُئلَ ابن عباس عن رجل شرب لبناً مَحْضاً أَيَتَوَضّأُ؟ قال اسْمَحْ يُسْمَحْ لك. قال شمر: قال الأَصمعي: معناه: سَهِّلْ يُسَهَّلْ لك وعليك.

قال الشاعر:

فَلَمّا تَنازَعنا الحَديثَ وَأَسمَحَت
هَصَرتُ بِغُصنٍ ذي شَماريخَ مَيّالِ

أي فلما تداولنا الحديث وتبادلناه تساهلت وأمالتني نحوها بصفاتها ...

قال الشاعر:

ولكنْ إِذا ما جَلّ خَطْبٌ فسامَحَتْ
به النفسُ يوماً كان للكُرْه أَذْهَبا

أي: فتساهلت النفسُ مستصغرةً الخطبَ العظيم، فكان ذلك أدعى لذهاب المكروه.

وفي حديث عطاء: اسْمَحْ يُسْمَحْ بك ولك، أي: تسهّل يُتسهّل بك، ويسّر يُيسر لك وعليك. ومن المُسامحة المُساهَلة في الطِّعان والضِّراب والعَدْو، ومنه قول القائل:



وسـامَحْتُ طَعْناً بـالوَشِيجِ المُقَوّم، ومنه تَسْمِيح الرُّمْحِ أي: تَثْقِيفُه، فرُمْحٌ مُسَمَّح تعني: ثُقِّفَ حتى لانَ، وقيل التّسْمِيحُ في السير، أي: السير السهل.

(الاتساع)

ومنـه: عليك بـالحق فـإن فيـه لَمَسْمَحاً أي مُتّسَعاً. وفـي تهذيب اللغـة: قـال ابـن مُقْبل:

وإنّي لأَسْتَحْيِي وفي الحَقّ مَسْمَحٌ

إذا جاءَ باغِي العُرْفِ أن أَتَعَذّرا

أي: وفي الحق متسع.

(الانقياد)

تعني كلمـة: أسـمح، انقـاد، ويقـال: أَسْمَحَتْ قَرُونَتُـه أو قرينتـه أَي: أطاعت وانقـادت، ويقـال ذلك لمن تـابعته نفسه على الأمر. وتستعمل بمعنى الانقياد مع الدّواب، فيقال: أَسْمَحَتِ الدابة بعد استصعاب، أي: لانت وانقـادت، ويقـال سَمّحَ البعير بعد صُعوبته إذا ذلّ، وأَسْمَحتْ قَرُونَتُـه لذلك الأَمر إذا أَطاعت وانقـادت، ويقـال أَسْـمَحَتْ قَرِينتُـه إِذا ذلّ واسـتقام، وسَـمَحَتِ الناقـة إِذا انقـادت فأَسـرعت.

(الاستواء)

يقـال: عُودٌ سَمْح بَيِّنُ السّماحةِ والسُّموحةِ، أي: لا عُقْدَة فيه. وكلّ مـا استوت نبتتـه حتـى يكـون مـا بيـن طرفيـه منه ليس بـأَدَقّ من طرفيـه أَو أَحدهمـا فهـو مـن السّمْح.

إلحاق الجيم بها:

السّمْحَجُ والسِّمْحاجُ والسُّمْحُوجُ الأَتـان الطويلـة الظهـر وكذلـك الفرس. وقد قالوا ناقة سَمْحَجٌ التهذيب، السّمْحَجَةُ الطولُ في كل شيء وقوس سَمْحَجٌ طويلـة. قـال الطرماح يصف صائداً:

يـلحسُ الـرّضْـف لـه قَـضْبَـةٌ

سَـمْحَـجُ المَـتنِ هَـتُـوفُ الخِـطَـامْ





الجامعة القاسمية

شارقية الموقع .. عالمية الرسالة

يمكنكم التواصل معنا من خلال

www.alqasimia.ac.ae

info@alqasimia.ac.ae

06 - 5181111

06 - 5182222

alqasimia_university

alqasimiaUniversity

alqasimiauni



ولَعُ الشناقطة بالعربية

أ.د. الخليل النحــوي

رئيس مجلس اللسان العربي بموريتانيا

بين الشناقطة (الموريتانيين اليوم) وبين اللسان العربي عشقٌ قديمٌ متجدِّد كأنّما تحدث عنه الشاعر حين قال:

أتاني هواها قبلَ أن أعرفَ الهوى

فصادف قلبا فارغا فتمكّنا

كذلك يبدو الأمر في واقع الحال، فإنّ أهل البلاد، وإن شاركوا بقيّة بلدان المغرب العربي وبعض بلدان إفريقيا الغربية فيما يطبعها من تنوّع سلالي، قد احتضنوا العربيّة، عاربهم ومستعربهم، حتى ضربت بجرانها في شغاف القلوب، وتنافسوا في خدمتها فلم تدع القبائل ذات الأصول الصنهاجية، أو الإفريقية، للعدنانية والقحطانية من أهل القطر فسحة للانفراد باللغة العربية أو التصدّر بها، بل برز من الصنهاجيين والفوتيين وأضرابهم من بزّوا القرشيين في تملّك ناصية العربية وفي خدمتها، فراضوا أوابدَها وقيّدوا شواردَها وذللوا قطوفها، شعرا ونثرا، رواية ودراية.

قبل قرن وزيادة، جاس الفرنسيون في البلاد وأهلُها يومئذ بدوٌ رحّل، إلا النّزرَ اليسير، فأذهلهم ما وجدوا عليه القوم، على شحط في المزار، من علوّ كعب في العربية وعلومها، وشهد شاهدهم بأنّه (لا يوجد أيّ مجتمع بدوي يبلغ مبلغَ البيضان [العرب الشناقطة/ الموريتانيين] في العلم بالعقيدة والتاريخ والأدب والفقه وعلوم العربية (...) إنهم يتكلمون العربية الفصحى بطلاقة ويُسر أحسنَ ممّا يتحدث بها سكان تونس والقاهرة... ولا يندر أن تجد فيهم راعي إبل من أبسط الرعاة يترنم بالشّعر الجاهلي).

كانت لغة القرآن وعلومها سلاحا قويّا بأيدي الشناقطة (الموريتانيين) في مواجهة التوغّل الفرنسي الذي كان غزوا ثقافيا بامتياز، وكانوا يمارسون بالعربية والدين ضروبا من الكبرياء المشروعة والممانعة العنيدة، ممّا حمل بعض رجال الإدارة الفرنسية على الدعوة ضمنيا إلى تفهّم حال المقاومة

الثقافية تلك، فقد قال (Chaigneau) مسؤول التعليم الفرنسي في البلاد، في تقرير له عام ١٩٣٤ إنّ أهل البلاد (كان لهم وما زال علماء وفقهاء وأدباء معروفون في جميع البلاد الناطقة بالعربية، ونتفهّمُ كونهم، لغيرتهم على ماضيهم، لا ينظرون إلى حضارتنا بحماس (...) إنّ الثقة معدومةٌ بيننا الآن). بل إنّ نغمة التفهم هذه انتقلت عند الحاكم الفرنسي C. Laigret في تقرير له عام ١٩٤٥ إلى نبرة يأس حين قال عن هؤلاء القوم إنهم (لا يمكن أن يروا حضارتنا بعين الإعجاب)، ووصف مشكلة التعليم في موريتانيا بأنها (مشكلة حادة).

كانت القضيةُ قضيّةَ تعليم ولكنها كانت أيضا قضية ثقافة وفكر وموقف وجداني عميق اصطدمت به الإدارة الفرنسية في أكثر من مجال وبأوجه كثيرة، حتى وهي تسعى إلى جمع معلومات عن أنساب القبائل الموريتانية؛ فكأنّ القوم استشعروا آنذاك عدم براءة المسعى، وحرصوا على أن يتجنّبوا الوقوع في فخ نصبه الفرنسيون في بعض بلدان المغرب العربي، ووقع فيه من وقع، وإن بقدر، حين نجحوا في إثارة نعرات سلالية ما بين العرب والأمازيغ، وقد عاشوا من قبل إخوة على مر القرون. كانت في موريتانيا قبائل تتكلم الصنهاجية، لكن هذه القبائل حسمت باللسان والثقافة والموقف الفكري المقاوم ذلك الجدل السلالي الذي أرادت فرنسا أن تثيره لتُحوّله إلى صراع ثقافي داخل المجتمع. يومئذ شهر عدد من العلماء والشعراء سيف الكبرياء باللسان العربي في وجه الإدارة الغازية، وكانت للشاعر محمد فال بن عينينا (ت ١٣٥٥ هـ) حجة بالغة:

إنّا بني حسن دلّت فصاحتنا
أنّا إلى العُرْب العَرْباء ننتسبُ
إن لم تَقُمْ بيِّناتٌ أنّنا عربُ
ففي اللسان بيانٌ أنّنا عرب
انظر إلى ما لنا من كل قافية
لها تُذَمّ فشذورُ الزبرج القُشُبُ
الطفلُ يولد فينا كابنِ ساعدةٍ
منقّحًا دُررًا أصدافُها ذهبُ
لو لم يكن غيرهذا عندنا نَسَبُ
نُدْلي به لكَفانا ذلك النّسبُ.

وتلك حجة لقّنها من قبل شاعر آخر، محمذن بن السالم (١٣٠٧ ه)، فقال:

مصداقُ أنّي كريم العيص مُنتسبُ
إلى قُريش بيوتِ العزِّ والجدلِ
نَسْجي القريضَ وإحكامي قوافيَهُ
ولا أميزُ بين العطفِ والبَدَلِ

أراد بذلك أن يقول إنّ العربية له سليقةٌ كما كانت للرّعيل الأوّل ممّن فُطروا على الفصاحة والبلاغة، فكان الشّعرُ جزءا من تلك الفطرة كما كان عند الشاعر لعميم بن أحمد فال (صدر القرن ١٤ هـ) في قوله:

أليس الشعرُ طَوْعَ يَدي وقلبي
وَسَهْلَ الصَوغ وَيْكَ عَلَى لسَاني
أَصُوغُ البيتَ منْهُ بلا عَرُوض
على أقْوَى وأَقْوَمِ الاتّزانِ
وَأَنْفِي اللّحْن والتّعْقيدَ عَنْهُ
بِذَوْقِي والقَريحَةِ وَالجَنَانِ

ورحم الله جدي لأم الشيخ محمد الحافظ بن فتى العلوي (ت ١٣٦٩هـ) فقد كان ينظم القصيدة بالسليقة دون دراية برسوم العروض، ثم يسأل العارفين بها عن بحر القصيدة.

وإذا كانت تلك حالُ أولئك مع الشعر، فلا تعجب إن وجدتهم يدعون النحو سليقة أيضا. ذلك ما كان من ابن السالم المذكور آنفا، حيث يقول:

النحو علمٌ كفاني من تعلُّمه
مَلْجُ الثدي ثدي الهيف من حسن

هي، إذًا، الرّضاعةُ من أثداء الأمّهات، كما ادّعاها من قبل دعوى صدقتها البينات، الشاعر أحمدٌ بن عبد الله (الملقب الذيب – ت ١٣٤٢ هـ):

لنـا الـعـربـيـةُ الـفـصـحـى وإنّـا
أعــــمُ الـعـالـمـين بـهـا انـتـفـاعـا
فـمُـرْضَـعُـنـا الـصـغـيرُ بـهـا يـنـاغي
ومُـــرضِـــعُــه تــكـورهـا قـنـاعـا
فـنـأخـذُهـا مـن الـكـتـب اعـتـمـادا
بمـا فـيـهـا ونـأخـذهـا ارتـضـاعـا

قد لا يخلو ما سلف من مسحة مبالغة مشروعة في البلاغة العربية، وخصوصا في الشعر، بل إن القرآن شرعها في الخطاب العام، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى عن ملكة سبأ ﴿وأُوتِيَتْ من كل شيء﴾. لكن مسحة المبالغة هذه تجد لها سندا في واقع معيش، تمكّن في العادات حتى انبجس في مرويّاتهم عن الخوارق والكرامات؛ فقد قالوا إن الشاعر بوفمين (القرن ١٢ هـ) شرع في دراسة ألفية ابن مالك في النحو، وما إن وصل إلى البيت الثالث من مبحثها الأول:

بالجرّ والتنوين والندا وأل ومُسنَد للاسم تمييزٌ حَصَلْ

حتى بادر فقال: حصل الإعراب والتمييز، مُنَوّها بأنّه امتلك ناصية النحو العربي دون أن يغوص في التفاصيل.

لك أن تعجب من ذلك، إن حكمت نواميس العادات، ولك أن تعجب أكثر حين تسمع أن حمد الله بن محمد بن محمد سالم (ت ١٣٣٠ هـ) نبغ في الشعر وهو في سن الثالثة، فقد قالوا إن أمّه أرادت أن تفطمه فقدّمت له تمرا فقال:

أشـــكُ أو أظـــنُ أو أقـطـعْ
أنّ الـــذي قــدمــتِ لا يُـشــبِــعْ

وليس الأمر إن صح نبوغا في الشعر فقط، ولكنه نبوغ أيضا في العلم بمراتب العلم التي جاءت مرتبة تصاعديا من الشك إلى اليقين.

وإن تعجب فعَجَبٌ أيضا قولهم إنّ الفغ (الفقيه) موسى بن الفغ محنض أمغر استهلّ صارخا عندما وضعته والدته بكلمة (قال مالك) ففرت القوابل فزعا، وكأنّ ذلك كان إيذانا خارقا بتبحّره لاحقا في الفقه المالكي وبأنه ولد ناطقا بالعربية من أول لحظة.

وبمعزل عما هو متمحّض للكرامات، كان من شواهد سيادة اللغة العربية في البلاد ما يذكر من أن العبيد الذين بلغ بهم الغُبْنُ الاجتماعيّ أن كانوا محرومين غالبا من التعليم (وتلك أمة قد خلت، والحمد لله) كانوا يغنّون على الطبل بمقامات الحريري.

لك أن تصدق، ولك ألا تصدق، لكنّ العبرة في هذه القصص وأضرابها، هي ما تُفصِحُ عنه من تجذّرِ العربية في الحياة العامة للقوم، وعلُوّ شأنها عندهم. وهذا ما لهم فيه دعاوى جمة صدقتها البينات، وإن انتسجت حولها قصص مُستغْرَبات.

حدّث إن شئت، ولا حرج، عن عشق علماء القوم للكتب عامة، ولكتب اللغة العربية خاصة. عشق وصفه الأديب د. الشيخ سيدي عبد الله بأنّه إباحي، وساق له شواهد منها أن رجلا من القوم اشترى نسخة من القاموس المحيط للفيروزابادي بعشرين بعيرا. وهل أتاك حديث الإبل عند أهل البادية!

وقد شاع عن الشاعر الكبير محمد بن الطلبه (ت ١٢٧٢ هـ) أنه كان إذا سافر لا يحطّ رحله في مضارب بدو إلا إذا كان عندهم القاموس المحيط، فإن لم يجده عندهم واصل سيره. وقد كان العلامة اباه بن محمد الأمين (ت ١٣٨٠هـ) يمتحن صفوة طلبته بحفظ صفحتين من القاموس المحيط في قراءتين.

وحدّث إن شئت ولا حرج عن الصبيان والفتيان الذين يفرغون في سنّ الصبا أو المراهقة من حفظ المعلقات السبع أو العشر ودواوين الست الجاهليين ولامية العرب ومقصورة ابن دريد وديوان ذي الرمة، ومثلثات قطرب وابن مالك، وغيرها. وكثير منهم يقدمون دراسة اللغة من خلال الدواوين والمتون على دراسة الفقه، وعيا بضرورة إتقان العربية لفهم الأحكام الشرعية.

أصغ في هذا الصدد إلى فتوى العلامة الفقيه محمذن فال بن متالي (ت ١٢٨٧هـ):



تعلُّمَ اللغة شرعا فَضّلِ
على التَّخلي لعبادة العليّ
يؤخذ ذا من قوله وعلّما
آدم الأسماء، الْزَمِ التّعلما

وحدث إن شئت ولا حرج عن الشعر فيما عرف بـ (بلاد المليون شاعر)، حلية خلعتها عليها مجلة العربي، ومهرها الشاعر التونسي الكبير نور الدين صمود لاحقا بتوقيعه حين قال، وكأنّ شمس الآداب لا تطلع عنده إلا من المشرق:

بابٌ على الشرق في أقصى المغارب مِنْ
أرضِ العروبة حيث الشعر يأْتلقُ
شنقيطُ أهلكِ مَن للعُرْب قد رفعوا
راياتِ عزٍّ لجوّ الشعر تخترقُ
واستنسخوا الشرقَ حتى خِلْتُ أنّهُمُ
كصورة الشرق، في آفاقهمْ، خلقوا
فلا تمرُ بهمْ إلا على فِئَةٍ
في حُبِّهمْ لأصيل الشعرِ قد صَدقوا

وحدث إن شئت ولا حرج عن ذخائر المصنفات التي أنتجها الشناقطة عن العربية وبها، وعن سفرائهم الذين جابوا صخور الضاد، وتصدروا بها المجالس في قلب ديارها العامرة، مشرقا ومغربا.

ولا تعجب، والحال هذه، إن سمعت العلامة غالي بن المختار فال (ت ١٢٤٠ هـ) يقول مفاخرا:

وبعد، فاللغةُ من عدانا
يمكث في طلابها عدانا
يسائلُ الصميم الولدانا
والحشم الخَوَل والعبدانا

تلك دعوى خضعت للتجربة والاختبار غير ما مرّة حين حلّ شناقطة في بعض البلدان العربية فتصدروا فيها مجالس التدريس وتصدّوا لعويص المهمات من تحقيق أمهات كتب اللغة وغيرها.

لنُصْغِ معا إلى طه حسين وهو يحدث عن الشيخ محمد محمود بن التلاميد الشنقيطي (ت ١٣٢٢هـ) في الفصل التاسع عشر من

كتابه الأيام: (كان أولئك الطلاب الكبار يتحدثون بأنهم لم يروا قط ضريبًا للشيخ الشنقيطي في حفظ اللغة ورواية الحديث سندًا ومتنًا عن ظهر قلب).

ولنُلْقِ السّمْعَ لأحمد حسن الزيات وهو يدلي بشهادته: (كان حديثنا وحديث المُتأدبين يدور على ما تتناقله الأفواه وتتداوله الصحف من الجدل المضطرم الحاد بين الحافظ الحجة الشيخ محمد محمود الشنقيطي وخصومه من علماء الأزهر وأدباء العصر. وكان الشيخ قد هاجر منذ قريب من مدينة الرسول إلى قاهرة المعز فوجد من الإمام محمد عبده لقاء جميلا وعطفا كريما، فأجرى عليه رزقا من الأوقاف، ووكل إليه إحياء الأمهات العربية الكبرى، فنشر المخصّص وحرّر القاموس وأملى الأراجيز (...) وكان الأزهر قد درج طويلا على إغفال اللغة والأدب من مناهجه حتى أدخلهما الأستاذ الإمام في الدراسة الحرة، وجعل دراسة اللغة للشيخ الشنقيطى، ودراسة الأدب للشيخ المرصفي. وكان ابن التلاميد آية من آيات الله في حفظ اللغة والحديث والشعر والأخبار والأمثال والأنساب لا ينِدُّ عن ذهنه من كل أولئكَ نصٌ ولا سند ولا رواية. (...) كان لا ينفك يتحدى رجال اللغة بالمسائل الدقيقة والنوادر الغريبة مستعينا على جهلهم بعلمه، أو على نسيانهم بحفظه، حتى هابوا جانبه وكرهوا لقاءه).

وبحسبك أنّ جدلا ثار في مصر قديما حول مسألة (عمر) كان طرفاه عالمين شنقيطيين: الشيخ محمد محمود المذكور، وكان يقول بصرفها مخطّئا جمهور العلماء، والشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطي (ت ١٣٣١ هـ) وكان يقول بمنعها من الصرف، والجمهور معه. وللشيخ محمد محمود في هذه المسألة، على ما أوتي من بسطة في العلم، أجر الاجتهاد وميزة الجرأة في نقد المأثور وعدم الارتهان له. ويكفيه فخرا أنّ عبارة (قوبل على نسخة الشيخ الشنقيطي) أصبحت علامة مسجّلة عند محققي التراث العربي.

وجه آخر للولع باللسان العربي والاعتداد به سجله أدباء الشناقطة فيما فاض به شعرهم من تقريع للجاهلين بالعربية وقواعدها.

ألم يقل النابغة الغلاوي (ت ١٢٤٥هـ) في حق من يفتون في



الفقه وما لهم في اللسان العربي وقواعده من نصيب:

وبعضُهم يُفتي وهْوَ جاهل
إعراب بسم الله عنه ذاهل
فليس من أهل اللسان العربي
وفي الأصول ما له من أرب
فمثل هذا لا يكون مُرشدا
لجهله النحو وممّا أنشدا
(عليك بالنحو فإنّ النحوا
لحن الخطاب ملكه والفحوى

نفى النابغة عن الجاهل بالنّحو أهلية الفتوى في الفقه، ومن غرائب ما يذكر عن القوم، مما يشبه إلى حد ما ما يروى عن أبي عمر الجرمي (ق ٣ ه)، أن أحد علمائهم (بابا بن أحمد بيبه) ت ١٢٧٢ه) أفتى في نازلة فقهية من القاموس المحيط.

أما العلامة بلا بن الفاضل (ق ١٣هـ)، فقد ورد أنّ جهلةً بقواعد اللغة اعتدوا عليه، فعلق قائلا:

لا يؤلم الضرب ممّن لا يميز للز
يدون يدعون والهندات تدعونا

لم يعد الجاهل بالنحو مسلوبَ الأهلية للفتوى والإرشاد عندهم، بل أصبح مسلوب الكفاءة الآدمية ولو لمحض القصاص. وإلى نحو من ذلك ذهب محمد ابن أحمد يوره (ت ١٣٤٠هـ) حين أنزل



الجاهل بالنحو منزلة (البقرة الضاحكة) مستغربا كيف يضاحك من حوله:

عجبت من ضحك من لم يعربنّ (به)
ولم يكن عنده للضحك غير (هه)
لا هو يستطردُ الأشعار في ملأ
وليس للوح والآداب ذا وَلَه

ولعل الشيخ محمد بن حنبل (ت ١٣٠٣هـ) ذهب أبعد من ذلك كله في استصغار شأن من لا يعرفون النحو العربي، فسلب عنهم صفة الرجولة، بل صفة الآدمية في غُرابيته المشهورة، ومنها:

كل فتى شبّ بلا إعراب
فهو عندي مَثَل الغراب
وإن رأيته لخَوْدٍ عاشقا
فقل لها اتّقي الغُرابَ الناعقا
وإن مررتَ بعَروب تستَبي
تُنازعُ الحديث غير المُعرب
فقُل رأَيتُ العجَبَ العُجابا
هذا غزالٌ غازَلَ الغُرابا
وإن رأَيتَه لخَود عاشقًا
فقُل لها اتّقي الغُرابَ النّاعقا
ما للغراب وشذى الحسان
شأنُ الغراب جِيفُ الغِربان

وكأنّ هناك من اعتذر عن الخَوْد بأنّ عاشقها ذو مال، فبادر الشاعر معلقا، محذرا:

عارٌ على حسناءَ ذات منصِب
تُرى ببَيت فيه غَير مُعرِب
لا انتَفعَت بالأَكل والشّراب
مَن آثَرتْ مالاً على إعرابِ
حلي الفتى إعرابُه لا مالُه
ولا نِجارُه ولا جماله

تلك شذرات من قصة عشق الشناقطة للعربية وازدهائهم بها. وأمثلة الآحاد فيها إنّما هي نماذجُ مصغّرة لمشهد عام، شهد به من عرفوا البلاد وعلماءها من غير أهلها، بدءا برجال الإدارة الفرنسية الذين أوردنا بعض شهاداتهم أعلاه، ومرورا بكبار الباحثين الغَرْبيين، من أمثال المستشرق الفرنسي جاك بيرك الذي قال: إن بلاد شنقيط كانت في القرون الثلاثة الأخيرة مختصة بالدراسات اللغوية والأدبية أكثر من سائر البلاد العربية، وانتهاء بصورة أهل البلاد كما ارتسمت في أذهان جمع غفير من سدنة الضاد في ديارها الأخرى، ويحسبنا هنا أن ننقلها مختصرة بعدسة د. محي الدين صابر، المدير العام الأسبق للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، رحمه الله: (كانت صورة الشناقطة، وما تزال في البلاد العربية، أنهم الممثلون الأوفياءُ للثقافة العربية الإسلامية في نقائها وأصالتها، وأنهم سدنتُها في قاصية ديار الإسلام، المرابطون في ثغورها حفاظا عليها ونشرا لها وإشعاعا بها).

نعم، كان اللسان العربي تاجا على رؤوس الشناقطة، ووشاحا على صدورهم، ومِجَنّا بأيديهم. به ناجزوا الغزاة، وعنه نافحوا، وبه تغنّوا وباهوا وفاخروا وناظروا، وإليه انتسبوا فقطعوا سجال النّسّابين في سلالات الطين، وفي سبيله أنفقوا الضّنائن وأعطوا فلم يكدوا، بل اتخذوا من الولاء له والحذق بقواعده معيارا للآدمية. وتلك سدرة منتهى الوله اللغوي.

الفاء والمسارعة في تطبيق الحدود في البيان القرآني



د. عـادل أحـمـد الرويني
كاتب وباحث أكاديمي

كتبت في مقالات سابقة عن حرف العطف (ثم) في القرآن الكريم، وبيّنت بتوفيق الله شيئا من بلاغة هذا الحرف في كتاب ربنا، واليوم نبدأ في معايشة حرف آخر وهو الفاء.

وهذا الحرف يطلق عليه حرف التّعقيب، ويقصد وقوع المعطوف بعد المعطوف عليه مباشرة أو بلا فاصل زمني، بخلاف حرف التراخي (ثم) تقول: جاء محمدٌ فعُمَرُ فتدل على أن مجيء عمر (المعطوف) كان بعد مجيء محمد (المعطوف عليه) بلا فاصل زمني طويل أو مهلة.

وأرجو من القارئ أن يتذكر دائما هذا الأمر وهو يقرأ؛ لأنه أصل دلالة الفاء. والآن وبعد هذا التمهيد هيا بنا لنقف في خشوع وإجلال وتدبر أمام بعض الآيات الكريمة التي تشتمل على حرف العطف (التعقيب) الفاء لعلنا نبصر شيئا من أسراره وبلاغته.

قال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٣٨)
﴾ (المائدة ٣٨).

إن الله عز وجل، وهو العليم بما يُصلح أحوال عباده في دنياهم وأخراهم، شرع لهم ما يضمن سعادتهم وأمنهم واستقرارهم، وكان ممّا شرعه الله لعباده الحدود الشرعية، ولقد دعا الإسلام أتباعه إلى إقامة حدود الله صيانةً لحياة الفرد وعرضه وأمنه، وضمانا لاستقرار المجتمع ونظامه، وحذّر من التلكؤ في إقامة هذه الحدود، والتّهاون في تطبيقها، كما حثّ الإسلام على تطبيق شرع الله على المجتمع بشتى طبقاته، الفقير والغني، الشريف والوضيع، فالكل أمام شرع الله سواء، وحديث المرأة المخزومية التي قطع رسول الله –صلى الله عليه وسلم – يدها عندما سرقت – وهي الشريفة – ولم يقبل شفاعة حِبّه أسامة بن زيد فيها لَخيرُ دليل على ما نقول.

المهم أن نقول في هذا السياق: إنّ حرف العطف الفاء نهض بالدلالة على وجوب المبادرة إلى تطبيق الحدود، وعدم التهاون في تطبيقها؛ لذا كان من الملحوظ دخول الفاء في كثير من الآيات القرآنية التي تتضمّن أوامر إلهية بتطبيق الأحكام الشرعية.

ومن هذه الآيات الآية التي ذكرناها آنفا حيث دخلت الفاء على الأمر بقطع الأيدي في قوله تعالى: (فاقطعوا أيديهما) لتدلّ على وجوب المبادرة إلى تنفيذ حد الله، والمسارعة إلى تطبيقه دون تردّد تحقيقا لمبدأ العدل، حيث لم يكن قطعُ الأيدي انتقاما وإنما كان جزاء يقصد منه الرّدع، وعدم العود. ولقد تآزرت كلماتُ الآية وجملُها وبناؤها مع الفاء في إظهار روح الاستنهاض إلى تطبيق حدود الله تعالى. تأمّل قوله سبحانه: ﴿جزاءً بما كسبا﴾، وقوله: ﴿نكالا من الله﴾ أي: عقابا شديدا من الله، وتأمّل كيف أشعر لفظ الجلالة (الله) بعظم ذلك الجزاء وشدته، ثم تأمّل ختام الآية: ﴿والله عزيز حكيم﴾ وما يُشعر به من الوعيد بالانتقام الشديد من ولاة الأمر الذين يتهاونون في تنفيذ شرع الله تعالى. ودلالة التعقيب أي المبادرة بتنفيذ الحد الشرعي من قطع أو جلد دلالة مؤكّدة ومكرّرة في أمثال أساليب الشرط المقترنة بالفاء كما في الآيات هنا بيان ذلك دلالة أسلوب الشرط نفسه، أي أنّه بمجرد تحقّق الشرط أي السّرقة يتحقق الجواب مباشرة، أي القطع وهذه دلالة على التّعقيب مستنبطة من دلالة أسلوب الشرط، فهنا توجيه بالمبادرة بتنفيذ الحد الشرعي، وهذه واحدة، ناهيك عن دلالة الفاء النصية على التعقيب أي المسارعة في تطبيق حد السرقة أو غيره، وهذه الثانية، فاجتمعت إذن دلالتان على الأمر بالمبادرة



إلـى تطبيـق الحد الشرعي، والمسـارعة فيـه مـن خلال دلالـة الفاء ودلالـة أسلوب الشرط كما بينا، ولعل ما يؤكد هـذا الاجتهاد إيثار الفـاء مـن بيـن بقيـة أدوات الربـط لاقترانهـا بجـواب الشـرط فـي الجمل الشرطية المجزومة بأدوات الشرط الجازمة.

ثـم تأمّل أيضـا السّرّ فـي إعـادة لفظ الجلالـة فـي نهايـة الآيـة الكريمـة، حيث كان مـن الممكن أن يقـال مثـلا: إنـه عزيـز حكيم، ففـي تكرار لفظ الجلالة إشعارٌ بالمهابة والجلالة، وإيمـاءٌ إلى أنّ حدود الشرع لها من القدسية والأهميّة والمكانة ما يستوجب على وُلاة أمـور المسلمين تنفيذهـا مباشرة دون تحكيم لهـوى أو اتّباع لقانـون بشريّ مخالـف لحكم الله.

روي أنّ أعرابيـا سـمع الأصمعـي يتلـو هـذه الآيـة، فقـرأ فـي آخرهـا: (والله غفور رحيم)، فأنكر الأعرابي أن يكون هذا قرآنا، قال الأصمعي: فرجعت إلى المصحف فإذا هـو: ﴿والله عزيزٌ حكيمٌ﴾، فلمـا قلت ذلك للأعرابي قال: نعم، عَزّ فَحَكَمَ فقَطَعَ، ولو غفر ورحم لمـا قطـع. وهذه وثبـةٌ من وثبات الذهن العالية. فقد فهم الأعرابيّ الأمّـيّ أنّ مقتضى العزة والحكمة ، غير مقتضى المغفرة والرحمة، وأنّ الله تعالـى يضـع كل اسم موضعـه من كتابه.

والخطـاب فـي قولـه: (فاقطعوا) لـوُلاة الأمـر الذيـن إليهـم يرجـع تنفيـذ الحـدود، وجمـع سبحانه اليـد فقـال: (أيديهمـا)، ولـم يقـل: يديهمـا بـالتثنيـة؛ لأنّ فصحـاء العرب يستثقلون إضافـة المثنـى إلـى ضميـر التثنيـة، وذكّرَ الضمير في (أيديهما) مع وقوع السّرقة مـن النسـاء أيضـا، ووجـوب إقامة الحَدّ على السـارقات؛ لأنّ وقوع

السرقة من الرجال أكثر من النساء على حسب الشائع، ومن باب التغليب أيضا، والله أعلم.

ولنتأمّلْ تلك الفاء في موضع آخر في قوله تعالى:

﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢)﴾ (النور ٢)

إن حدّ الزنا في الإسلام وُضِع له من الشروط والضوابط ما يجعله عزيز التطبيق، أمّا إذا توافرت هذه الضوابط وتلك الشروط الواجبة لإقامة حد الزنا فيجب المسارعة إلى تنفيذه؛ وذلك تطهيرا للمجتمع من براثن الرذيلة والفساد واختلاط الأنساب وفُشُوّ الأمراض وهذه من آثار الفاحشة، والعياذ بالله، ولقد كان للفاء دورٌ في الآية الشريفة مع بقية نَظْم الآية وصياغتها – كما سنبين – في ضرورة المبادرة إلى تنفيذ هذا الحد دون مجاملة، وبلا هوادة أو شفقة.

أريد من القارئ الحصيف أن يتأمل معي الآية الكريمة و كيف تعاونت كل كلمة فيها – مثل الآية السابقة – وكلُّ تركيب في بيان التحذير من المماطلة في تطبيق الحد، ولنتدَبَّرْ مثلا قوله: ﴿ولا تأخذكم بهما رأفة﴾ حيث تقدّم الجار والمجرور (بهما) على الفاعل، حيث كان الظاهر أن يُقال: ولا تأخذكم رأفة بهما. والسِّرُّ في هذا التقديم التنبيه على الاعتناء بإقامة الحد.

وتأمّل قوله: ﴿في دين الله﴾ وما فيه من دلالة على أنّ هذه الحدود جزءٌ لا يتجزّأُ من الدين، لا يحِقّ لحاكم أو أيّ بشر أن يُنكره أو يُلغيَه أو يعترض عليه؛ لأنه (دين الله)، ثم تأمل كيف جعلت الحدود – لأهمّيتها في حياة الناس كما بينا – هي الدين كله :(دين الله)، وهي في الحقيقة جزءٌ من الدين وليست الدين كلّه. لقد أوحى هذا التعبير (دين الله) بخطورة التّعدي أو التجاوز والتهاون في تطبيق تلك الحدود التي فيها صلاحٌ للفرد والمجتمع، وتأمّل أيضا هذا الشرط: ﴿إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ وما فيه من الحثّ والإلهاب لتنفيذ الحد، حيث عبّر بأداة الشرط (إنْ) التي تدل على الشك في وقوع الشرط، وكأني بالجملة تُحذِّرُ كلّ من يتخاذل أو يتهاونُ في تنفيذ الشرع بأنّ إيمانه صار محلّ شك، وأنّه يحتاج إلى مراجعة إيمانه؛ لأنهم ليسوا بأرحم من الله تعالى على من يقام عليهم الحد، والفاء العاطفة أبرزت كل هذا بدلالتها على المسارعة.

أنا لا أريد أن أتوسع في تحليل الآيات الكريمة بالوقوف أمام

كل كلمة، ولكننا نريد من قارئنا أن يتدبّرَ معنا البيان القرآني ويتذوقه؛ لذا فإنني أحب أن أقف متأملا ومعي القارئ العزيز متسائلا: لماذا بدأت آية المائدة بقوله: ﴿والسارق والسارقة﴾ حيث تقدمت صيغة التذكير (والسارق) على صيغة التأنيث (والسارقة) في حين عكس الترتيب في سورة النور، حيث تقدمت صيغة التأنيث (الزانية) على صيغة التذكير: (الزاني)، فلم يقل: الزاني والزانية على الرّغم من أنّ الحديث في الآيتين عن الحدود ؟!

أما عن وجه ذكر السارق قبل السارقة في المائدة؛ فلأنّ هذا الفعل أي السرقة إنما يشيع في الرجال أكثر من النساء، كما أن في ذكر السارقة مع السارق دفعا لتوهم أن يكون إقامة حد السرقة مقصورا على الرجال فحسب، حيث كان العرب في الجاهلية لا يقيمون للمرأة وزنا فلا يجرون عليها الحدود.

وقد قدّم (الزانية) على (الزاني) في آية النور للاهتمام بالحُكْم، وللإشارة إلى أنّ المرأة قد تكون هي الباعث على زنا الرجل، والمهيّجة لغرائزه التي تهوي به إلى ارتكاب هذه الفاحشة بتبذلها وخضوعها وخلاعتها وتكسّرها وسفورها، ولو منعت المرأة نفسها، وتجنّبت الاختلاط بالرجل ما أمكن، وتحاشت الانفراد معه وتستّرت ما وجد الرجل إلى الزنا تمكينا؛ فتقديم المرأة في الذكر في الآية الكريمة؛ لأنه أشد في تحذيرها.

وأعود بعد هذا التطواف إلى موضع أخير في هذا السياق حيث دخلت الفاء أيضا على الأمر بإقامة حد القذف في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٤) (النور٤)

وهذه الآية الكريمة بيانٌ لحكم القذف، أي لحكم العفائف إذا نُسِبن إلى الزنى يصح كتابة كلمة (الزّنى) بالألف المقصورة على لغة أهل الحجاز، وكتابتها قائمة على لغة بني تميم –، وعبّر عن القذف في حق العفائف بالرمي؛ للإيذان بشدة تأثيره فيهنّ وتحطيمه لنفسيتهن، وكونه رجما بالغيب، والمراد برمي المحصنات رميهن بالزنى، ولم يصرح به اكتفاء بوصفهن بالإحصان المنبئ عن نزاهتهن عن تلك الفاحشة.

وتأمل التعبير بحرف التراخي (ثم) وما فيه من إشعار بإعطاء فرصة للذين يرمون العفائف بتلك الفاحشة للإتيان بالشهود الأربعة لما قد يتطلبه ذلك من وقت لاجتماعهم، وللإشعار بأنهم في حال عدم الإتيان بالشهود فإنهم حينئذ جديرون بالتطبيق الفوري بإقامة حد القذف عليهم وهو الجلد ثمانون جلدة؛ لظهور كذبهم وافترائهم بعجزهم عن الإتيان بالشهداء. تأمل العدل في التعبير بحرف التراخي في الآية الكريمة وهو يُلغي أيّ حُجّة للرّامين بالقذف بأنّهم لم يعطوا فرصة لتجميع شهودهم، ولو قيل في غير القرآن: والذين يرمون المحصنات فلم يأتوا بأربعة شهداء لدلّ ذلك على وجوب إقامة حد القذف عليهم بمجرّد تلفظهم به دون إعطائهم مهلة بتأخير الإتيان بالشهود، وفي التعبير بحرف النفي (لم) في قوله تعالى: ﴿ثم لم يأتوا بأربعة شهداء﴾ إشارة إلى تحقيق عجزهم عن الإتيان بالشهود وثبوت ذلك العجز عليهم، وتلمح في التعبير أيضا بأداة التراخي (ثم) إشارة إلى تجاسر إقدام المجترئ على قذف المحصنات مع ما وضع له من شرط وهو الشهود الأربعة إرادةً للستر، وأنّ هذا التجاسر بعيد عن المنطق والعقل والحكمة.

واقترن قوله تعالى (فاجلدوهم) بالفاء لتضمّن المبتدأ معنى الشرط، وتأمل قوله تعالى: ﴿فاجلدوهم﴾ حيث أوحت الفاء – كما في

الآيتين السابقتين – بوجوب المبادرة إلى تنفيذ حد الله وعدم المماطلة في إقامته وذلك لخطورة هذا الأمر؛ لأنه طعنٌ في الأنساب، وتلويث لسمعة المرأة وطُهرها وعفافها وكرامتها؛ لذا كان الرّبط بالفاء في هذا الموضع إعلانا صريحا بأنّ المسارعة إلى تنفيذ حد القذف ضروريةٌ وواجبةٌ لرفع الظلم عن المرأة المقذوفة؛ لأنّ فيه إعلانا ببراءتها ممّا رميت به بهتانا، وقطعا لألسنة المُتَقَوّلين، ووَأْدًا للشائعات في مهدها قبل انتشارها.

وتأمّل التعبير باسم الإشارة للبعيد (أولئك) في قوله تعالى: ﴿وأولئك هم الفاسقون﴾ وما فيه من دلالة على بُعْد منزلة هؤلاء القاذفين في السوء والشر والفساد، فأولئك محكومٌ عليهم بالفسق والتجاوز عن الحدود الكاملون في الاتّصاف بهذا الوصف بدلالة الضمير المنفصل (هم)، والتعريف بـ (ال) في (الفاسقون)، وقوله سبحانه: ﴿ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا﴾ عطف على ﴿اجلدوهم﴾ وداخل في حكمه والتقدير: فاجمعوا لهم الجَلْد ورَدّ شهادتهم، وفي هذا كله تحذير شديد من التجاسر على رمي العفائف الطاهرات بالفاحشة والإقدام على ذلك.

هذا ما نهضت به الفاء في سياق الأمر بإقامة الحدود في الإسلام، والله أعلم بمراده، وصَلّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



العربيّة في رحاب شنقيط

منذ ترعرعت في كليّة اللغة العربيّة والآداب بجامعة وهران، وتدرّجت بين أعوامها الدّراسيّة في مرحلة اللّيسانس، تعلّمت – كما تعلّم أترابي – في درس اللسانيات أنّ اللغة ظاهرة اجتماعيّة يعبّر بها كلُّ قومٍ عن أغراضهم على حدّ تعبير ابن جنّي.

تعلّمتُ أنّ اللغة تُكتَبُ وتُنطَقُ، وعلى قدر عُمق ثقافة المُتحدّث بها وعلمه بأساليبها وأسرارها، يزدادُ بيانُهُ جمالا وإشراقا، وعلى مقدار كثرة مطالعاته وتنوّع قراءاته، يترقّى في مدارج الإبانة والتّبيين، والفصاحة والإفصاح.

وظلّ هذا الفهمُ يَصحبُني في حلّي وترحالي، في شبابي وكهولتي، إلى أن يمّمت نحو شنقيط رَحلي، وأنختُ بها عنسي، فإذا بي أمام ثلّة من الكرام تسري العربيّة في دمائهم، وتجري في عروقهم. كنتُ أسمع قبل السفر إلى موريتانيا أنّ أهلها قومٌ محافظون: يحافظون على التقاليد العربيّة الأصيلة. يلبس أهلها الثوب العربيّ التقليدي الموشّى يتدرّعون به من حرّ الصيف وقرّ الشتاء. فيهم دماثةُ خُلُق، وطيبُ نحيزة، وسلامةُ فطرة، وصفاءُ قريحة، ونُبلُ شيم، وطُهرُ خصال ورثوها كابرا عن كابر. ورثوها عن المسلمين الذين فتحوا ديارهم بالحبّ والإيمان والخُلُق الحسن.

تشرّبت نفوسُ آبائهم وأجدادهم الأقدمين حُبّ العربيّة. تعلّموها مع القرآن الكريم فأقامت بديارهم وضربت بجرانها في ترابهم. ساعدهم صفاءُ العيشة الصّحراويّة الهادئة المطمئنّة البعيدة عن صخب المدينة وغوغائها على الحفاظ على لغة الضاد نقيّةً صافيةً شفّافةً غضّةً طريّة. يخطبُ بها العالم الفقيه بفصاحة وبيان، ويتغنّى بها الشاعر المحبّ الولهان، ويلهجُ بها الصّبيّ مقتفيًا آثارَ والديه فيُحسنُ الإبانةَ والتّبيين.

صحيحٌ أنّي كنت على علم بهذا قبل سفري إلى بلاد شنقيط المباركة، ولكنّ الذي راعني وراقني، وشدّني وأسرني وهزّني أنّي التقيتُ، على هامش لقاء علميّ تدريبيّ يندرجُ في إعداد المحرّرين المعجميّين المشاركين في مشروع المعجم التاريخي



د. محمد صافي المستغانمي

الأمين العام لمجمع اللغة العربية بالشارقة

للغة العربيّة، قلت: الذي شدّني أنّ عددا كبيرا من الذين حضروا ذلك اللقاء، إن لم أقل كلّهم، كانوا شعراء فصحاء، يرتجلون الشّعر بداهةً. تجودُ قرائحهم بالأشعار الجميلة الأخّاذة السّاحرة في الدّقائق واللّحظات. يهتبلون الفرص للتّنفيس عمّا يغلي في مراجل صدورهم من شعر ساخن حارّ فيّاض. لا أكونُ مبالغا إذا قلت: إنّ بني شنقيط لا يتكلّمون اللغة، بل يتنفّسونها. يستنشقونها ويخرج الزّفيرُ أشعارا جميلةً ذات إيقاع موسيقيّ عذب شجيّ مؤثّر بليغ يتذوّقُهُ الذين يُحسنون اللغة ويعشقونها.

لستُ في هذا القول مبالغا ولا مجاملا، وما كنت ممّن يُجاملُ على حساب الحقّ الأبلج الواضح الجليّ أحدا. تحدّثتُ معهم حديث الأخ مع إخوته حول بعض أساليب التّحرير المعجميّ وموجّهاته، وعرّجنا على نماذج من الأمثلة سقتها بين أيديهم على وجه التّمثيل والإيضاح، وما أنا بالذي يسوق اللغة إلى أصحابها، وإذا كان التّاجرُ الماهرُ الحاذقُ الخِرّيتُ العارفُ بمسالك التّجارة والرّبح والخُسران لا يستطيعُ أن يبيع التّمر في بلاد العراق التي تفيضُ مناكبها وواحاتها بكل أنواعه؛ فكذلك المتكلّم الفصيح مهما كان حاذقا بلسان العرب، مُتقنا لمعارفه اللغويّة والأدبيّة فإنه لا يستطيعُ، وما هو بقادر، أن يُروّجَ لبضاعته اللغويّة المُزجاة أمام أهل شنقيط الفصحاء وأبنائها الشعراء الأبْيناء. قلت: تحدّثت أمامهم وفي جمعهم في الشأن الذي كنت أريد، وإذا بقرائح عدد منهم تفيضُ شعرا مقفّى موزونا، وإذا بالبداهة تتحدّثُ، وإذا بالحناجر تعلو، وإذا بالأصابع ترتفع للمشاركة والمداخلة. الكلّ يريد أن يُدلي بدلوه، ويرغبُ أن يُشنّف الحاضرين بما جادت به قريحته، وسال به قلمه في تلك اللحظات القليلة الممتعة.

وتنافس المتحدّثون، وتناهز المتدخّلون، وتسابقوا في محراب أخذ الكلمة. هذا يُنشدُ على الطويل، وذاك يغرّد على الرّجز، وآخر امتطى الوافر الجميل، وتوالت الأشعار ترتفعُ، وتتابعت نشوةُ الشعر ترقص على الشفاه، ويهتزُّ لها الوِجدان، وعاش مُحبّو الشعر، وعشّاق القريض من الحاضرين في القاعة أحسن الأوقات بل أجملها وأمتعها، حتّى إنّ الدكتور العلامة الخليل النحوي (أطال الله عمره في خدمة



العربيّة والدين) كان يطلب من المتحدّثين عدم الإطالة، ويدعوهم إلى إسقاط كلمات الشكر بل إلى تجاوز إنشاد الشعر إلى الأهم وهو المقترحات والأسئلة المتعلقة بالمعجم التاريخي.

ولكنّه كان ينفخ في رماد، وجانبه الصواب (وهو المصحوب باليمن والفلاح والصواب دائما) أن يُسكتهم. وهل يستطيع أحدٌ أن يُسكت لسان الشعر إذا غنّى، وهل بِمُكنة أحد أن يمنع العواطف المتأثّرة والمشاعر المتأججة أن تسيل على ألسنة أصحابها؟

لقد تعلّمت من هذه الرّحلة العلميّة الكثير، ولكنّ الدرس الكبير الذي حفرته في ذاكرتي، وتشرّبته مُخيّلتي، وتجذّرت آثاره في بؤرة تفكيري هو أنّ الحفاظ على اللغة يحتاج إلى جهد ورؤية وقناعة و بيئة .

يحتاج تعلّم اللغة العربيّة (كما هو الشّأن في تعلّم أيّ علم ولغة) إلى جهد جهيد وعمل جادّ رشيد وسلوك مهيع علميّ صحيح لغرس اللغة السليمة في نفوس أبنائنا وعقولهم؛ فليس تعلّم اللغات ضربا من اللعب أو لونا من ألوان التّرويح عن النّفس، بل لا بد على علماء الجيل، ولزامٌ على الآباء والأمّهات، وحتمٌ على المعلّمين والمعلّمات، وفرضٌ على حرّاس التربية والتعليم في بلادنا العربيّة أن يجهدوا وينصبوا ويستفرغوا الوسع في رسم خطط علميّة تعليميّة صحيحة وقويّة تنهضُ بتعليم اللغة العربيّة لأبناء هذا الجيل الذي تتخطّفُه أحابيلُ التّكنولوجيا من كل حدب وصوب، وتعصف به أعاصير التغريب والتمييع من شرق وغرب.

ليس تعلّمُ اللغة نافلةً أو ضربا من التّرفيه، حتّى يُعنى الآباء والأمّهات والمنظّرون في التربية الحديثة بالمواد العلميّة ذات الطابع التقني والعملي مستسهلين أمر اللغة بادّعاء أنّها سهلة ميسورةٌ، وبحكم نشأة الطالب في بيئة عربيّة فإنه سيسهل عليه تعلّمها بل إنّ تعلّمها تحصيل حاصل وضربةُ لازب.

.... هذا اللون من التّفكير الساذج سبّبَ لنا الكثير من المتاعب، وأردانا في المهالك. العربيّةُ تحتاج إلى بذل جهد ليس بالهيّن لتعلّم حروفها، والكيفيّة السليمة للنطق بها. يحتاج نحوُها وصرفُها عقلا منطقيّا، وفكرا ثاقبا ألمعيّا. تحتاج بلاغتها

إلى ذاكرة قويّة وحافظة واسعة يُخزّنُ فيها المتعلّم أنماطا من الأساليب الجميلة، وضروبا من الأنساق التعبيرية الرائعة. يحتاج متعلّموها إلى التّفريق بين مترادفاتها وأضدادها، بين مشتقّات الجذر الواحد ومصادره، والتمييز بين دلالات أبنيتها الكثيرة.

وإذا كان المشهور المعروف المتداول من أبنية العربيّة يربو على خمسمائة وزن وصيغة، ترى ما السبيل إلى تعلّمها بله حفظها وإجادة التعبير بها؟ ومتى يتعلّمها أبناء مدارسنا؟

من ناحية أخرى، أسلفت أنّ المحافظة على اللغة العربيّة تقتضي رؤيةً واضحة لدى كل الأسر والمدارس وأبناء المجتمع وساسته وقادته؛ إذ لا يستقيم الفرع، ولا يربو ولا ينمو على حب العربيّة وتشرّبها والشّغف بها، ولا يستوي على سوقه إذا كان القائمون على المجتمع وحرّاس التربيّة فيه، والآباء والأمّهات خِلوًا من الرّؤية الواضحة والقناعة القويّة الرّاسخة لأجل تعليم اللغة السليمة والمحافظة عليها.

.... كيف يستقيم لسان الابن، وأبوه وأمّه يخاطبانه بالعاميّة البعيدة عن كل فصيح؟ أم كيف يُفصحُ لسانُ النّاشئ فينا وأبواه يخاطبانه بلغة أجنبيّة لا علاقة لها بدينه وقومه ووطنه؟ أم كيف يستقيم أبناء الجيل، وكلّ ما في المجتمع يدعو إلى التّغريب والعيش في فلك الممنوعات؟

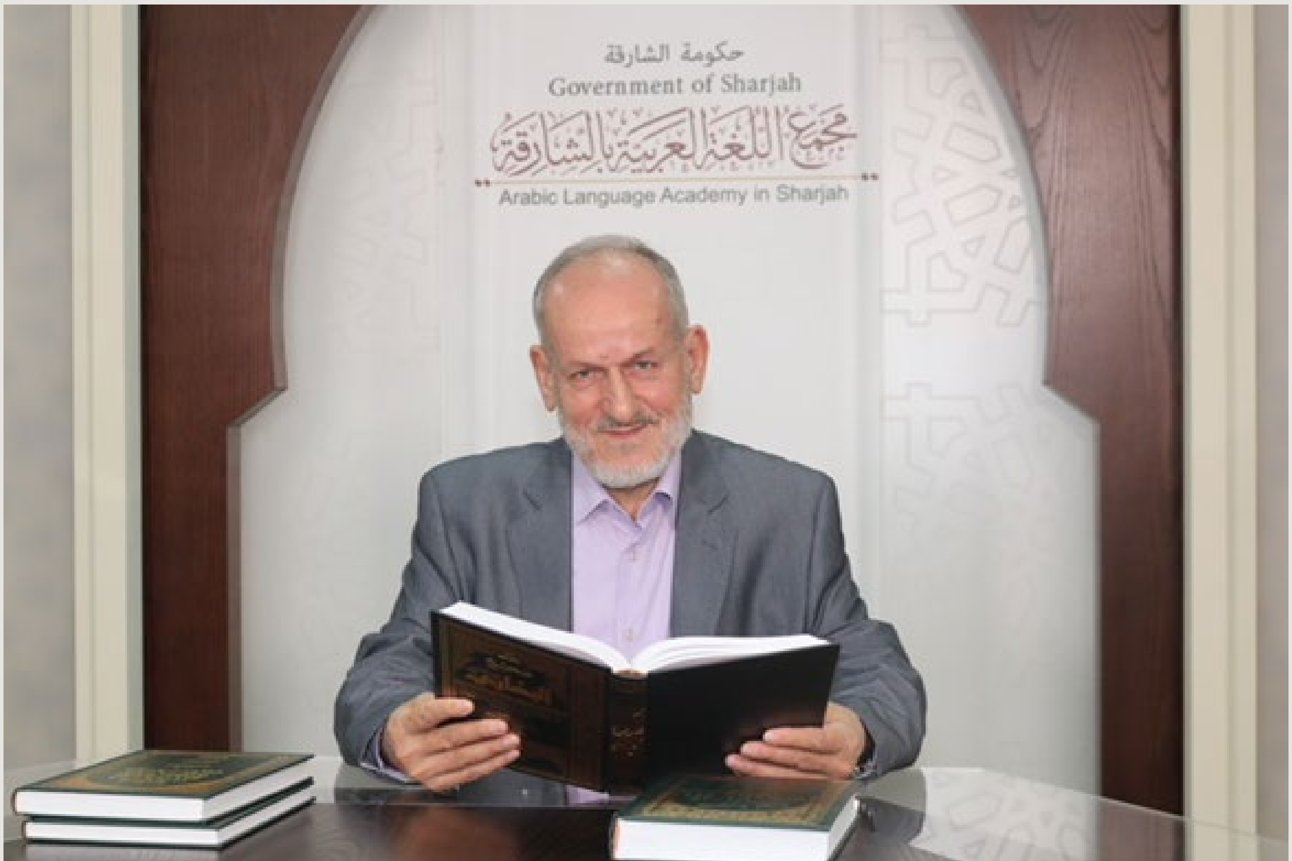
إنّ القائمين على قطاع التّربية والتعليم، وإنّ الآباء والأمّهات في المجتمعات العربيّة المعاصرة بحاجة إلى وقفة مراجعة شاملة. وقفة مع أنفسهم ليُدركوا ماذا يريدون؟ وقفة مع الله ليعرفوا إلى أي وجهة يتوجّهون ويوجّهون أبناءهم وبناتهم؟ وقفة تحاوريّة وتشاوريّة مع الخُلّص من أبناء المجتمع، ويكون المحور الأساس الذي يدور في هذه الجلسات الحواريّة التشاوريّة: ماذا نريد حقّا لأبنائنا؟

وأخيرا وليس آخرا، يحتاج غرسُ العربيّة في نفوس أبنائنا أن نُيسّر لهم العيش في بيئة سليمة صافية تُحافظُ على العربيّة وتحرص على سلامة التّواصل فيها بلسان عربيّ مبين. تُحبّ العربيّة وتمجّد ذكراها، وترفع رايتها خفّاقة عالية. تُحفّزُ على تعلّمها ودراسة علومها وفنونها. تكافئ المبدعين بها. تعمل على تفتيق أكمام الإبداع في نفوس أبناء المجتمع. تحثّ على القراءة والمطالعة بالعربيّة. تشجّع على التّواصل والتّحاور في المحافل والمجامع باللغة السليمة الفصيحة. تكتب المقالات، وتشارك في النّدوات والمناظرات، وتقيم اللقاءات بالعربيّة السليمة.

نريد أن يتشرّب الأبناء الاستماع إلى العربيّة، أن نغذّي عقولهم بألفاظها الجزلة والعذبة، وأن نروي غليلهم بأنساقها التعبيريّة الجميلة، وأشعارها الموزونة العذبة النديّة الشجيّة، حتّى يشبّ ناشئ الفتيان فينا وهو يُفصح ويبين، ويُعبّر عن حاجاته ومشاعره بلسان عربيّ فصيح. ألا متى يتحقّقُ هذا الرّجاء؟

وأقول في نهاية هذه الأسطر حول بني شنقيط الذين أذاقوني مودّتهم، وسكن فؤادي حبّهم، وأُعجبتُ بمثقّفيهم ولغويّيهم أيّما إعجاب: هنيئا لكم هذه اللغة السليمة الفصيحة التي تتفيّأون ظلالها، وتتنسّمون عبيرها وأريجها. هنيئا لكم حُسن تربيتكم أبناءكم. إنّ العربيّة في دياركم بخير، وإنّ بشائر النّجاح والتألّق تتغشّاكم وتحفّ بكم؛ لأنّ العربيّة وعاء القرآن؛ فلا تخشوا على أبنائكم عواصف التّغريب ولا أعاصير الإيديولوجيات التي تحاول أن تزعزع وأن تقتلع جذور الإسلام من هنا وهناك؛ فلا خوف على أبناء شنقيط من هذا كلّه ما دمتم وما دام أبناؤكم يتكلّمون ويُفصحون ويبينون بهذه اللغة العظيمة العصماء التي هي جسرٌ لفهم الوحي السماويّ؛ فحيثما ثبتت العربيّة وسكنت، وقرّت ورسُخت، تجذّرت معها دوحةُ الإسلام وطالت فروعها، وبسقت أفنانها، واستقام الدين القويم لا يريم ولا يبرح، ولا يزول ولا يتزحزح.

أمير المؤمنين عمر بن الخطاب
اللغويّ الأديب الناقد



أ. عبد الستار الشيخ
كاتب وباحث أكاديمي

توطئة كاشفة :

عن عبد الله بن عمر، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " بينا أنا نائمٌ، رأيت قدحًا أُتيت به، فيه لبنٌ فشربتُ فيه حتى إنّي لأرى الرِّيَّ يجري في أظفاري، ثم أَعْطيتُ فَضْلِي عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ"؛ قَالُوا: فَمَا أوَّلْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: " الْعِلْمَ" . (1) أخرجه البخاري (82)، ومسلم (2391)، وغيرهما.

هذا مفتاحُ خزائن عِلم عُمرَ حيث خصّه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بسُؤْر العلم النبويّ فورَدَ مَعينَهُ وشرب عَلَلا بعد نَهَل، ففاضت من ذلك علومُه العديدة، وأشرقت لأنوارها في دروب حياته الخاصة والعامة، وأيْنعت ثمارُها في سائر شؤونه وعلاقاته مع الناس؛ مذ كان شخصاً مميزاً في عصر الرسالة وعهد أبي بكر الصديق، وتكاثرت آثارُها وفاح عبيرُها، ورسخت بصماتُها حينما أضحى خليفة المسلمين رِدْحا من الزمان جليلا زاهرا.

وعُمَرُ رضي الله عنه من أبرز الصحابة ورجالات الإسلام في علوم القرآن والسنة النبوية رواية ودراية، وعلوم اللسان العربي؛ فهو من الجيل الذي اختصّه الحكيم الخبير بان أنزل عليهم وبلغتهم كتابه العزيز (القرآن الحكيم)، وأناط بهم القيام بحمل أمانته، كما إنه ابن قريش التي تاهت على عامّة العرب بلغتها وفصاحتها ومكانتها التي توّجت بنزول القرآن على قلب تاجها وأعظم مفاخرها محمد عليه صلى الله عليه وسلم.

وفي مكونات شخصيته العلمية يبرزُ (عمرُ اللغويُّ الأديبُ الناقدُ) ليضاهي عمرَ المفسّر، وعمرَ المحدّث، وعمرَ الفقيه المجتهد، وعمرَ القائد، وعمرَ الخليفة الباهر..!

ذلك أنّ الذي ينتظم خصائصه ومزاياه أن شخصيته المدهشة هي خط واحد ولون واحد؛ أشبه بالنّهر القطيم الذي استقام مجراه على وجه واحد، إنه (رجلٌ جميعٌ) تتحرك كل قدراته في دقّة واتّساق؛ فليس لذرّة واحدة في كيانه فرصة للتّخلّف أو للتلكّؤ أو للنّشاز. قد طُبع على أنه إذا ذهب مذهبا أوْغَل فيه، وإذا أيّد فكرة بذل في ذلك جهده كلّه، وإذا اتّخذ موقفا بلغ فيه المدى استجابةً لإمكاناته الحافلة (٢) كتابي ((عمر بن الخطاب)) ص ١٩٢.

و (عمر اللغوي الأديب الناقد) قد غفل عن بحثه أو أغفله أكثر الذين ترجموا له أو أرّخوا لعصر الخلفاء الراشدين، ونبّه عليه واحتفل به قلةٌ من الأدباء والمفكرين، فأبرزوه بالبحث والدّرس والتفصيل والأمثلة والشواهد، وفي مقدمة هذا الفريق الأديب الفقيه الحكيم ريحانةُ الشام علي الطنطاوي رحمه الله تعالى في كتابه ((أخبار عمر))

خصائص ومزايا (عمر اللغوي الأديب الناقد):

وخصائص عمر في هذا المهيع الرّحيب متعدّدة ومتنوّعة، كما أنّها فائقة الوضوح، ومتناغمة ومتكاملة؛ لتحتشد في بؤرة واحدة ساطعة جذابة!

وشواهد كل واحدة من هذه المزايا كثيرة، وأدلّتها حاضرة، وأمثلتها ناطقة، ومظاهرها قائمة مضيئة، تتجلّى في خطبه وكتبه ورسائله ومعاهداته وتوجيهاته ونصائحه ومواعظه وحكمه ودرر أقواله.

وبعض تِيْكم المزايا قد يتماهى مع بعضها الآخر، كما أنّ المثال المناسب والشاهد الناطق قد تجد فيه أكثر من حجّة ودليل لواحدة أو أكثر من هاتيك الخصائص، وباستقراء ما تناهى إلينا من أخبار عمر، وسَبْر الموروث التاريخي والأدبي له؛ يمكن الإلماع إلى المزايا التالية:

١. الفهم العميق والغوص على دقائق المعاني والإشارات:

ومن أعظم الأدلة وأصدق الشواهد على هذه الخِصّيصة ما وقع بين (عمر الخليفة) و(الفاتحين) في مشكلة (سواد العراق)؛ فالفاروق يرى أن الأراضي الزراعية والمدن بما عليها لو قسِمَتْ بين الفاتحين، لم يتبقّ لمن يأتي بعدهم شيءٌ، ولم يكن لبيت المال موردٌ ينفق منه على الجيوش والحصون والثغور وغيرها، ويرى أنْ تُوقَفَ الأرضُ المفتوحةُ عَنْوَةً، ويَضربَ عليها خراجًا يدوم نفعهُ للمسلمين! والفاتحون يخالفونه الرّأي، ويعدّون كل البلاد التي يفتحونها بما فيها غنيمة لهم (١) (فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ٦/ ٤٣١، شرح الحديث (٢٣٣٤).

وطال الجدال بينهم، ولم يكن بين يدي عمر نصّ قرآنيّ أو حديث نبويّ أو سابقة من الخليفة قبله؛ يقيم من أيّ منها حجّته على مخالفيه، وبقي أيّاما يقلّبُ الرّأي ويُعمِلُ العقل ويكدُّ الذّهنَ حتى فتح الله عليه في سورة الحشر: ﴿ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦) مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٧) لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ



عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٠)﴾ (الآيات ٦ – ١٠)، واجتمع برؤوس الجُند ووجوه المهاجرين وأعيان الأنصار، وأخذ يناقشُهم برأيه، ويسلك في ذلك أسلوب الجدل والمحاجّة، ويجمع إليه قوة الدّليل وروعة الصور واستمالة الخصم، في نمط من البيان يسمو على الأشباه والأمثال، وممّا قاله: (إني واحدٌ كأحدكم، وأنتم اليوم تقرّون بالحق، خالفني من خالفني، ورافقني من رافقني، ولست أريد أن تتّبعوا هذا الذي هواي، ثم قال : قد سمعتم كلام هؤلاء القوم الذين زعموا أنّي أظلمهم حقوقهم، وإنّي أعوذ بالله أن أركب ظلماً، لئن كنت ظلمتُهم شيئاً هو لهم وأعطيتهم غيره لقد شقيتُ، ولكن رأيت أنّه لم يبقَ شيءٌ يُفتَح بعد أرض كسرى، وقد غنّمنا الله أموالَهم وأرضَهم وعلوجَهم، فقسمت ما غنموا من أموال بين أهله، وأخرجتُ الخُمُسَ فوجّهتُه على وجهه وأنا في توجيهه، وقد رأيتُ أن أحبسَ الأرضين بعلوجها وأضع عليهم فيها الخراج وفي رقابهم الجزية يؤدّونها؛ فتكونَ فيْئًا للمسلمين المقاتلة والذرية ولمن يأتي من بعدهم. أرأيتم هذه الثُّغور لابّد لها من رجال يلزمونها؟ أرأيتم هذه المُدُنَ العظامَ كالشّام والجزيرة والكوفة والبصرة ومصر، لابُدّ من شحنها بالجُند وإدرار العطاء عليهم؛ فمِنْ أين يُعطى هؤلاء إذا قُسِمت الأرضون والعلوج؟! فقالوا جميعا: الرّأي رأيك، فنعم ما قلت وما رأيت!) (٢) الخراج لأبي يوسف: ص ٢٩–٣١ ، الأموال لأبي عبيد: رقم (١٤٣–١٥٦) مصنّف ابن شيبة ٦٣٣/٧ ، أخبار عمر للطنطاوي: ص ٨٩–٨٦ ، كتابي ((عمر بن الخطاب)) ص ٣٩٨–٣٩٥

٢. التصوير الحي الناطق الصادق للأحداث الجسام والوقائع المفصلية في حياة المجتمع والأمة، بلغة رشيقة وأسلوب فريد:

ومن بارع الأدلة في ذلك حديثُ عمر بشأن (قصة تخيير النّبي صلى الله عليه وسلم نساءه الطاهرات) (١) أخرجه البخاري (٢٤٦٨)، ومسلم (١٤٧٩)، والنّسائي في السنن الكبرى (٩١١٢)، وغيرهم، وأطنب ابن حجر في شرحه في ((فتح الباري)) :١١/ ٦١٠–٦٢٧، حديث (٥١٩١).

ويقع في ثلاث صفحات؛ وقد عرض فيه عمر رضي الله عنه صورا حيّة للحدث الجلل، ولوحاتٍ وصفيّة للوقائع والأشخاص والزمان والمكان؛ بما يتقاعدُ عن بلوغه أبرعُ الوصّافين! فعرضَ (ظرف) الحادثة، و(أسبابها) ثم قدّم (لوحة وصفية) بيّنَ فيها (الزمان) و(المكان) و(الشخوص)، ولم ينسَ وصف أثاث (المَشْرُبة) التي يقيم فيها النبيُّ صلى الله عليه وسلم، ولا ملامحَ الوجوه، ولا تسجيل الحركات ! ثم عرض صورة (رفيقه الأنصاري) الذي كان يتناوب معه حضورَ دروس العلم، وقد جاءه فزِعًا، وقرع

بابَه وأخبره بالخبر الجليل، كما استعرض عمرُ صورة نفسه وهو (وحده على المسرح) وتردُّدَه بين جماعة الصّحابة الذين (عند المنبر الشريف) وبين (المشرُبة) مُنتظرا الدخول على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويأخذك معه ثلاث مرار حتى أُذِن له، فدخل على النبيّ صلى الله عليه وسلم وسأله بقلب واجف: طلّقتَ نساءك؟ والرّسول صلّى الله عليه وسلم يرفع بصره ويقول لا! فيطمئنُّ عمر، ويتكلم بما يَسرُّ الرّسول صلى الله عليه وسلم ... إلى آخر ما في ذاك الحدث الحازب من مشاهدَ مُثيرةٍ ومواقفَ باهرة ومُؤلمة، ليس أقلّها حال أمهات المؤمنين الحزينات؛ صوّرها عمر بلغته البارعة، ودقّته النّادرة، وصراحته المعهودة، وصرامته المشهورة، على سجيّته وعفو خاطره.

يقول الأديب الناقد الفقيه علي الطنطاوي بعد سرد وتحليل لما قام به عمر: (ولقد قرأت ما لا أُحصيه من الصفحات لأدباء الشرق والغرب، وأنا أؤكّد القول أنّ قليلاً جدًا من الأدباء من يبلغ في حياة العرض و دقّة الوصف وشموله مثل هذا المبلغ! هذا وعمر ما تعمّده، ولا ألقى إلى شيء منه بالاً، وإنّما جاء به على سجّيته، فكيف لو أنّ عمر أراد تجويد الأسلوب، وقصد الأدب والفنّ، وأعدّ كلامه وهذّبه؛ كما كان زهير وغيره من الشعراء يُعدّون ويهذِّبون؟!) (٢) أخبار عمر: ص٢٠٩-٢١٠، كتابي ((عمر بن الخطاب)) ص ١٤٥.

٣. البلاغة الفذّة متمثلة بالمباني القليلة والمعاني الغزيرة العميقة الجليلة:

والشواهد على هذه المزية في حياة (عمر اللغوي الأديب الناقد) لا تُخطئها العين، ولا تتعب الفكر في البحث؛ بل هي ظاهرة حاضرة وافرة، ولعلّ ممّا يحسن في إقامة البرهان عليها، الإشارة إلى (كتب عمر في القضاء)، والذي يُعتبرُ أشهرَ وأعظمَ وأجلّ كتاب في تاريخ القضاء الإسلامي، أوجز فيه (دستور القضاء)، وبيّنَ قواعده وأُسَسَه وشروطه ومحاذيره، وصفات القاضي، وأعماله وواجباته.

كتب عمر إلى واليه على – البصرة– الصحابيّ الجليل أبي موسى الأشعري: (أما بعد؛ فإنّ القضاءَ فريضةٌ مُحكمةٌ، وسُنّةٌ متّبعة، فافهم إذا أُدْلي إليك بحُجّة، وأَنْفذ الحق إذا وضح، فإنّه لا ينفع تكلّمٌ بحق لا نفاذَ له. آسِ بين النّاس في مجلسك وفي وجهك وقضائك، حتى لا يطمع شريفٌ في حَيْفِك ، ولا يَيْأسَ ضعيفٌ من عدلك.

البيّنة على المدّعي واليمين على من أنكر.

والصُّلحُ جائزٌ بين المسلمين، إلا صُلحا أحلّ حراما أو حرّم حلالاً، والمسلمون عُدولٌ بعضهم على بعض إلا مجرّبًا عليه شهادةُ زور ثمّ الفهمَ الفهمَ فيما أُدْلِيَ إليك ممّا ورد عليك ... وإيّاك والغضبَ والقلقَ والضّجرَ والتّأذّيَ بالنّاس والتنكّرَ عند الخصومة ..) (١) سنن الدارقطني : حديث (٤٤٧١،٤٤٧٢)، أخبار القضاة ١/٧٣-٠٧، ٢٨٤-٢٨٣ ، إعلام الموقعين ١/٨٦-٨٥ آس : سَوِّ.

وهذا الكتاب هو عبارة عن رسالة في (صفحة واحدة)، وحسبُها جلالةً وبلاغةً وشمولاً وعبقرية أنّ الإمام ابن القيّم شرحها في كتابه (إعلام الموقعين) واستغرق الشرح (٤٨٠) أربع مئة وثمانين صفحة وعلّق الشيخ علي الطنطاوي وهو من مشاهير قضاة الشام، وعمل في سلك القضاء نيّفا وعشرين سنة فقال (وقد جمعت هذه الرسالة العجيبة آداب القاضي، وأصول المحاكمة، وقد شغلت العلماء بشرحها والتّعليق عليها هذه القرون الطويلة، ولاتزال موضوعَ دهشة وإكبار لكل مَنْ يطّلع عليها. ولو لم يكن لعمر من الآثار غيرها لَعُدّ بها من كبار المفكّرين المشرّعين..) (٢) أخبار عمر: ص١٧٣.

٤. مخزون لا ينضب من دواوين شعر العرب:

ويظهر هذا جليًا لمن يبحث في موسوعات كتب الأدب والدّراسات التي تناولت ((الأدب)) في صدر الإسلام وعصر الخلفاء الراشدين، فيجد الباحث أنّ عمر كان أكثر الخلفاء ميلا للشّعر وسماعه وحفظه والتّمثّل به وإنشاده في كل مناسبة؛ حتى قيل: إنّه لا يكاد يعرض له أمرٌ إلا وأنشد فيه الشعر (٣) العمدة، لابن رشيق: ١/١٩-٢٠

ذكر المبرّد أنّه قيل للأوسية، وهي امرأة حكيمة من العرب، بحضرة عمر: أيّ منظر أحسن؟ فقالت: قصورٌ بيضٌ في حدائق خضر، وأنشد عمر لعديّ بن زيد:

كدُمى العاج في المحاريب أو كالـ
بيض في الـرّوْضِ زهـرُهُ مستنيرُ

((٤) الكامل: ٢/٩٤٩، الأدب الإسلامي في عهد النبوة وخلافة الراشدين ، د. نايف معروف ص١٧٠ : المحاريب: الغرف. البيض: القصور.

وبينما عمر في بعض أسفاره على ناقة صعبة قد أتعبته، إذ جاءه رجلٌ بناقة قد ريضت وذُلِّلت، فركبها، فمشت به مشيًا حسنا، فأنشد:

كـأنّ راكبَـها غُـصـنٌ بمـرْوَحـة
إذا اسـتـمرّتْ بـه أو شـاربٌ ثَـمِلُ

(٥) الأغاني ٨/١٤٤، أخبار عمر: ص ٢٢٤.

ولم يكن عمرُ متفرّغًا لإنشاء الشّعر ولا محتفلاً بذلك، فحياتُهُ منصرفةٌ إلى الاعتناء بالوحيين الكريمين (القرآن والسنة)، ورعاية شؤون الأمّة وإدارة الدّولة وقد عُزِيَت له قصيدةٌ قالها عند إسلامه، وأخرى فاضت بها قريحتُه عند وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وممّا قاله فيها (٦):

لعَمْري لقد أيقنتُ أنّـك ميّتٌ
ولكنّما أبـدى الـذي قلتُه الجَـزَعْ
فلمّا كشفنا الـبُرْدَ عن حُـرّ وَجْهه
وإذ الأمرُ بالجَزْع الموَهّبِ قدْ وَقَعْ
ووَلّـيـتُ محْـزونًا بـعَـيْن سخينة
أُكَفْكِفُ دَمْعي والفؤادُ قدِ انْصَدَعْ
وقلتُ لِعَيْني: كل دَمْـعٍ ذخَرتـه
فَجُـودي بـه إنّ الشّجيَ له دُمَـعْ

(٦) الرّوضُ الأُنُف للسهيلي : ٤/٢٧٣ ، كتابي ((عمر بن الخطاب)) ص١٥١

٥. نقد الشعر وتقويمه:

يقول الدكتور نايف معروف: (لعلّ من الصواب القول: إنّ عمر رضي الله عنه كان من أوائل نقّاد الشعر العربي؛ إذ كان على جانب كبير من الفهم لقواعده ومضامينه، كما كان قادرًا على كشف غَثّه من سمينه). (١) (الأدب الإسلامي في عصر النبوة وخلافة الراشدين: ص١٨٢)، ويبدو أنّ شعر زهير بن أبي سُلمى كان أحبّ الشعر إلى نفس عمر، وكان يسمّيه (شاعر الشعراء)، وحينما استوضحه ابنُ عبّاس عن سبب وضعه في هذه المنزلة العالية، قال: (كان لا يُعاظِلُ في الكلام، وكان يتجنّبُ وَحْشِيّ الشِّعر، ولم يمدحْ أحدًا إلا بما فيه). (٢) (الأغاني: ١٠/٢٩٨، الشعر والشعراء لابن قتيبة:١/٧٦، عاظل بالكلام: عقّده وصعّبه)، وهكذا فإنّ عمر وضع قواعد نقدية لتقديم شاعر على آخر، وهي: البُعد عن التّعقيد اللفظي، وتجنُّب الغريب من الكلام، ثمّ الصدق في مضمون القول. (٣) (الأدب الإسلامي لنايف معروف: ص١٨٣). وكذّب عمرُ الحطيئة في شعر له، وذلك حين أنشد قوله:

متى تـأتِـه تَعشو إلى ضـوءِ نـارِه
تَجِـدْ خيرَ نـارٍ عندها خيرُ مُوقدِ

فقال عمر: كذب، بل تلك نار موسى نبي الله صلّى الله عليه وسلّم. (٤) (الأغاني: ٢/١٦٨)، تعشو: تقصد في الظلام.

٦. جزالة الألفاظ وتناسق الجمل وترابطها المُحكم مع عذوبة الكلمات وسلاسة السياق:

ويتّضح ذلك بما تقدّم من أمثلة وشواهد، وأمثالها كثير في خطبه ورسائله وكتبه إلى الوُلاّة والقادة والرّعيّة.

يقول الأديب البارع علي الطنطاوي: (وإذا كان نقاد الأدب لا يزالون يُعجَبون بحِكَم المتنبي، ويرون فيها خلاصةً لتجارب الناس في عصره، فإنّ حكم المتنبي لا يمكن أن تُذْكَرَ مع كلمات عمر، ولا تجري معها في ميدان. إنّ المتنبي لخّص في حِكمه تجارب الناس، وعمرُ وضع في كلماته الحِكمَ للناس، إنّ من كلماته ما كان دستورًا للحكم أو للقضاء أو للأخلاق، دستورًا كاملا، ولكنّه لم يجئ في موادّ مُطوّلة ولم يُكتَبْ بلغة القوانين، بل جاء حكمة سائرة، ومثلًا مأثورًا، في لغة هي في البيان غايةُ الغايات) (٥) (أخبار عمر: ص٢١١)

ويشير العقّادُ إلى هذا الجانب عند عمر، فيقول: (كان عمرُ بليغًا حسَنَ النقد للبلاغة، هواه منها الصّدقُ والطّبعُ وجمالُ التفصيل... ونَدُرَ بين أئمّة الدّين مَنْ غاص في أدب قومه غَوْصَه، ووعى من أشعارهم وطُرَفهم مثل ما وعاه!) (٦) (عبقرية عمر: ص ٨٤–٨٥) تأمّل هذه الرسالة التي سطّرها الفاروق إلى أمير أمراء الشّام أبي عبيدة بن الجراح: (لا تُقَدِّم المسلمين إلى هلكة رجاءَ غنيمة،

ولا تُنْزِلْهم منـزلًا قبل أن تستريده لهم وتعْلَمَ كيف مأتاه، ولا تبعثْ سَرِيّةً إلا في كَثْفٍ من الناس، وإياك وإلقاء المسلمين في الهَلَكة، وقد أبلاك الله بي وأبلاني بك، فغمّض بصرك عن الدنيا، وألْهِ قلبك عنها، وإيّاك أن تُهلكك كما أهلكَتْ مَنْ كان قبلك، فقد رأيتَ مصارعهم) (٧) (تاريخ الطبري: ٣/٤٣٤)

٧. البُعْدُ عن غرابة الألفاظ ووعورة المسالك اللغوية:

وهذا بيِّنٌ جليٌّ في موروث عمر اللغوي والأدبي، ويُشكِّل السِّمة الغالبة عليه، بيد أنّ المُتَقَصّي قد يجد نزْرًا من كلامه فيه كلمات خرجت عن المألوف وسلكت سبيل غريب اللغة، وليس ذلك مقصودًا من عمر ولا متكلّفًا، بل جاء عَفْوَ الخاطر طريًّا على اللسان غيرَ مُسْتَهْجَن عند السامعين، فعُمَرُ ابنُ بيئته، وهم أهلُ اللسان وموئلُ الفصاحة والبيان، ومن أمثلة ذلك ما حدث له مع بعض الصّحابة الذين لاموه على عيشه الخشن وطعامه الجَشْب، فقال موضحًا: (أيها القوم! إنّي والله لقد أرى تعذيرَكم وكراهيَتَكم لطعامي، وإنّي والله لو شئتُ لكنتُ أطيبَكم طعامًا وأرفعكم عيشًا، أما والله ما أجهلُ عن كراكرَ وأسنمة وعن صِلاء وصناب وصلائق، ولكنّني سمعت الله جل ثناؤه عيّر قوما بأمر فعلوه، فقال: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾ (الأحقاف: ٢٠) (طبقات ابن سعد: ٣/٢٧٩، حلية الأولياء: ١/٤٩، أرفعكم: أرفهكم، الكراكر: جمع الكِركرة، وهي زور البعير الذي إذا برك أصاب الأرض، صلاء: شواء، الصِّناب: الخردل، الصّلائق: الخبز الرقاق).

وثمّة خصائصُ أخرى ومزايا مخبوءةٌ في طيّات النصوص، يُمكِن للباحث اللّوْذعي والقارئ الألمعيّ أن يلحظ أماراتها ويكتنهَ دلائلها، نتركها لاستنهاض الهمم للبحث والدّرس.

هذه إلماعةٌ موجزةٌ عن (حياة) اللغة و(مزايا) الأدب في عصر الخلفاء الراشدين، ممثلةً بما أُثِر عن واحد من أعظم رجالات الأئمة بل التاريخ في مختلف الميادين أو هي تبرهن على السموّ الأدبي واللغوي، وروعة البلاغة، وجلال الفصاحة، ورقة المشاعر، ونبل الأهداف، وسموّ الغايات.

كما أنّها تؤكّدُ على أهميّة لا بل ضرورة دراسة تلك الظاهرة في تلكم الحقبة التاريخية، والاعتناء بها بالبحث المستقصي



عباس محمود العقاد

والتأصيل العلمي، مشفوعة بالدعوة الصادقة والضرورة الأكيدة لتضمين هذه النماذج الشامخة من موروثنا الأدبي الأصيل لا (الهجين!) في مناهجنا التربوية، والاهتمام بذلك والسعي الحثيث لتحقيقه؛ كي يتم لنا تثبيت غايتين نبيلتين وتحقيق هدفين جليلين:

أولهما: النهوض بالمستوى اللغوي والأدبي النقيّ النّبيل السّامي العفيف لأبنائنا الذين تجتالهم دعواتُ التّغريب والفرنجة، وترويج العامية، وانتشار العجمة!

وثانيهما: الجمعُ بين الأصالة والمعاصرة، وإعادةُ بناء الجسور وربط الحاضر بالماضي، وإحياءُ الانتماء –بدل الارتماء– لأفصح البشر الذين حفظوا القرآن وحموا لغته، وبالتالي الحفاظ على وشائج القربى بين الأجداد والأحفاد، والحُؤول دون نشوء جيل مُنبَتّ الأصول مقلوع الجذور، يتيه في فيافي ما يسمّى –زورًا– الحداثة والعصرية.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



البعد الشرعي لقضية اللغة العربية

أ. محمد فال بن عبد اللطيف
كاتب وباحث أكاديمي

إن الحديث عن البعد الشرعي لقضية اللغة العربية حديث متشعب ذو شجون، ولا يخلو متعاطيه من الإخبار ببعض الضروريات المعلومة عند الخاص والعام، ولكنه مع ذلك لا يخلو من توفير فرصة لتوضيح بعض المفاهيم والتذكير ببعض المعطيات المغفول عنها.

ونحن لا ندَّعي أنَّنا في هذه السطور سنأتي بالكلمة الفيصل في كل هذه الأمور، وإنما نطمح فقط إلى إبراز نقاط في هذا الصدد نرى أنّها قد تُثير اهتمام المتخصّصين من أهل الذكر فيقدمون لنا بشأنها قيما مضافة جديدة.

وبعد، فسنتعرض لهذا الموضوع من خلال الخطة التالية المتمحورة على ثلاثة محاور وبعدها خاتمة موجزة حول النتائج المستخلصة.

المحـور الأول سـمّيناه: (اعتبـارات عامـة) خصّصنــاه للتأطيـر الإيديولوجـي والتاريخـي للموضـوع، ومقصودنـا مـن ذلك إبـراز أهميتـه فـي الوقـت الراهـن الذي رمى فيـه اللغة أعداؤها عن قوس واحدة.

أمـا المحـور الثانـي فخصّصنـاه لإبـراز المكانـة المركزيـة التـي تحتلها علوم العربية في الترسـانة التشريعية الإسلامية ومختلف تجلياتهـا ميدانيـا ونظريا.

ومحـور ثالـث خصصنـاه لموقـف الفقهـاء الموقّعيـن عـن رب العالميـن، مـن العلـوم العربيـة وأطلقنـا عليـه (الجانـب الفقهـي). على أن نختم البحث بأهم النتائج التي خلصنا إليها منه.

المحور الأول: اعتبارات عامة

اعلـم (أيهـا القـارئ الكريـم) أنّ علمـاء الأمـة الإسـلامية قد ظلوا ينادون على رؤوس الأشهاد بالمبدأ الإسلامي المعروف الذي أعلن عنـه الرسـول عليـه الصـلاة والسـلام في حجـة الوداع أنـه: لا فضل لعربيّ على عجميّ ولا لعجميّ على عربيّ إلا بالتقوى، ولكنهم مع ذلك لـم يتحرّجـوا قـط أن يقولـوا (على رؤوس الأشـهاد– أنّ مَنْ لم يكن لـه إلمامٌ مـا باللغة العربية) لغة القرآن والسنة– فإنه لم يفهم الإسـلام حقّ فهمه ولن يُطبِّق تعاليمه حق تطبيقها.

إنّ إعلانهم عن هذه الحقيقة كمسلمة واقعية لا جدال فيها تشبه إلى حد بعيد إعلان الخليفة أبي بكر الصديق في شـأن الخلافة: إنّ العـرب لـن تديـن إلا لهـذا الحـيّ مـن قريش، فكلا الإعلانيـن تقييم موضوعي لواقـع يفرض نفسـه وليست لـه أيّ خلفية شـوفينية، ولا غرابة في ذلك فالإسلام جاء لمحاربة ذلك النوع من النظريات.

مـن هنـا تبـدو جليـة خطورة البعد الشرعي للغة العربية حيث إنّ العلاقة بين اللغة العربية والعلوم الشرعية هي من الأمور المسلّمة التـي لا يعانـد فيهـا إلا جاهـل أو مكابـر، خصوصـا وأنّ الترجمـة بصفـة عامـة رغـم فائدتهـا وضرورتهـا– لا تفـي بالنص المترجم لأنهـا لا تخلـو مـن أخطـاء وتقريبـات ولاسـيما النص القرآني فهو ممّـا لا يمكن ترجمته.

ولذلك أدرك السلف الصالـح منذ العصـر الأول العلاقة العضوية بيـن اللغـة العربيـة والنصوص الشـرعية التـي نزلـت بهـا ومـدى ارتباط فهمها بإجادة تلك اللغة. وقد نقل لنا التاريخ استفهاماتٍ للخليفـة عمـر بـن الخطـاب عـن معنـى ألفـاظ مـن القـرآن قبـل أن يُعرِض عن ذلك الميدان بالمرّة حَسْما لذريعة الاختلاف في القرآن لا إنكارا لضـرورة البحث عـن معانـي ألفاظ القـرآن من خلال متن اللغـة العربية وتعدّد مكوناته.

كمـا حدثنـا التاريـخ كذلـك عـن جزئيّـات ذكرهـا ترجمـان القرآن عبد الله بـن عباس وأنه لم يهتد إلى معناهـا اللغوي ثم إلى فهمها إلا بـأشـعـار العرب ومحـاورات الأعـراب مثـل تفسير مـادة (فطر) فإنّـه فهمهـا عندمـا سـمع أعرابيـا يقـول: (تلـك البئـر لي فـأنـا الذي فَطَرتُها)، وكذلك كلمة (كنود) فَهِمها عندما سمع أعرابية تقول: إنّ جملهـا كنودٌ بمعنى أنّه صعبُ المِراس.

وكلنـا يعـرف قصـة مسـاءلة الزعيـم الخـارجي نافـع بـن الأزرق لابـن عبـاس فـي تفسـير ألفـاظ مـن القـرآن الكريـم واستشـهاد ابـن عبـاس عليهـا بأبيـات من أشعار العرب.

وهـذه القصـة أوردهـا السـيوطي بكاملهـا فـي كتابـه الإتقـان فـي علـوم القـرآن ومـع أنّهـا قـد لا تصمُـد لمحَـك النّقـد التاريخـي فإنّهـا علـى كل حـال تـدل علـى مـدى اسـتيعاب الطبقـة العالمـة إذ ذاك للإشكالية المتعلقـة بمدى ارتباط النصوص الشرعية باسـتيعاب اللغـة العربية.

ولعـل هـذا كان مـن الأسـباب التـي جعلـت الشـغل الشـاغل لـولاة الأمور في القرن الأوّل هو الحفاظ على اللغة العربية معنى ومبنى حتـى لا تذهـب فيذهـب بذهـابهـا القرآن والسـنة: قيضهم الله تعالى لذلـك كسـبب عـادي، وإلا فـإن الله تعالى قـد تكفّل بحفظ وحيه.

وفـي هـذا الإطـار يندرج مـا قـام بـه الصحابـة وكبـار التـابعين مـن وضـع الأسـس الأولى لعلم النّحو مـع الإمام علي بن أبي طالب رضـي الله عنـه وتلميذه أبـي الأسـود الدؤلي وما قام به مستشـارو الحجّـاج بن يوسـف وحسّـنه الخليل بن أحمد بعد ذلك– من تنقيط المصاحـف وإعجامهـا ثـم أصبح علم ضبط القرآن فنّا مستقلا من علوم القرآن.

ويلتقـي مـع هـذا الهاجس الديني عند أهل ذلك العصر هـاجسٌ

قوميٌّ بَحْت يقوم على العصبية العربية عبّر عنه الخليفة عبد الملك بن مروان عندما أخبره أحدُ مستشاريه في الشؤون الدينية أنّ عامة من تدور عليهم الفتوى في كبار الأمصار هم من الموالي العجم ما عدا الكوفة وحدها ففيها مُفت عربيٌّ هو إبراهيم النخعي من قبيلة النخع اليمنية. فقد أحسّ بالإحباط عندما اطّلع على هذه الحقيقة ورأى فيها مؤشّرا لمعطيات سياسية لا يرى مداها.

كما أعرب أيضا عن هذا الهاجس عندما ساءه كَوْنُ وليّ عهده الوليد لحّانة؛ فقال تأسفا على ذلك مقالته المشهورة: (لقد أزرى بالوليد حبّنا إياه إذ مَنَعَنا أن نُرسِلَه إلى البادية ليتمرّن على اللغة الفصحى).

وفعلا لم يكن الوليد بالمكانة اللائقة بمثله في هذا الميدان؛ فلم يؤثر عنه قط أنه استحسن شيئا من الشعر، ولا سأل عنه ولا علّق على شيء ممّا مُدِح به، ولا أنّه حاور شاعرا في أيّ موضوع عكس والده وإخوته سليمان وهشام ويزيد، فيبدو أنه كان يُجزل للشعراء الجوائز ويستمع إلى قصائدهم كامتحان عسير لا بدّ منه.

المحور الثاني: مكانة اللغة العربية في الترسانة الشرعية الإسلامية

بعد انقضاء العصر الأوّل نضجت في فكر العلماء فكرةُ التكامل بين علم الشريعة وعلوم اللغة العربية، فلم يزل المحّدثون وطلبةُ العلم يحرصون على إتقان علوم العربية كشرط لا غِنى عنه للاضطلاع بمهمة المجتهد الذي يستنبط الأحكام التفصيلية من أدلتها الإجمالية الواردة في الكتاب والسنة.

ولا ننسى أنّ إقبال إمام النحو سيبويه عمرو بن قنبر على علم النحو ودراسته له على أستاذه العبقري الخليل بن أحمد، كان في البداية مؤقتا بعد أن صدر منه لَحْنٌ في حديث كان يكتبه عن أحد رواة الحديث رفع فيه كلمة (أبو الدرداء) ظانا أنّها اسم ليس وهي في الحقيقة منصوبة بالاستثناء، وكان سيبويه يجهل ذلك. ولعل سيبويه لو مدّ به عمر– لرجع إلى طلب الحديث بعد أن برز في علم النحو فأصبح من كبار الفقهاء المجتهدين.

ولا ننسى كذلك أنّ الإمام الشافعيّ على جلالة قدره لم يتفرغ للفقه إلا بعد أن مكث برهة في بادية هذيل في العالية بين الحجاز ونجد حتى حفظ أشعار الهذليين حتى إنّ الأصمعي على جلالته إنما روى تلك الأشعار عن الشافعي كما صرح بذلك هو نفسه.

إنّ الإمام الشافعي كان إماما في اللغة قبل أن يكون إماما في الفقه؛ ولذلك يرى كثير من العلماء أنه لا وجه لإنكار من أنكروا عليه أن تكون الباء للتبعيض في قوله تعالى: ﴿وامسحوا برؤوسكم﴾ مُحتجين على الشافعي بأقوال أئمة العربية من أمثال الأصمعي وأبي عبيدة وهو من نظرائهم.

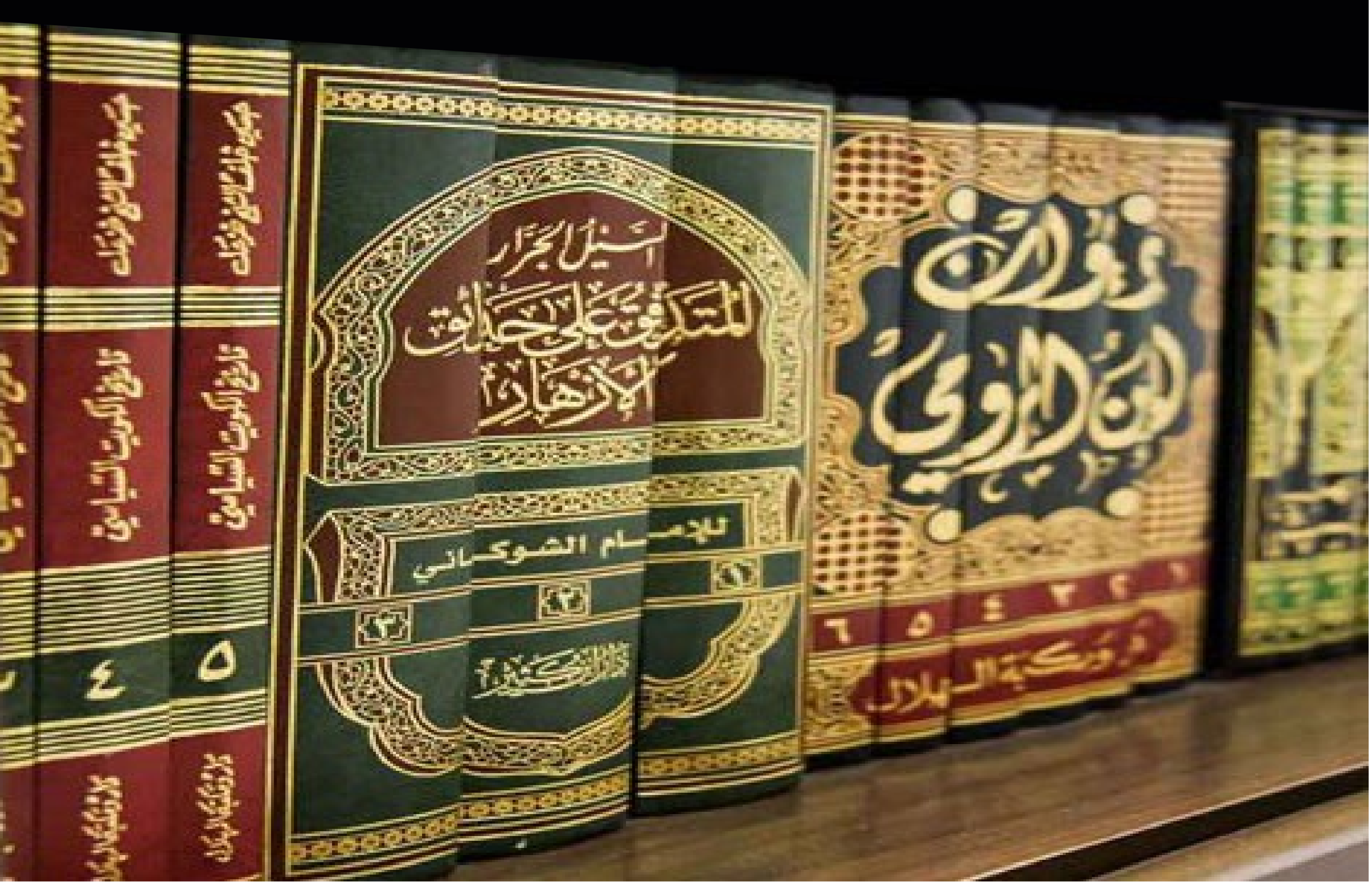
كل هذا يدلنا على مكانة اللغة العربية في الترسانة الشرعية حيث رأينا أنّ المجتهدين في الشرع لا بد لهم من إلمام واسع بالعلوم العربية، ويجد هذا الشرطُ صداه في المقرّرات التي يتعين على منتج الفقه أن يستوعبها.

فهنالك باب من علم الأصول يسمى (باب مباحث الألفاظ) يُـزَوِّدُ فيه الفقيه بجملة من المعارف تشمل معاني الحروف والأدوات والدلالات المعجمية لبعض الألفاظ، أضف إلى ذلك كثرة الإحالات إلى الحقائق اللغوية باعتبارها هي الأصل في التعبير وإليها يرجع في عمليات التعادل والتراجح بين مختلف الحقائق العرفية والشرعية.

ويتجلّى ذلك أساسا في أبواب من الفقه معروفة نذكر منها باب الأيمان والنذور، وألفاظ الطلاق، والأقارير وألفاظ المحبّسين وباب الرِّدة أعاذنا الله منها.

ومما يدلّنا على سمو اللغة العربية وعلومها أنّ العلماء اشترطوا في نقلها شروط العدالة والاستقامة التي اشترطوها في نقل نصوص السنّة، ذكر ذلك السيوطي في كتابه المزهر الذي ألّفه في علوم اللغة ضاهى به كتابه الإتقان في علوم القرآن، ولعلك تضحك عندما تقرأ كتاب الأغاني فترى سندا طويلا تتخلله صيغ أداء وتحمّل تتألف من صف من العلماء المحترمين ثم يكون المتن المنقول قصة سخيفة أو أبياتا ماجنة لبعض الأعراب.

وخدمة لهذا الهدف قام العلماء في وقت مبكر بتفسير غريب



القرآن والآثار، وتراكم ذلك على مَرّ العصور فألفوا فيه المصنفات الحسان يستدرك فيها الأخير على الأول ويُراجع ويصحح، وكان من أجود ما ألف في هذا الشأن كتاب النهاية لابن الأثير وهو عبارة عن معجم يضم جميع ما ورد في القرآن والآثار من الألفاظ، وتفسيرها والإشارة إلى النص الذي وردت فيه.

ولقد كان للعلماء الشناقطة من ذلك نصيب موفور، نظما ونثرا فألّفوا في غريب ألفاظ القرآن وضبطوا بأنظام شيقة ألفاظا وردت في السنة ومن أشهر من أجاد في ذلك العلامة أحمد بن أجمد اليدالي رحمه الله.

ولم يجد ابن أحمد يوره حرجا في أن يجعل علم النحو عديلا لعلم الفقه حيث يقول في قصيد له مشهور:

هو الجهلُ جهلُ الفقه ليس بجائز

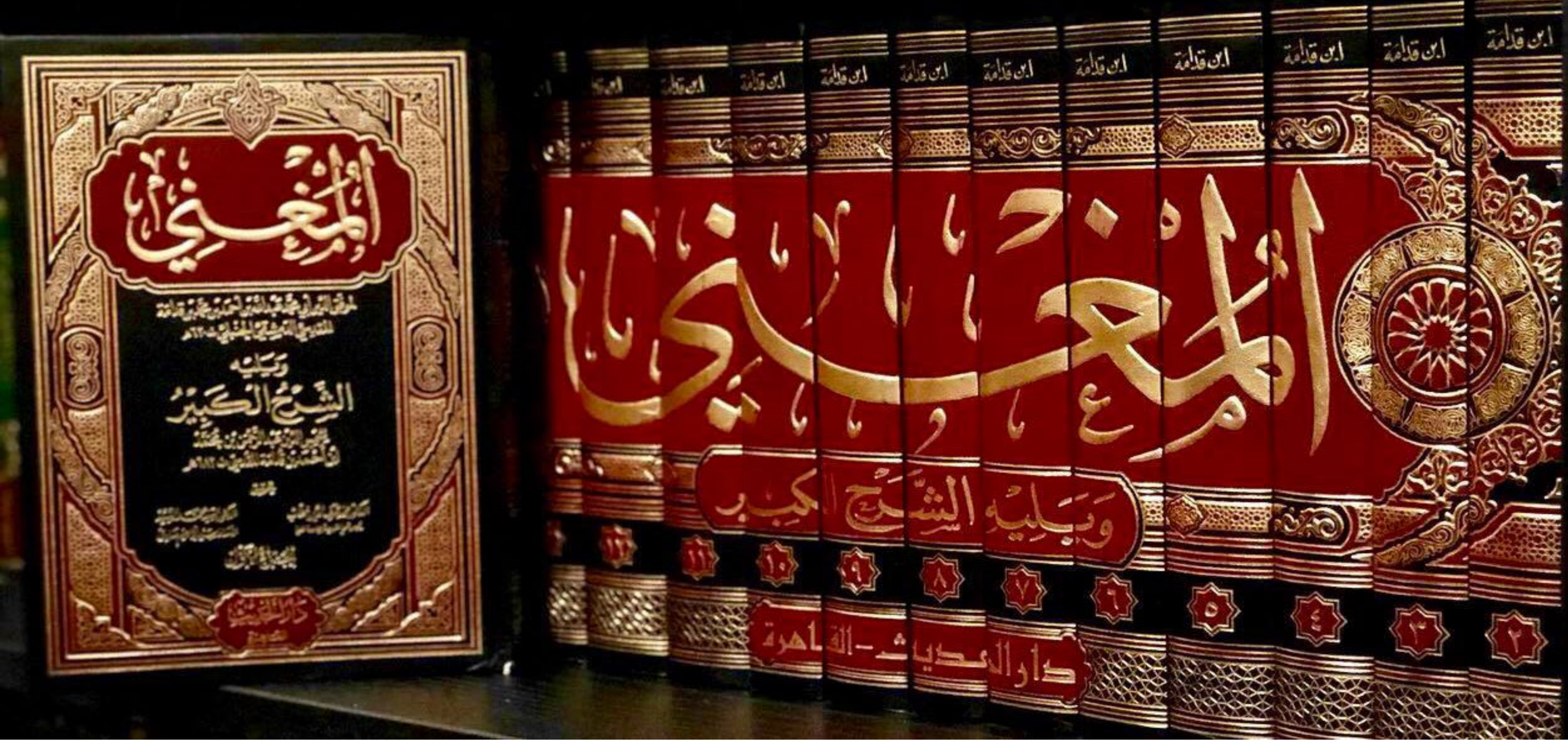
وجاهلُ علمِ النحو ليس بفائز

ولعل في امتناع العالم الفقيه امحمد بن الطلبه عن المقيل في مكان لا يوجد فيه كتاب القاموس للفيروزبادي، أكبر دلالة على مكانة اللغة العربية عند العلماء والفقهاء وكان بإمكانه رحمه الله أن يقول نفس المقالة بالنسبة لكتاب الموطّإ أو رسالة ابن أبي زيد القيرواني.

المحور الثالث: الجانب الفقهي

لم يتردد الفقهاء لحظة في أنّ حفظ اللغة العربية وعلومها مطلوبٌ شرعا، وأنّ استجلاء النصوص التي بحوزتنا واستنطاق المواقف لدى علمائنا يدلان بجلاء على مطلوبية إتقان اللغة العربية من الناحية الشرعية، والتعبير الفني عن ذلك حسب المصطلح الفقهي يتجلى في النقاط التالية:

١. أن القاعدة الفقهية المجمع عليها هي أنّه ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وحيث أن القواعد المرجعية التي حددها البارئ سبحانه لبني البشر عندما استخلفهم في الأرض هي أن يعبدوه، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨)﴾ [الذاريات:٥٦-٥٨]، وحيث إن العبادة



لا تصلح إلا بما شرع الله تعالى لا دخل فيها للعقل ولا للعادة، وحيث إنّ ما شرع الله لا يصل إلينا إلا بواسطة قناتين اثنتين هما القرآن العظيم والسنة والنبوية، وحيث إن هاتين القناتين جاءتانا باللغة العربية لأن القرآن عربي والنبي – صلى الله عليه وسلم– عربي، فإنه لا يمكننا من الناحية العملية أن نعبد الله تعالى إلا بمعرفة تلك اللغة التي نعرف بها مضمون القواعد المرجعية لخلافتنا في الأرض.

ومن هذا المنظور لا يكون من المستبعد أن يكون تعلم اللغة العربية فرْضَ عين بصفة ما لأنّ التفريط في اللغة العربية معناه التفريط في العقائد وفي الصلاة.

٢. لقد نصّ الإمام السيوطي ناقلا عن العلماء أنّ حفظ أشعار العرب ولغاتها واجبٌ كِفائي تأثم الأمة كلُّها بإهماله، ونصّ على أنّ ما ورد من النهي عن الإكثار من تعاطي الشعر لا تدخل فيه الأشعار الجاهلية، ووجه ذلك بأنّ حفظ هذه الأشعار يُعين على حفظ القرآن والسنة النبوية وفهمهما.

وهنا لا بد من التنبيه على أن اللغة هنا لا يقصد بها مجرّد الدلالات المعجمية للألفاظ وإلا كانت يكفي منها ما حشر في المعاجم من الألفاظ. كلا، فإنّ المقصود باللغة هنا ما صاحب الدلالة المعجمية من الإيحاءات والظلال والملابسات، إذا اضطلع بها القارئ تكوّنت عنده ملكة خاصة يفهم بها القرآن والسنة كما يفهمهما العرب أيام نزولهما. وهذه الملَكة لا تتحقق إلا بممارسة أشعار العرب وأيامها وأراجيزها وخطبها وأنسابها ومختلقاتها ومنافراتها ومساجلاتها.

وهذا ما جعل مشايخنا نحن الشناقطة على ورعهم وتزمّتهم وشدة وقارهم– لا يتورّعون من شرح أشعار الغزل الإباحي الجاهلي كمغامرة امرئ القيس يوم دارة جلجل، ووصف النابغة الذبياني للمتجرّدة امرأة النعمان بن المنذر وربما درسوه للطلاب من طلوع الفجر إلى حِل النافلة.

٣. لقد اشتهر عندنا في هذه البلاد نَظْمٌ للعلامة الفقيه لمرابط محمذن فال بن متال يقول فيه:

تَعَلُّمَ اللغةِ شرعا فَضِّلِ
على التّخلي لعبادة العليّ

والرجل مبرّز في العلم والورع ولا يُلقي الكلام على عواهنه، وقد سمعت ما صرّح به في نظمه هذا وهو جارٍ على ما نصّ عليه المحققون من أنّ العمل المتعدّي نفعُه أفضلُ من العمل القاصر لاسيما إذا انضم إلى ذلك كَوْنُ مَنْ لا يتقن اللغة العربية سيفوته بلا شك جزء عظيم من وجوه إعجاز القرآن العظيم لو أنه أدركها لازداد إيمانا على إيمانه. ولا بأس أن نُذكر هنا أن العارف بالله تعالى ابن عباد الرّندي شارح حكم ابن عطاء الله له شرحٌ كذلك على مقامات الحريري لأنّ خدمة لغة الإسلام لا تنافي التوكل والورع.

٤. وممّا يدلّ على وجوب تعلم اللغة العربية أنّ علماء من أهل

السنة وعلى رأسهم الإمام الصالح المربّي محمد بن يوسف السنوسي صاحب العقائد، نصّوا على أنّ من أصول الكفر الجهل باللغة العربية، ووجه ذلك بكون من لا يفهم العربية التي أنزل بها القرآن لن يفهم الدين على حقيقته، واستدل عليه بكون البدع والأهواء لم تنتشر في الأمة الإسلامية إلا بعد جيل الصحابة الأولين، ودخول حمراء العجم في الإسلام واستقلالهم بالنظر في النصوص الشرعية دون حاضنة من علوم الآلة وعلى رأسها علم اللسان العربي.

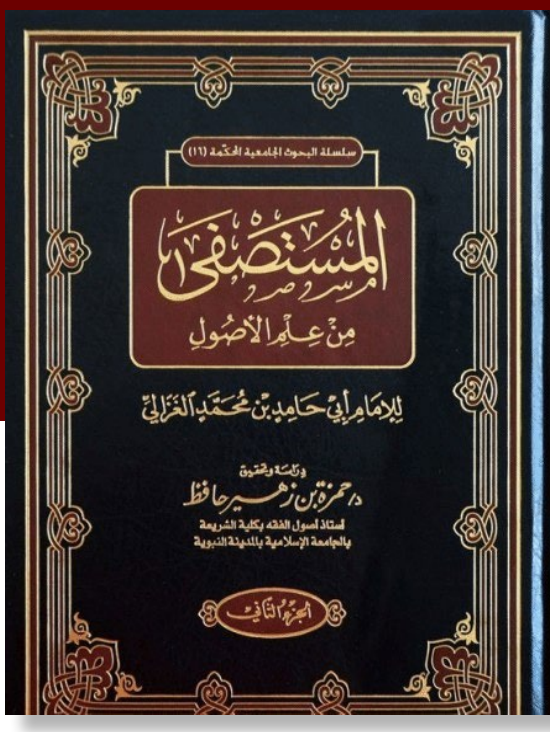
ومن هذا المنزلق انزلق عامة من يقولون بالجهة والتجسيم في حق البارئ سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا.

٥. وقد أدت بالفقهاء عنايتهم بسلامة اللسان العربي إلى أن تعرضوا لحكمه الشرعي فأجمعوا مع توسعتهم في ميدان تلاوة كتاب الله – على تحريم تعمّد اللحن في القرآن بل ربما أدّى إلى الكفر كما جزم بذلك القاضي عياض.

وأما تعمّد اللحن في الحديث النبوي فجزموا كذلك بتحريمه في كل ما روي من الأحاديث بلفظه ولاسيما في أحاديث جوامع الكلم والأدعية المتعبد بها؛ فيخشى على من تعمّد اللحن فيها أن يدخل في وعيد من قال على النبي صلى الله عليه وسلم ما لم يقل.

أما ما روي من الحديث بالمعنى فاللحن فيه أسهلُ علما بأن الخلاف بين العلماء في جواز رواية الحديث بالمعنى معروف والصحيح فيها التفصيل بين من يدري دلالات الألفاظ ومن لا يدريها، ويتفرّع على هذا الخلاف خلافٌ في صحة الاحتجاج بالأحاديث في متن اللغة، وممّن قال بصحّته وحمل اللواء في ذلك ابن مالك رحمه الله وخالفه في ذلك الكثير من النحاة.

أما اللحن في غير القرآن والحديث فنصّوا على أنه تعتريه الأحكام الشرعية حسب ما يترتّبُ عليه من المفاسد في حق الأفراد وفي الحق العام، فكأنهم يقولون إنّ الأصل فيه الإباحة وإن لم ينصّوا على ذلك مع اتّفاقهم على أنّ من اللحن ما يقدح في الشهادة لأنه يُزري بالمروءة على حد تعبير الشاعر العالم مولود



بن أحمد الجواد اليعقوبي رحمه الله. وقديما قال الناظم:

وصاحبُ اللحن من القضاة
ناقتُهُ تحلبُ في الأضاة

الخاتمة:

خلصنا في هذا البحث المتواضع إلى النتائج التالية:

١. أنّ الشعور بإشكالية ارتباط فهم الشريعة بفهم لغة الرسالة قديمٌ من عهد الصحابة عليهم رضوان الله.

٢. أنّ مكانة علوم اللسان في ترسانة العلوم الشرعية مكانةٌ مركزية يتجلى ذلك في سلوك حمَلة الشريعة على مر الزمان وتصريحاتهم المأثورة.

٣. أنّ تعلم اللسان العربي مطلوبٌ على الجملة، وقد يكون فرضا عينيا إذا توقف عليه فرض عين من العبادات والعقائد، وهو فرض كفائي قولا واحدا لارتباط حفظ الشريعة به. وينطبق على من أهمل تعلم العربية القول المشهور: من فاتته رؤيتنا يكفيه عقابا أن فاتته رؤيتنا.

وقفة مع كتاب

البيـــان والتبييـــن

للجاحـظ



ليس ثـمَّ ريب فـي أنّ الجاحـظ الـذي قضـى حياتـه مـا بيـن دكاكيـن الورّاقيـن ومجالـس العارفيـن، قـد وصـل فـي أخرياتِ حياتـه إلـى قمّة علمه، وذروة حكمته؛ لذا فإن كتاب البيان والتبيين الـذي كان آخـر مـا خطّـه الجاحـظ بعدمـا اشـتدّ بـه المـرض، وخـارت قـواه، وسُـلبَت صحتـه، يجمـع عصـارة مـا حصـده فـي مسـيرته العلمية، وهـذا مـا صادق عليه أهـل عصـره ومـن خلَفَـه إلى عصرنـا هـذا، وقـد اعتنـى بتحقيـق هـذا الكتاب القيّم شيخ المحققيـن: عبـد السـلام هـارون.

أمـا عـن دوافـع تصنيـف هـذا الكتـاب، فـإنّ الجاحـظ قـد وُجـد فـي عصـر ازدهـرت فيـه الشـعوبية وبلغـت فيـه مبلغـاً عظيمـاً؛ لـذا يرى أحـد الباحثين في هـذا الأمـر محـركاً ودافعـاً للجاحـظ علـى تأليـف كتـاب البيـان والتبييـن، ففـي هـذا الكتـاب دفـاع واضـح عـن البيـان العربـي فـي مختلـف مظاهـره، حتـى أن الجاحـظ تحـدّث عـن الشـعوبية وادعاءاتها وردّ هـذه الاتهامـات وفنّدهـا ، ولكـن هـذا لا يعـدو كونـه محـركا أو عامـلا ضمـن عـدة عوامـل أخـرى مثـل البيئـة والفتـرة التاريخيـة التـي عـاش فيهـا الجاحـظ، فقـد كثـر ت المناظـرات والخطـب فـي ذاك العهـد الـذي تعـدّدت فيـه الطوائـف الدينيـة والتيـارات الفكريـة، وهنـا ظهـرت أهميـة البلاغـة والبيـان ممـا حمـل الجاحـظ علـى تصنيـف هـذا الكتـاب.



أ. شيمـاء عبـد الغـفـور
مدرسة في مركز اللسان العربي

عنوان الكتاب بين (البيان والتبيين) و(البيان والتبيّن)

البيـان: الفصاحـة واللَّسَـن، وكلام بيّـن: كلام فصيـح، والبيـان الإفصـاح مـع ذكاء

والتبيين: الإيضاح، والتبيين الوضوح أيضاً.

يعرّف الجاحظ البيـان فـي كتابـه فيقـول: (والبيـان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحُجُب دون الضمير حتى يُفضـي السـامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائناً من كان ذلك البيان ومن أي جنس كان ذلك الدليل، لأنّ مدار الأمر والغاية التـي يجري إليهـا القائل والسـامع إنما هـو الفهم والإفهـام، فبأيّ شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضـع)، ولعل الجاحظ فـي تعريفـه هـذا للبيـان أوضـح دلالـة العنوان، فيمكن أن نقول إنّه يرمي إلى الفهم والإفهام، ومن خلال هذا نرى أن العنوان يمثل بشكل دقيق فحوى الكتاب والقصد منه.

بيد أن عبدالسلام هـارون أشـار إلـى حـدوث خطـأ فـي عنـوان الكتـاب فـاسمه الحقيقي هـو (البيان والتبيّن)؛ إذ يرى أن المسمى المتـداول (البيـان والتبييـن) لا يتماشـى مـع المنطـق؛ فالبيـان هـو التبيين يقـول: (ونحـن نبـرأ فـي الجاحظ أن يقع فـي مثل هذا العيب في تسمية أشهر كتبه وأسيرها) ، فـاستدل بعدم صحة الاسم المتـداول استدلالاً منطقيـاً، وهنـا يتّضـح أنّ البيـان هـو ليس ذاته التبييـن، كمـا أشير سـابقاً أي أن الجـاحظ أراد مـن عنوانـه (الفهـم والإفهـام)، لـذا نـراه في الكتاب يذكر أخبار أصحاب البيان وشيئاً من خطبهم وأشعارهم ويذكر أيضاً ما يكره في الخطباء وما يزيد من بيانهم وهو ما قد يقصده بالتبيين، ومن جهة أخرى فإنّ كتب القدمـاء التـي ذكـرت الكتـاب بـاسمه المتـداول بيننا اليوم (البيان والتبييـن)، ولكـن عبـد السـلام هـارون استـدل على رأيـه بدليل آخر قوي وهو صور المخطوطات التي وصلتنا التي يتضح من خلالها أن اسم الكتـاب هـو (البيـان والتبيّـن)، كمـا أن للجـاحظ قـولاً نراه يدعـم بقـوة مـا وصل إليه عبد السـلام هـارون وهـو: (لأن مدار الأمر علـى البيـان و التبيّـن ، والإفهـام والتفهم) ، وقد أعرب عبد السـلام هـارون عـن عزمـه بإعـادة هـذه التسمية إلـى نصابهـا فـي الطبعة الخـامسة مـن الكتـاب ، ولكـن المنـون حـالت بينه وبيـن تحقيق مـا عـزم علـى فعلـه.

موضوع الكتاب وفحواه:

يعدّ كتـاب البيـان والتبييـن مـن كتـب الثقافـة الأدبيـة العامـة لكثـرة القضـايـا التـي تنـاولهـا وفصـل فيهـا، ولكـن يمكن القـول إنّ هـذا الكتـاب يدور حول موضوع أساسي ويعمد إلـى طرح القضايا الأخـرى لخدمـة هـذا الموضـوع ألا وهـو: البيـان ومـا يتصل بـه مـن تفصيـلات وقضايـا، لا يخفـى علـى من قـرأ كتـاب البيـان والتبيين صعوبـة تحديـد المبـاحـث اللغويـة والأدبيـة فـي الكتـاب، وذاك لتفـرّقهـا ولمـا دخـل بينهـا مـن مباحـث أخـرى كتراجـمٍ لخطبـاء وشـعراء، وذكر للطرائف والنوادر، وليس ذلك عن الجـاحظ بغريب، إذ عـرفَ بمنهجـه الاستطرادي فـي جـلّ مـا كتبـه مـن مصنفـات،

وهو بذلك مُقِرٌّ معترف، إذ ذكر في كتاب (الحيوان) بقوله: ولقد صادف هذا الكتاب مني حالات تمنع من بلوغ الإرادة فيه، أول ذلك العلة الشديدة، والثانية قلّة الأعوان، والثالثة طول الكتاب ..... فإن وجدت فيه خللا من اضطراب لفظ ومن سوء تأليف أو من تقطيع نظام ومن وقوع الشيء في غير موقعه فلا تنكر بعد أن صوّرت عندك حالي التي ابتدأت عليها كتابي. ، ولئن كان كتاب البيان والتبيين قد ألّف بعد كتاب الحيوان، وبعدما بلغ منه المرض أعلى مبلغ، فمن باب أولى أن يكون الاستطراد فيه ظاهرًا غالباً، وقد يكون هذا الاستطراد عائدًا إلى موسوعيّة علم الجاحظ وازدحام أفكاره، وبسبب اعتياده أن يرسل نفسه وعقله على سجيّتهما دون أن يرسم لنفسه نظاماً محكماً يسير عليه أفكاره ويحكمها، ورغم ما لهذا الاستطراد والفوضى من سلبيات، إلا أنها عملت على توسيع مجال الكتاب، وربط موضوع الكتاب الأساسي بما يتصل به من علوم وشواهد، ورغم هذا الاستطراد، لم يلجأ الجاحظ إلى تعقيد أسلوبه، بل كان أسلوبه سلساً يسيراً، يتسم بالوضوح والبعد عن الغموض، كما انتحى الجاحظ في كتابه هذا منحىً فلسفياً يقوم على أساسين:

أولهما: وضع أسس واضحة وعلمية للبيان والبلاغة.
وثانيهما: تدعيم أرائه وفلسفته بالمختارات الأدبية المناسبة من خطب وأشعار ورسائل.

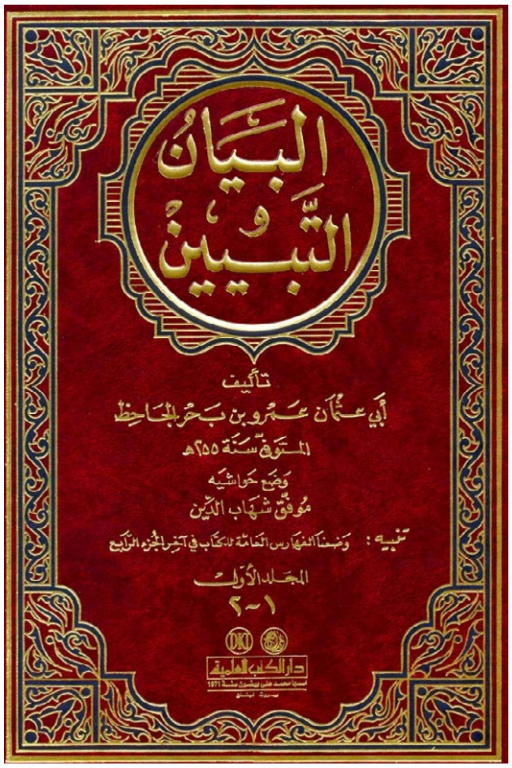
وقد بدأ الجاحظ كتابه بالتعوذ من العِيّ والحصر وذكر تعوذ الناس منه، ذاك لأنه من أكبر عيوب الكلام، وهو عكس البيان الذي تحدّث عن مفهومه وأنواعه في هذا المبحث من البلاغة والفصاحة والخطب والأشعار في الجزء الأول، إضافة إلى إشارته إلى آفات اللسان والنطق، وتراجم بعض الخطباء والشعراء. أما الجزء الثاني



الجاحظ

فكان الاهتمام ظاهرا فيه لفن الخطابة حيث أرسى فيه أسس الخطبة المتكاملة مدعّماً كلامه ببلاغة النبي (صلى الله عليه وسلم) وبخطب البلغاء، كما خصّص فيه بابًا للحن. أما الجزء الثالث في الكتاب فكان موضوع مواجهة الحركة الشعوبية وتفنيد مآخذها على خطباء العربية هو الأوضح، لكنه عاد إلى ذكر تقاليد الخطيب في خطبته وذكر أخبار الخطباء، ونظراً للفوضى العارمة التي تعم ترتيب مباحث الكتاب، عمل عبد السلام هارون على رد مباحث هذا الكتاب إلى عشرة مباحث هي:

١–البيان والبلاغة
٢– القواعد البلاغية
٣– القول في مذهب الوسط
٤– الخطابة
٥–الشعر



٦-الأسجاع

٧-نماذج من الوصايا والرسائل

٨- لطائف من كلام النساك والقصّاص وأخبارهم

٩- عرض لبعض كلام النوكى والحمقى ونوادرهم

١٠ - ضروب من الاختيارات البلاغية.

وختامًا فإن كتاب البيان والتبيين يستمد قيمته ومكانته بين كتب التراث من الثقافة الموسوعية التي استطاع ضمّها بين دفتيه، ومن احتوائه على كثير من التراجم والأشعار والخطب، بيد أن الأهمية الكبرى تكمن في أنه أول كتاب من نوعه يفصل في البيان العربي، ويجمع فيه آراء البيانيين والبلاغيين، وبما أنه آخر كتاب صنفه الجاحظ - بحسب ما وصلنا - فهو يمثل مجموع علم وثقافة وخبرة الجاحظ، ومن الناحية التاريخية فالكتاب يجمع شذرات من الثقافات القديمة الأخرى كاليونانية والفارسية والهندية، كما يصف الحقبة التاريخية التي عاصرها الجاحظ والحركات التي ظهرت في عصره كالشعوبية.



أسباب ضعف المستوى اللغوي لدى طلابنا

تشخيص للأسباب ومقترحات علاجية



يواجه طلاب المدارس في كافّة المراحل الابتدائيّة والإعدادية والثانوية في سائر البلاد العربيّة اليوم جملةً من المشكلات اللغويّة التي تتسَّببُ بشكل أساسي في التأثير سَلْبا على مستقبلهم، وتُعد مشكلة ضعف القراءة والكتابة من أخطر هذه المشكلات وأكثرها شيوعا. ويسعى أهل التربية والتعليم والآباء والأمهات سعيا حثيثا لإيجاد حلول مجدية لها قبل أن تتفاقم ويزداد شررها تطايرا يوما بعد يوم. ومن أجل هذا الغرض كان لمجمع اللغة العربية بالشارقة زيارة إلى مدارس الإبداع العلمي بالشّارقة بهدف الاطلاع عن كثب على المعوّقات والعوائق والأسباب التي تقف وراء الضَّعف اللغوي المشهود لدى أبنائنا.

أ. رشا أبو جهين

مدرسة في مركز اللسان العربي

تـرى الأسـتـاذة رفيـدة الحجّـي، رئيسـة التعليـم العربـي والإسـلامي فـي بيـم (مجموعـة مدارس الإبـداع العلمـي) أنّ الضعـف لـدى الطـلاب شـاملٌ لجميـع مهـارات اللغـة العربيـة. إذا بدأنـا التحـدث عـن مهـارة الاسـتماع نجـد أنّ هنـاك ضَعْفـا ملحوظـا لـدى الطـلاب فـي فهـم المسـموع، ويتبعـه ضعـف شـديد واضـحٌ فـي مجـال المحادثـة باللغـة العربيـة الفصحـى.

أمّـا بالنّسـبة للقـراءة والكتابـة فقـد ركّـزت الأسـتاذة رفيدة علـى أن الضّعـف متراكـمٌ يتولّـد فـي المرحلـة التأسيسـية ويتـدرّج مـع الطالـب إلـى المراحـل التعليميـة العليـا .

وفـي محاولـة تحديـد أسـباب المشـكلات اللغويـة، أضافـت الأسـتاذة أنّهـا ترجـع إلـى عدم استخدام اللغـة؛ فـالطفل يتعلّم في أعـوام التعلّـم الأولـى أبجديّـات العربيّـة، ونعلّمـه الكلمـات السليمة لغويـا، والنّطق السـليم لهـا، والأفعـال الناسـخة، وأدوات التّوكيد المتنوعـة، وغيـر ذلـك مـن مبـاحـث اللغـة الأساسـية، ولكـن حيـن يتحدّث بحكم التـأثير المجتمعي فإنه لا يستخدم مـا تعلّمه، ويؤدّي ذلك إلـى ضمـور المعـارف التـي تعلّمهـا.

وحيـن نـأتـي إلـى موضـوع الكتابـة، فإنّـه يـؤدّي اختبـارا أو يُجيب علـى نمـط مـن الأسـئلة قـد تـدرّب عليهـا؛ فـلا يكتـب الطـالب كتابـة إبداعية يسـتخدم فيهـا مـا تعلّـم، ولا يبتكـر ولا يفكّـرُ فـي توظيـف الجديـد مـن الأنسـاق التعبيريـة واللغويـة بل يصل الأمر إلى عدم معرفته استعمال علامات الترقيم. مدارسُنا تلقّنُ الطلاب وَصْف اللغة، ولا تعلّمهم الأسـاليب التـي تمكّنهـم من الاسـتخدام السـليم لهـا.

مـن نـاحيـة أخـرى، ذكـرت الأسـتاذة رفيـدة أنّ الضّعـف العـام سـببه أيضـا الضّعـف القرائـي؛ فـلا صحبـة بيـن تلميـذ اليوم والكتاب، والدليل على وجاهة هذا التحليل أنّ الأطفال الذين ينتمون الى عـائلات قـارئـة أقوى بكثير في مستوياتهم اللغوية من الأطفـال الذيـن لا تـأخذ القراءة جزءا مـن أوقاتهم.

ومـن الحلـول المقترحـة فـي هـذا الشـأن أن تتضافـر جهـود جميـع المسـؤولين علـى المدارس وأوليـاء الأمـور والمعلميـن والمعلمـات علـى تشـجيع الطـلاب علـى القـراءة اليوميـة؛ فـالقـراءة تكسـب ثقافـة، ولغـة، وتوسّـع مـدارك الانسـان حتـى إنّ ثمّـة دراسـات تثبـت أن القـراءة تـؤدي الـى ارتفـاع التحصيـل العلمـي للطالـب.

وأضافـت قائلـة: الـدور الأكبـر يقـع علـى عاتـق المدارس، وقـد قمنـا بتطبيـق بعـض الحلـول فـي مدرسـتنا منهـا إلـزام التلاميـذ التحـدث بالفصحـى، وضـرورة أن يكـون المعلـم القـدوة الحسـنة فـي التحـدث







بها أيضا، وقمنا بتدريب الهيئة التدريسية لمدة ٣٠ ساعة على التحدث بالفصحى السليمة المبسّطة تحت إشراف الدكتور عبدالله الدنان. فالتحدث بالفصحى يكسب الطلاب اللغة بالفطرة والسليقة، وهذا الذي كان يفعله العرب بأبنائهم حين يرسلونهم إلى البادية يغترفون من معينها اللغوي الصافي.

أيضا يمكننا من خلال المنهج التركيز على عملية استخدام اللغة بحيث لا تُركّز المناهج على توصيف اللغة فقط، وإنّما على أساليب التحدّث بها وتوظيفها نطقا وكتابة وتعبيرا وإبداعا، وذلك عن طريق تكثيف الأنشطة المتعلقة بهذا الجانب العملي مع الحرص على الإمتاع والتسلية أثناء الدرس اللغوي.

ومن ضمن الحلول المقترحة في هذا الشأن، وهي من التحديات أيضا، محاولة زيادة عدد الحصص الدراسية التي يتعامل فيها الطالب باللغة العربية حتى يتعادل على الأقل مع عدد حصص اللغة الإنجليزية خصوصا في المدارس التي تطبق المناهج الأمريكية أو الأجنبية بشكل عام.

وثمة موضوع لا ينبغي التغافل عنه وهو توجيه التقييم إلى الأثر الذي يتركه تعلّم اللغة العربية على الكتابة الإبداعية للطالب (تقييم الأثر وليس تقييم المعرفة الوصفية للقاعدة).

من جهتها، أشارت الأستاذة نهى عبد الباري، رئيسة قسم اللغة العربية في المدرسة الأمريكية للإبداع العلمي فرع المليحة عدة أفكار تتعلّق بالضعف اللغوي العام وبعض الحلول المقترحة حيث أشارت إلى ضرورة إلزام الجامعات والكلّيات الطالب الجامعي بأن يكون متحصّلا على مستوى ممتاز أو جيد على الأقل في اللغة العربية حتى يتسنّى له الترقي في دراسته الجامعيّة؛ إذ ليس من المقبول التسامح في هذا الشأن.

يجب أن تكون هناك اختبارات كفاءة للطالب قبل البدء في دراسة اللغة العربية، ولا بد أن تكون ثمّة رؤية واضحة لدى القائمين على التعليم الجامعي مفادها أنّ دراسة اللغة في الأعوام الجامعية ليس أمرا اختياريا وإنما هو متطلّب ضروري وإلزامي، ولا ينبغي أن يقل عن مستوى التّميّز والجودة. هذا من شأنه أن يحفّز الطلاب ويحفّز أولياء أمورهم على العناية باللسان العربي في سنوات دراستهم المختلفة.

وأشارت المعلمة زينب أحمد، معلمة في المرحلة الابتدائية العليا، في مداخلتها إلى النتائج الضعيفة التي تنتج عن الأساليب التقليدية في تعليم اللغة

حيث أشارت إلى أنها من خلال خبرتها التعليمية استفادت أنّ الذين يستعملون طريقة التلقين تكون نتائجهم بشكل عام ضعيفة، بينما المعلمون الذين يركّزون على الطرق التربوية الحديثة التي جوهرها أنّ الطالب هو محور العملية التعلّمية فإنّ نتائجهم تكون حسنة في الغالب، وقد ترقى إلى مصاف الجودة والتميّز في كثير من الأحيان.

ومن خلال خبرة المعلمة زينب حدثتنا أنّها اعتادت أن تبدأ الحصة الدراسية بالحديث عن فضل اللغة العربية، وفي دروس النحو تبدأ بسؤال الطلاب: لماذا ندرس النحو؟ وذلك في محاولة منها لربط الطالب بالواقع، وتحبيب المادّة إليه وترغيبه في دراستها.

كما أشارت إلى أنّ جزءا من الحل يكمن في تقوية مستوى التعاون مع ولي الأمر والتواصل الدائم معه، والحفاظ على علاقة طيبة مع الطلاب.

أمّا فيما يخص المدارس فتقترح المعلمة أنّ عليها تكثيف الدّورات التدريبية لمعلمي اللغة العربية ومعلّماتها خصوصا فيما يتعلّقُ بشأن استخدام استراتيجيات التدريس الحديثة التي تواكب طلاب عصرنا هذا، واختيار المناهج الدراسية التي تناسب حياة الطالب الواقعية، وأشارت إلى أنّ للمعلم دورا فعالا في تكييف المنهج وإعادة صياغته بما يتناسب مع احتياجات الطلاب وميولهم.

من جهته أكّد الأستاذ عاطف المهدي (معلم في المرحلة الثانوية) على أنّ تطلّع أبناء الجيل المعاصر إلى سوق العمل ومتطلباته التي توجب على الطلاب إتقان اللغة الإنجليزية هو عامل هدم إذ يفضل الطلاب دراسة اللغة الإنجليزية ومحاولة التميز

> يجب أن تكون هناك اختبارات كفاءة للطالب قبل البدء في دراسة اللغة العربية

والتألق في إتقانها، ويصرف كثير منهم النظر عن اللغة العربية لأنها ليست وسيلة (من وجهة نظرهم) للحصول على وظيفة ذات شأن في المجتمع. وهذا يثير السؤال القديم الجديد: متى تعود الأمة العربيّة إلى رشدها وتبذل المزيد من الميزانيات في الارتقاء بالتعليم والبحث العلمي؛ فاللغة العربية لا يكون لها شأن إلا إذا أصبحت وسيلة للإنتاج العلمي والمعرفي.





علاقة علوم اللغة العربية بالعلوم الشّرعية

د. غسّان الشيخ
أستاذ الفقه وأصوله

شاءت حكمة الباري جلّ جلاله أن يجعل اللغة العربية وعاءً لشريعته، فبها نزل القرآن الكريم، وبها نطق رسوله الكريم، وبها كتبت علوم الشريعة الإسلامية سواء في التفسير وشروح الحديث والفقه وأصوله والسيرة والعقيدة، ومن هنا تبرز الحقيقة التي لا مراء فيها ولا يمكن لأحد أن يجادل فيها، ألا وهي أنَّ تحصيل علوم الشريعة لا يمكن دون العربية، نعم لقد أضحى لازماً عقلياً القول بأنَّ تحصيل علوم الدين غير محقق إلا بالتضلع والغوص الشديد والصَّبر الأكيد على تحصيل العلوم اللغوية، والتوسع فيها وفي مقرّراتها، ويؤكِّد هذه الحقائق مؤسّس علم الأصول الإمام الشافعي حيث يقول: "إنَّما خاطب الله بكتابه العرب، على ما تعرف من معانيها"، وهي الحقيقة التي انتبه لها مجدِّدُ علم الأصول الإمامُ الشّاطبيُّ فقرَّرها بقوله: "إنَّ هذه الشريعة المباركة عربية... المقصودُ هنا: أن القرآن نزل بلسان العرب على الجملة، فطلبُ فهمه إنَّما يكونُ من هذا الطريق خاصَّةً؛ لأنَّ الله تعالى يقول:{إنا أنزلناه قرآناً عربياً}... فمن أراد تفهُّمه فمن جهة لسان العرب يُفهم".

علاقة اللغة العربية بأصول الفقه

لا يخفى على من له دِرايةٌ في علم الفقه وأصوله، مدى العلاقة الوثيقة بين أصول الفقه والعربية، بل إن للغة العربية وقواعدها الدلالية والنحوية اليد الطولى في تفريع المسائل الفقهية من القرآن والسنة، فكثير من المسائل الفرعية الفقهية الخلافية عند فقهائنا رحمهم الله تعالى، إنّما انبثقت من اختلاف اجتهاداتهم في القواعد النحوية، وقوانين علم الدلالة، بمعنى أنّ منشأ الخلاف في المسائل العملية الفقهية عند الفقهاء، هو في كثير من الأحيان منشؤه لغوي؛ ومن هنا اشتُرِط في الفقيه المجتهد أن يكون عالما باللغة العربية؛ ولذلك اعتنى علماء الأصول اعتناء بالغاً بعلوم اللغة العربية، فسبروا أغوارها، وخاضوا في بحارها؛ فاستخرجوا الدرر الثمينة والجواهر النفيسة، وما ذلك إلا خدمة لدين الله تعالى، وحبهم لله ورسوله.

ولو أمعنت النظر ستجد بأنّ جميع علماء أصول الفقه كانوا علماء في العربية، فهذا مثلا الإمام الشافعي رحمه الله تعالى وهو أحد أئمة الفقه العظام وواضع علم أصول الفقه، كيف كان لغوياً قبل أن يكون فقيهاً وأصولياً، يقول ابن هشام: (الشافعي رحمه الله هو إمام أهل مصر في عصره في اللغة والنّحو).

ويقول الشيخ أحمد شاكر في مقدمته لتحقيق رسالة الشافعي: وكتاب الرسالة بل وكتب الشافعي أجمع، كتب أدب ولغة وثقافة، قبل أن تكون كتب فقه وأصول، ذلك أنّ الشافعي لم تُهجّنْه عجمةٌ، ولم تدخل على لسانه لكنةٌ، ولم تُحفَظْ عليه لَحْنةٌ أو سَقطةٌ، قال عبد الملك بن هشام النحوي صاحب السيرة: طالت مجالستنا للشافعي فما سمعت منه لحنةً قطُّ، ولا كلمة غيرها أحسن منها ، وقال أيضا: جالستُ الشافعيّ زمانا، فما سمعته تكلم بكلمة إلا إذا اعتبرها المعتبر لا يجد كلمة في العربية أحسنَ منها ، وقال أيضا: (الشافعي كلامه لغةٌ يُحتَجُّ بها)، وقال الزعفراني: (كان قوم من أهل العربية يختلفون إلى مجلس الشافعي معنا، ويجلسون ناحية، فقلت لرجل من رؤسائهم: إنكم لا تتعاطون العلم فلم تختلفون معنا؟ قالوا: نسمع لغة الشافعي)، وقال الأصمعي: (صحّحْت أشعار هُذيل على فتى من قريش، يقال له محمد بن إدريس الشافعي)، وقال ثعلب: (العجب أنّ بعض الناس يأخذون اللغة عن الشافعي، وهو من بيت اللغة! والشافعي يجب أن يؤخذ منه اللغة، لا أن يؤخذ عليه اللغة)، يعني يجب أن يحتجّوا بألفاظه نفسها، لا بما نقله فقط، وكفى بشهادة الجاحظ في أدبه وبيانه، يقول: (نظرت في كتب هؤلاء النّبغة الذين نبغوا في العلم، فلم أرَ أحسن تأليفا من المُطّلبي، كأنّ لسانه ينظم الدّرّ)، فكُتُبُه كلها مُثُلٌ رائعة من الأدب العربي النقي، في الذروة العليا من البلاغة، يكتب على سجيّته، ويُملي بفطرته، لا يتكلّف ولا يتصنّع، أفصحُ نثر تقرؤه بعد القرآن والحديث، لا يساميه قائل، ولا يدانيه كاتب.

لقد قرّر العلماء بأن علم أصول الفقه مستمَدٌّ من ثلاثة علوم، علم اللغة العربية، وعلم أصول الدين، وعلم الفقه، فدلالة الأدلة اللفظية من الكتاب والسنة وغيرهما متوقفة على معرفة موضوعاتها لغة من جهة الحقيقة والمجاز، والإطلاق والتقييد والعموم والخصوص، والحذف والإضمار، والمنطوق والمفهوم.... ممّا لا يُعرف في غير علم العربية.

لقد أشار الدكتور يوسف العيساوي في كتابه (أثر اللغة العربية في استنباط الأحكام الفقهية)، أشار إلى أن أهل العربية تنبّهوا إلى أهمية علم أصول الفقه فأخذوا يحكمون علم النحو بمثل منهج أصول الفقه ولقّب عندهم بـ علم أصول النحو.

ونبّه ابن جني إلى النقص الذي وقع فيه سابقوه، فقال: (وذلك أنّا لم نر أحدا من علماء البلدين تعرّض بهذا لعمل أصول النحو، على مذهب أصول الكلام والفقه).

وجاء الأنباري فجمع أشتات ذلك العلم بمصنّف مستقل، وقال في مقدمة كتابه أصول النحو: (أدلة النحو التي تفرّعت عنها فروعه وفصوله، كما أنّ أصول الفقه أدلة الفقه التي تنوّعت عنها جملته وتفصيله).

والمتأمّل يدرك مدى الشبه الكبير بين علوم أصول الفقه وعلم أصول النحو، فكما قسم الأصوليون والفقهاء الحكم الشرعي إلى: واجب، ومحظور، ومندوب، ومكروه، وجائز. فقد ذهب علماء أصول النحو إلى تقسيم الحكم النحوي إلى: واجب، وممنوع، وحسن، وقبيح، وخلاف الأولى، وجائز على السواء، وكما للفقه أدلته المتفق عليها: الكتاب والسنة (النقل)، والإجماع، والقياس، كان للنحو أدلته المتفق عليها في جملتها: السماع(النقل) والإجماع، والقياس. ومن كثرة المشابهة بين العلمين نجد أنه أيضا كما للفقهاء مصادرهم المختلف فيها، كان للنحويين كذلك، مثل الاستصحاب والاستحسان والعرف والاستقراء، ولمزيد من البيان نورد المثال الآتي:

إذا أطلقت العرب اسماً على شيء ما، وفيه معنى من المعاني، ثم لوحظ هذا المعنى في شيء ثان، فهل يصح إطلاق اسم الشيء الأول على الشيء الثاني؟ كإطلاق اسم الخمر على النبيذ لعلة الإسكار، للعلماء في هذه المسألة قولان، وثمرة الخلاف هنا أن المثبت للقياس في اللغة يستغني عن القياس الشرعي، فيكون إيجاب الحد على شارب النبيذ، ومن أنكر القياس في اللغة جعل ثبوت ذلك بالشرع.

علاقة اللغة العربية بالفقه الإسلامي

يعرّف الفقه بأنه العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية، وهذا العلم مُستمَد من علم أصول الفقه الذي يعتمد على علوم العربية بشكل أساسيّ، وهذا يقتضي توقف الفقه على اتقان العربية، وقد أشار الإمام الجُويني إلى ذلك واشترط أن يكون المفتي عالما بالنحو والإعراب فقد يختلف باختلافه معاني الألفاظ ومقاصدها.

وتتجلى أهمية اللغة العربية بالنسبة للفقه في أمور كثيرة من أهمّها، ضبط النصوص وبيان معانيها، واستنباط الأحكام، وبيان ذلك أن العربية تضبط النصوص الشرعية، وتدفع عنها التصحيف، وتشرح ألفاظها الغريبة، وهذا ما جعل العلماء يهتمون في التأليف في هذا الجانب، وقد ظهرت مؤلفات كثيرة في ذلك منها: طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية للنسفي، والمطلع على أبواب المقنع للبعلي، وأنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء للقونوي، والمغرب في ترتيب المعرب، للمطرزي، والمصباح المنير للفيومي وغيرها من المصنفات.

وكذلك للعربية أثر كبير في استنباط الأحكام، فاختلاف الإعراب يؤدي إلى الاختلاف في المعنى؛ ولأجل ذلك ربط العلماء به الأحكام الفقهية، ورأينا أرباب المذاهب الفقهية ينتصرون لمذهبهم الفقهي بالاستدلال بفصاحة إمام المذهب وحجته في اللغة، فقد قال الحنفية بأن كلام الإمام محمد بن الحسن الشيباني حجّة في اللغة، كما جاء في كتاب الفصول في الأصول، وكذلك فعل الإمام ابن العربي في أحكام القرآن في أكثر من موضع، وقد اتفق المخالف قبل الموافق على أن الشافعي رحمه الله ممن يؤخذ عنه اللغة كما صرح بذلك أهل اللغة كالجاحظ والقاسم بن سلام بن عبد الله أبو عبيدة المحدث اللغوي وغيرهم من أرباب اللغة.

وأول من فرّع المسائل على هذا الباب هو تلميذ أبي حنيفة رحمه الله محمد بن الحسن الشيباني في كتابه الجامع الكبير، قال رحمه الله (إذا قال) أيُّ عبيدي ضربك فهو حر فضربه الجميع، عتقوا، وإذا قال: أي عبيدي ضربتُه فهو حر فضرب الجميع، عتق واحد فقط، فإن ترتبوا عتق الأول، وإن ضربوا دفعة



فيختار واحد منهم والتعليل أن فاعل الفعل في الجملة الأولى -هو الضمير في ضربك- عام ؛لأنه ضمير (أيٍّ)، ويستحيل تعدد الفاعل وانفراد الفعل، إذ فعل أحدهم غير فعل الآخر، وأما الفاعل في الجملة الثانية فهو تاء المخاطب، وهو خاص والعام فيه ضمير المفعول وهي الهاء، واتحاد الفعل مع تعدد المفعول ليس محالا، فإن الفاعل الواحد قد يوقع في وقت واحد فعلا واحدا بمفعولين أو أكثر، كما قرر ذلك الإسنوي في الكوكب الدري.

وهذه مناظرة لطيفة تظهر ما سبق تقريره: جاء بأن الشافعي رحمه الله كان جالسا بين يدي الإمام مالك بن أنس، وكان الشافعي يومئذ ابن أربع عشرة سنة، فجاء رجل فقال لمالك: إني رجل أبيع القُمْرِيّ (يعني الديك) وإني بعت في يومي هذا قمريا، فردّه علي، فقال إن قمريك لا يصيح، فحلفت له بالطلاق أنه لا يهدأ من الصياح.

فقال الإمام مالك: طلقت امرأتك ولا سبيل لك عليها.

فقال الشافعي للرجل: أيما أكثر، صياح قمريك أم سكوته؟

فقال: صياحه

فقال: أمسك ولا شيء عليك.

قال: فزبره مالك وقال: يا غلام، من أين لك هذا؟

فقال: منك؛ فقد حدثتني عن الزهري، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أم سلمة: أن فاطمة بنت قيس قالت: يا رسول الله إنّ أبا جهم ومعاوية خطبا لي.

فقال صلى الله عليه وسلم: أما أبو جهم؛ فلا يضع عصاه عن عاتقه ...

وقد كان أبو جهم يأكل وينام ويدع عصاه في بعض أحواله، إلا أنه قال لا يضع عصاه، وأراد به أبلغ أحواله، والعرب تجعل أكثر الفعلين لمداومته، فلمّا كان صياح قمري هذا أكثر من سكوته، جعلته في صياحه دائما، فتعجّب مالك من احتجاجه.

وهذه قصة جميلة تشير إلى ورع الأئمة الفقهاء وتواضعهم وتقديرهم لأهل اللغة، فقد كتب الرشيد إلى أبي يوسف يسأله عن قوله:

فإن ترفقي يا هندُ فالرِّفقُ أيمن

وإن تخرقي يا هند فالخرق أشأم

فـأنـت طـلاق والـطـلاق عـزيـمـة

ثـلاث ومـن يَـخْـرُقْ أعَـقُ وأظـلـم

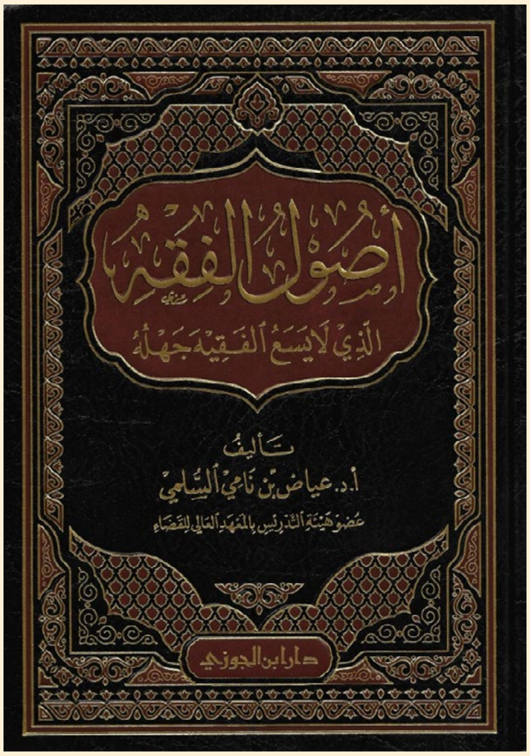
قال الرشيد: يا أبا يوسف ماذا يلزمه إذا رفع الثلاث وإذا نصبها؟

قال أبو يوسف: فقلت هذه مسألة نحوية فقهية، ولا آمن الخطأ إن قلت فيها برأي، فأتيت الكسائي وهو في فراشه فسألته، فقال: إن رفع (ثلاث) طلقت واحدة؛ لأنه قال: (أنت طلاق) ثم أخبر أن الطلاق ثلاث، وإن نصبها، طلقت ثلاثا؛ لأنه معناه أنت طالق ثلاثا، وما بينهما جملة معترضة .... انظر القصة في الكوكب الدري، إلا أنّ ابن هشام في مغني اللبيب استدرك قائلا: إنّ كُلاً من الرفع والنصب محتمل لوقوع الثلاث ولوقوع الواحدة.

ولأهمية هذا الموضوع اتّجه كثير من العلماء للتصنيف فيه، فقد ألف الإمام الإسنوي كتابًا سماه (الكوكب الدري في تخريج الفروع الفقهية على المسائل النحوية)، أورد فيه مسائل نحوية ثم أتبعها بذكر مجموعة من المسائل الفقهية مما يتفرع عنها.

ولعله من المناسب عرض مثال كي يتضح الأمر، فمن المعلوم أن الغيبة حرام؛ لقوله صلى الله عليه وسلم:

(أتدرون ما الغيبة) قالوا: الله وسوله أعلم، قال: (ذكرك أخاك بما يكره). وقع الخلاف بين العلماء في حد الغيبة، فقد قال الجمهور: إن الغيبة تكون باللسان وما يقوم مقامه من إشارة ونحوها، وقال الغزالي والنووي رحمهما الله تعالى: إن الغيبة تكون بالقلب أيضا، وسبب الخلاف هو لغوي بامتياز، وهو: هل يطلق الكلام على اللفظ فقط أو يطلق أيضا على المعنى النفسي؟



من خلال ما تمّ عرضُه يمكن القول بأنه لا يمكن فصل علوم اللغة العربية عن علوم الشريعة الإسلامية، فهما توأمان لا ينفصلان عن بعضهما البعض، ولا يمكن في حال من الأحوال أن تستغني الشريعة عن العربية، والعكس صحيح؛ فلولا القرآن والسنة لضاعت العربية واندرست، ومما يدل أيضا على كون العلم بالشريعة يستلزم عقلا علم العربية، أن جميع علماء الشريعة هم علماء باللغة قبل أن يتكلموا في الدين.



متفرّقات أدبيّة وشعرية

إنَّ من البيان لَسِحْرًا

وَفَدَ إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم الزِّبْرِقَانُ بن بَدْر وعَمْرُو بن الأهتم؛

فقال الزبرقان: يا رسولَ الله! أنا سيدُ تميم، و المطاعُ فيهم، و المُجابُ منهم، آخُذُ لهم بحقِّهم، و أمنعهم من الظلم، و هذا يعلم ذلك - يعني عَمْرا.

فقال عَمْرو: أجَلْ يا رسولَ الله؛ إنه مانعٌ لِحَوْزَته، مُطَاعٌ في عشيرته، شديد العَارِضة فيهم.

فقال الزبرقان: أَمَا إنه والله قد علم أكثرَ ممّا قال، ولكنه حسدني شَرفي!

فقال عمرو: أما لئن قال ما قال؛ فوالله ما علمته إلا ضَيِّق العَطَن، زَمِرَ المروءة، أحْمَقَ الأبِ، لئيمَ الخالِ، حديثَ الغِنَى.

فرأى الكراهَةَ فى وَجْه رسول الله صلى الله عليه و سلم لمّا اختلفَ قولُه؛

فقال: يا رسول الله؛ رضيتُ فقلتُ أحسنَ ما علمت، و غضبتُ فقلت أقْبَحَ ما علمت، وما كذبت فى الأُولى ولقد صَدَقْتُ فى الثانية!

فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (إنّ من البيان لسِحرا، و إنّ من الشعر لحِكْمَة).

فصاحة الأحنف في صباه

و ذكر بعضُ الرُّواة أنه لما اسْتُخْلِفَ عمرُ بنُ عبد العزيز رضى الله عنه قدم عليه وفودُ أهلِ كل بلد؛ فتقدم إليه وَفْدُ أهلِ الحجاز،فاشرَأَبَّ منهم غلامٌ للكلام، فقالَ عمر: ياغلام؛ لِيَتكلّمْ مَنْ هو أَسَنُّ منك! فقال الغلام: يا أمير المؤمنين! إنما المرءُ بأَصْغَرَيْهِ قلبِه ولسانِه، فإذا مَنَح اللهُ عبدَه لسانًا لافظًا، وقلبًا حافظًا، فقد أجاد له الاختيار؛ و لو أنَّ الأمور بالسنّ لكان هاهنا.

مَن هو أحقُّ بمجلسك منك.

فقال عمر: صدقت، تكلم؛ فهذا السحْرُ الحلال! فقال: ياأمير المؤمنين، نحن وَفْدُ التهنئة لاَ وَفْدُ المَرْزِئة، ولم تُقْدِمْنا إليك رغبةٌ ولا رهبةٌ؛ لأنّا قد أمِنّا في أيامك ما خِفنا، و أدركنا ما طلبنا! فسأل عمر عَنْ سِنّ الغلام، فقيل: عشر سنين.

بنو العجلان و النّجاشي الحارثي

و كان بنو العَجْلَان يَفْخَرون بهذا الاسم، و يتشرّفون بهذا الوَسْم؛ إذ كان عبدُ الله بن كعب جدُّهم إنما سمّي العجلان لتعجيله القِرَى للضِّيفَان؛ و ذلك أن حيًّا من طيء نزلوا به فبعث إليهم بِقِرَاهم عَبْدا له، و قال له: اعْجَل عليهم، ففعل العبدُ، فأعتقه لعجلته، فقال القوم: ما ينبغي أن يُسمّى إلّا العجلان؛ فسُمِّي بذلك؛ فكان شرفا لهم، حتى قال النجاشي، واسمه قيس بن عمرو بن حرن بن الحارث بن كعب يهجوهم:

أولئكَ أخوالُ اللَّعِينِ و أسرةُ ال ... هَجِـينِ و رهْـطُ الـواهـنِ المـتـذلّل

و مـا سُمِّي العجْلَانُ إلا لقـولـهِ ... خُذِ القَعْبَ و احلُب أيُّها العبدُ و اعْجِل

فصار الرجل منهم إذا سئل عن نسبه قال: كعبيٌّ، و يكني عن العجلان،

و زعمت الرواة أنّ بنى العجلان استعدَوْا على النجاشي - لما قال هذا الشعر - عُمر بنَ الخطاب رضي الله عنه، و قالوا: هَجَانَا، قال: وما قال فيكم؟ فأنشدوه قوله:

إذا اللهُ عـادَى أهـلَ لُؤم و رِقَّـةٍ ... فعادَى بني العَجْلَان رهطَ ابن مُقْبِلِ

فقال: إنَّ الله لا يُعادي مسلما. قالوا: فقد قال:

قُبَيِّلَـةٌ لا يـغـدِرون بِذِمّـةٍ ... ولا يظلمون النّاسَ حبَّـةَ خَـرْدَلِ

فقال: ودِدْتُ أنَّ آل الخطاب كانوا كذلك! قالوا: فقد قال:

تَعَافُ الكِلَابُ الضارِيَاتُ لحومَهُمْ ... وَ تأْكـلُ من عَوْفِ بن كعب بـن نهشلِ

فقل: كفى ضَياعًا مَن تأكل الكلابُ لحمه! قالوا: فقد قال:

ولا يَـرِدُون المـاءَ إلَّا عـشيـةً ... إذا صَـدَرَ الوُرَّادُ عَـن كـلِّ مَنْهَـلِ

فقال: ذلك أصفى للماء، و أقلُ للزّحام! قالوا: فقد قال:

و مـا سُمِّـي العجْلَان إلا لقـولـهِ ... خُذِ القَعْبَ و احْلُب أيها العبدُ واعْـجَلِ

فقال: سيّدُ القوم خَادِمُهُم!.

و كان عمر رضي الله عنه أَعلَم بما فى هذا الشعر، ولكنه دَرَأَ الحدودَ بالشبهات.

تأثُّر النّبيّ ﷺ بالشّعر

أمرَ النبي صلى الله عليه وسلم بقتل النضر بن الحارث، و كان ممّن أُسِرَ يوم بدر، و كان شديد العداوة لله ولرسوله، وقَتَله عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه صَبْرا؛ فعرضت النبيَّ صلى الله عليه و سلم أختُهُ قُتَيلة بنتُ الحارث وفي بعض الروايات أن قُتَيلة أَتَتْهُ فأنْشَدَتْهُ:

يـا راكِبــاً إنَّ الأُثَيْـلَ مَـظِـنَّـةٌ ... مِنْ صُبْـحِ غـادِيَـةٍ وَأَنْتَ مُوَفَّقُ
أَبْلِـغْ بِـهـَا مَيْـتـاً بِـأَنَّ تَحيَّـةً ... ما إنْ تزالُ بها النَّجائبُ تُعْتَقُ
مِنِّـي إليـه وعَبْـرَةً مسفـوحـةً ... جادت بواكِفِهَا وَ أُخْرَى تَخْنقُ
هل يسمعنِّي النَّضْـرُ إن ناديتـهُ ... إن كان يسمع ميِّتٌ لا يَنْطِقُ
ظلَّتْ سيُوفُ بني أبيـه تَنُوشُـه ... للهِ أرحَـامٌ هنـاك تَشَقّـقُ
قَسْرًا يُقادُ إلـى المنيَّـة مُتْعَبـا ... رَسْفَ المقيد وَهْوَ عَانٍ مُـوثَـقُ
أمحمدُ ها أَنْـتَ صِنْـو كريمـةٍ ... في قومها والفَحْلُ فحلٌ معْرِقُ
ما كانَ ضَـرَّك لو مَنَنْتَ وربَّمـا ... مَنَّ الفَتى وهْو المَغِيظُ المُحْنَقُ
فالنضرُ أَقربُ مَنْ قَتَلْتَ قَرَابَةً ... و أحقُّهم إنْ كان عِتقٌ يُعْتَقُ
أو كنت قابلَ فِدْيـةٍ فَلْيُفْدَيـنْ ... بأعـزِّ ما يُغلى بـه مَنْ يُنْفِقُ

فذُكر أنَّ رسول الله صلى الله عليه و سلم رَقَّ لها و دمعت عيناه، و قال لأبى بكر: لو كنتُ سمعت شِعْرَها ما قتلته.

من كلام أبي بكر الصديّق رضي الله عنه

و كان أبو بكر رضي الله عنه إذا أُثْنى عليه يقول: اللهم أنت أَعلَمُ بي من نفسي، وأنا أعلم بنفسي منهم، فاجعلني خيرا ممّا يَحْسَبُون، واغفر لي برحمتك ما لا يعلمون، ولا تؤاخِذْني بما يقولون.

من كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه

مَنْ كتم سره كان الْخِيارُ فى يده. أشقى الوُلَاة من شقيَتْ به رعيَّتُهُ. أعقلُ الناس أعذرُهم للناس. ما الخمر صِرْفا بأَذْهَبَ لعقولِ الرجالِ من الطمع. لا يكن حُبُّك كَلَفا، ولا بُغْضُكَ تَلَفا.

مرْ ذوي القرابات أن يتزَاوَروا، و لا يتجَاورُوا. قلَّما أدْبر شيءٌ فأقبل. أشكو إلى اللّه ضَعْفَ الأمين، وخيانةَ القويّ. تكثَّرُوا من العيال فإنكم لا تدرون بمن تُرْزَقون. لو أنَّ الشكر والصبر بَعِيرَانِ ما باليت أيَّهما أركب. من لا يعرفُ الشرّ كان أجدرَ أن يقع فيه.

من كلام عثمان بن عفان رضي الله عنه

ما يَزَعُ اللّهُ بالسُّلْطانِ، أكثَرُ مما يزعُ بالقرآن. سيجعلُ اللّه بعد عُسرٍ يسرا، و بعد عِيِّ بيانا؛ وأنتم إلى إمام فعَّال، أحوجُ منكم إلى إمامٍ قَوَّال.

من كلام عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه

لا تَكُنْ ممن يَرْجُو الآخرةَ بغير عمل، و يؤخّرُ التوبةَ لطولِ الأمَل. ويقولُ فى الدنيا بقول الزاهدين، ويعملُ فيها بعمل الرّاغبين، إنْ أُعْطِىَ منها لم يشبع، وإن مُنح لم يَقْنَعْ، يعجز عن شُكْرِ ما أُوتي، و يبتغي الزيادة فيما بَقِي، يَنْهي ولا يَنْتَهي، و يأمر بما لا يأْتي.

وصف الدّنيا

دارُ صِدْق لمن صدقها، ودَارُ نَجَاة لمن فهِم عنها، ودارُ غِنىً لمن تزوَّدَ منها، مهْبِطُ وَحْيِ اللّهِ، و مُصَلَّى ملائكته، ومَسْجِدُ أنبيائه، و مَتْجَرُ أوليائه، رَبِحُوا فيها الرحمة، واكتسبوا فيها الجنة.

من حِكم كلام عليّ

الدنيا بالأموال، والآخرةُ بالأعمال. لا تخافَنّ إلا ذنبك، ولا ترجُوَنَّ إلا ربك.

من كلام معاوية

قال معاوية بن أبي سفيان رضي اللّه عنه : أَفْضَلُ ما أُعْطِيَ الرَّجلُ العَقْل والحِلْمَ فإذا ذُكّر ذكَر، وإذا أساء استغفر، وإذا وَعَد أنجز.

ومن ذا الذي تُرضَى سَجَاياه كلُّها كَـفَـى المـرء نُبْـلاً أن تُـعـدَّ مَعَـايُبــهْ

الكلام في حمد الله

أوْلى ما فَغر به الناطقُ فمه، وافتتح به كَلمه، حمدُ اللهِ جلَّ ثناؤُه، و تقدَّست أسماؤُه. حَمْدُ الله خيرُما ابْتُدِئ به القول وخُتم، وخيرُما افتُتِح به الخطابُ و تُمِّمَ.

في فضل البيان لابن المعتز

البيان تَرْجُمَانُ القلوب، وَصَيْقَل العقول، وَمُجَلّى الشُّبهة، وموجب الحجّة، والحاكم عند اختصام الظنون، والمفرِّقُ بين الشَّكِّ واليقين.

وصفُ القرآن

القرآن حَبْلُ الله الممدود، وعَهْدُه المعهود، وظلُّه العميم، وصِراطُه المستقيم، وحُجَّتهُ الكبرى، و محجَتُه الوُسْطَى، وهو الواضحُ سبيلُه، الرّاشدُ دليلُه، الذي مَن استضاءَ بمصابيحه أبْصَر ونَجَا، ومَنْ أعرض عنه ضَلَّ وهَوَى؛ فضائل القرآن لا تُستقصى في ألْف قَرْن، حجة الله وعَهْدُه، و وعيدهُ ووعْدُه، به يعلمُ الجاهلُ، ويعملُ العاملُ، ويتنبَّه الساهي، ويتذكَّر اللاهي، بَشيرُ الثواب، ونَذيرُ العقاب، وشفاء الصدور، وجلَاء الأمورِ؛ من فضائله أنه يُقْرَأ دائماً، ويُكْتَبُ، ويُمْلَى، و لَا يُمَلّ.



عــدّة الخطـابـة

رَأسُ الخَطَابة الطَّبْع، وعمودُها الدُّربة، وجَنَاحَاهَا رِوَاية الكلام، وحَلْيُها الإعراب، وبهاؤُهَا تخيُّرُ اللفظ؛ والمحبةُ مقرونة بقلة الاستِكْرَاه.

فضل اللسان

قال بعضُ البلغاء: في اللسان عشرُ خصالٍ محمودة، أداةٌ يظهر بها البيانُ، و شاهدٌ يخبر عن الضمير، وحاكمٌ يفصل الخطابَ، وواعظٌ يَنْهى عن القبيح، وناطق يردُّ الجواب، وشافعٌ تُدْرَك به الحاجة، وواصفٌ تُعْرَف به الأشياء، ومُعْربٌ يُشْكَر به الإحسان، ومُعَزٍّ تذهبُ به الأَحزان، وحامِدٌ يُذْهِبُ الضغينَة، ومونِق يُلهي الأسماع.

في وصف البلاغة

قال عبدالحميد بن يحيى

البلاغةُ تقريرُ المعنى في الأفهام، مِن أَقْرَب وجوه الكلام.

ابن المعتز

البلاغةُ البلوغ إلى المعنى ولم يطل سَفَر الكلام.

أعرابي

البلاغة إيجاز في غير عَجْز، وإطناب في غير خَطَل.

قال علي بن عيسى الرماني

أبلغ الكلام ما حَسُنَ إيجازه، وقلَّ مَجَازه، وكثُر إعجازه، وتناسبَتْ صدورُه وأعجازه.

وصف البليغ

البليغ مَنْ يَحُوك الكلامَ على حسب الأماني، ويخيط الألفاظ على قدُود المعانِي.

فلان يحزّ مَفَاصِل الكلام، ويسبق فيها إلى دَرك المرام، كأنما جمع الكلام حولَه حتى انتقى منه و انتخَب، و تناول منه ما طَلَب، و ترك بعد ذلك أذْنابا لا رؤوسا، و أجْسادا لا نفوسا.

فلان يَرْضَى بعَفْو الطَّبْع، ويقنع بما خفَّ على السمع، ويُوجز فلا يُخلُّ، و يُطْنب فلا يُملّ. لله فلان أخذ بأزِمَّة القول يقودُها كيف أراد، ويَجْذِبُها أنَّى شاءَ، فلا تعصيه بين الصَّعب والذَّلول، ولا تسلمه عند الحزونة و السّهول. كلامُه يشتدّ مرَّة حتى تقول الصَّخْر الأملس، ويَلين تارةً حتى تقولَ الماء أو أَسْلَس. يقول فيَصُول، ويُجيب فيُصيب، وَيكْتُبُ فيطبِّقُ المفْصل، أو يُنَسِّق الدرَّ المفَصَّلَ، ويَردُ مشارِعَ الكلام وهي صَافِيَة لم تُطْرَق، وجَامَّة لم تُرَنَّق، خاطرُهُ البَرْقُ أو أَسْرَع لمعا، والسَّيْفُ أو أَحَدُ قَطْعا، والماءُ أو أَسْلَسُ جَرْيا، والفلك أو أَقْوَم هَدْيا؛ هو ممّن يسهلُ الكلام على لفظه، وتتزاحمُ المعاني على طَبْعه، فيتناول المَرْمَى البعيدَ بقريب سَعْيِه، ويسْتَنْبطُ المَشْرَعَ العميق بيسير جَرْيِه، لسانُه يَفْلَقُ الصُّخُور، ويغيض البحور، ويُسْمِعُ الصُّم، ويستنزل العُصْمَ. خطيبٌ لا تنالهُ حُبْسة، ولا ترتهنه لُكْنَة، ولا تتمشّى في خطابه رنة، ولا تتحيَّف بيانَه عُجْمَة، ولا تعترضُ لسانَه عُقْدةٌ.

وصف الكلام البليغ

كلام كثيرُ العيونِ، سَلِسُ المتون، رقيقُ الحواشي، سَهْل النواحي.

كلامٌ هو السِّحْرُ الحلالُ، والماء الزُّلال، و البُرُود والحِبَر، والأمثال و العِبَر، والنعيم الحاضر، والشباب النَّاضِر.

كلام يسرّ المحزون، ويُسَهِّل الْحُزون، ويعطّل الدّر المخزون. كلامٌ بعيد من الكُلَف، نقيٌّ من الكَلَف.

كلام كما تنفس السَّحَرُ عن نسيمه، وتبسّم الدرُّ عن نظيمه. ألفاظ تأنَّقَ الخاطرُ في تَذْهيبها، ومعَانٍ عُنِي الفهمُ بتهذيبها. ألفاظ حسبتها من رِقَّتها منسوخة في صحيفة الصّبَا، وظننتها من سلاستها مكتوبةً في نَحْر الهوى.

كلامٌ كالبُشْرى بالولد الكريم، قُرِعَ به سَمْعُ الشيخ العقيم.

يعيش المرءُ، ما استحيا بخير ويبقى العودُ ما بقيَ اللحاءُ
فلا والله ما في العيش خيرٌ ولا الدنيا، إذا ذهبَ الحياءُ
وما منَ شِدّةٍ إلاّ سيأتي لها، مِنْ بعد شدتّها رخاءُ

(أبو تمام)

وأحسنُ منكَ لم ترَ قطُّ عيني وأجملُ منك لم تلد النساءُ
خلقتَ مبرّأً من كلّ عيبِ كأنك قد خلقتَ كمَا تشاءُ

(حسّان بن ثابت)

نعلَّلُ بالدواءِ إذا مرضنا وهل يشفي من الموت الدواءُ
ونختارُ الطبيبَ. وهل طبيبٌ يؤَخّرُ ما يقدّمهُ القضاءُ

(ابن نُباته السّعدي)

وأرى الطبيبَ، بطّبه ودوائه لا يستطيع دفاعَ مكروه أتى
لا تعجبَنْ من هالكٍ كيف هوى بلْ فاعجبْنَ مِن سالمٍ كيف نجا

(ابن دريد)

وَمَن جَهلتْ نفسُه قَدرهُ رأى غيرُهُ منه ما لا يرَى

(المتنبي)

لكل شيء زينةٌ في الورى وزينةُ المرء تمامُ الأدبْ
قد يَشرُفُ المرءُ بآدابه فينا وإنْ كان وَضيعَ النسبْ

(علي بن أبي طالب)

الشّـعـــر ديـــوانُ العَـــربْ   أيـــضـــاً وعـــنـــوانُ الأدبْ

(أبو نواس)

أنا من بدّلَ بالكُتبِ الصحابا   لم أجدْ لي وافياً إلاّ الكتابــا

(شوقي)

يغدُو الفقيرُ، وكلّ شيءٍ ضدّهُ،   والأرض تغْلقُ دُونهُ أبوابَهــا
حتى الكلابُ إذا رأتْ ذاً بــزّة   أصغتْ إليه وَحَرّكتْ أذنابهــا
وإذا رأت يوماً فقيراً جــائــزاً   نبحتْ عليه وكشّرتْ أنيابَهــا

(العباس بن الأحنف)

أعزّ مكانٍ في الدّنا سَرْجُ سابحٍ   وخير جليسٍ في الزمان كتابُ

(المتنبي)

إذا أنتَ لم تشرب مِراراً على القذى   ظَمِئْتَ. (وأيّ الناس تصفو مَشاربهْ)
إذا كـنتَ في كلّ الأمــور معــاتبــاً   صدَيقَــكَ لا تلْقى الـذي لا تُعـاتِبُـه
فَعشْ واحداً، أو صلْ أخــاكَ فإنــه   مُــقــارفُ ذنبٍ مَــرةً ومــجــانِبُــهْ

(بشار بن برد)

الشِـعْـرُ لَمْـحٌ تكـفـي إشـارتـــهُ		وليـــس بـالهَـذرِ طُـوِّلَـتْ خُـطَبُـهْ

(البحتري)

كُن ابـنَ مـن شئـتَ، واكتسـبْ أدبـاً		يـغـنـيـكَ محـمـودُه عـن النَّسـب
إنَّ الفتـى مـن يـقـول: هـا أنـذا		ليس الفتـى من يـقـول كـان أبـي

(علي بن أبي طالب)

سـافرْ تجـدْ عوضـاً عَمَّنْ تُفـارقُهُ		وَانصبْ فإنّ لذيذ العيش في النَّصـب
إنـيَ وجـدتُ وقـوفَ المـاء يُفسـدُهُ		إن سالَ طابَ، وإن لم يجر لمْ يـطبَ
والأُسْدُ لولا فراقُ الغاب ماَ افترستْ		والسَّهمُ، لولا فراقُ القوسَ، لم يُصبَ

(الإمام الشافعي)

لمّا عـفوتُ ولـم أحقـدْ علـى أحـد		أرحْتُ نـفـسي مـن غـمّ العـداوات
إني أُحـيـيّ عـدوّي عـنـد رؤيـتـهُ		لأدفــع الـشـرَّ عنّـي بالتـحيـّاتَ
وأحْزَمُ الناس مَنْ يلـقـى أعـادِيَـهُ		في جسْمِ حِقدٍ، وَثَوْبٍ مِنْ مــودَّاتَ

(الإمام الشافعي)

هــي الأخـلاقُ تـنـبـتُ كـالنبـاتِ		إذا سُـقـيــتْ بـمــاءِ المَكْـرُمـاتِ

(معروف الرصافي)

(ما عاتَبَ الحرَّ الكـريـم كنفسه)		(والمرءُ ينْفَعُـهُ القرينُ الصالـحُ)

(لبيد بن ربيعة)





وإنَّ الـذي بيني وبين بَني أبـي ... وبـين بَني عـمّي لَمخـتلـفٌ جـداً
فإن أكلوا لحمي وفرتُ لُحـومهـمْ ... إن هدموا مجدي بنيتُ لهـم مـَجـداً
وإن ضيّعوا غَيبي حفظْتُ غيوبهم ... وإن هم هوَوْا غيّي هويتُ لهم رُشْـداً
وإن زجروا طيراً بنحس تَمُرُّ بـي ... زجرتُ لهم طيراً تَـمرُ بهـم سَعْـداً
ولا أحملُ الحقدَ القديم عـليهـمُ ... وليس رئيسُ القوم مَنْ يَحملُ الحقدا

(المقنَّع الكِنديّ)

إذا كنتَ ذا رأيٍ فكـن ذا عزيمـةٍ ... فـإن فَـسـاد الـرأي أن تَتـردّدا

(الخليفة المنصور)

ولستُ أرى السـعـادةَ جَمْـعَ مـال ... ولكـنَّ التـقـيَّ هـو الـسعيـدُ
وتقوى الله خــير الـزاد ذُخْـراً ... وعـند الله للأتــقى مَـزيـد

(الحطيئة)

تعبٌ كلُّها الحيـاةُ فمـا أعـجـبُ ... إلاّ مـن راغـب فـي ازديـاد
صاحِ! هذي قبورُنا تملأ الـرَّحـبَ ... فأين القبورَ منْ عـهـد عـادِ؟
خَفِّفِ الـوَطءَ مـا أظـنُّ أديـمَ ... الأرضَ إلا مِن هذه الأجسادِ

(المعرّي)

تَغَرَّب عن الأوطان في طلب العُلا ... وسافرْ ففي الأسفار خَمْسُ فوائد
تَـفَرُّجُ هَـمٍّ، واكتَـسابُ مَعيشَـة ... وعلمٌ، وآدابٌ، وصُحبَـةُ ماجِـدِ

(عليّ بن أبي طَالب)

وَظُلمُ ذوي القُربى أَشدُّ مَضاضةً   على المرءِ منْ وقعِ الحسام المهنَّدِ

(طَرَفة بن العبد)

وإني لعبدُ الضيف مادام ثاوياً   وما فيَّ، إلا تلك، من شيمة العبدِ
وكيف يسيغُ المرَءُ زاداً وجاره   خفيَفُ المِعا، باديَ الخَصاصةِ والجهدَ

(حاتم الطائي)

الصَّمتُ زينٌ، والسُّكوتُ سلامةٌ   فإذا نطقتَ فلا تكن مكثارا
ما إنْ ندمتُ على سكوتي مرةً   ولقد ندمتُ على الكلام مرارا

(الشبراوي)

إذا صحّ عَونُ الخالقِ المرءَ لم يجدْ   عسيراً من الآمال إلا ميسرا

لأستسهلنَّ الصعبَ أو أدركَ المنى   فما انقادتِ الآمالُ إلاّ لِصابرِ

إذا أنت لم تزرع وأَبصَرْتَ حاصداً   ندمتَ على التقصير في زمنِ البَذرِ

(دعبل الخزاعي)

إذا مرَّ بي يـومٌ ولـم أكتسبْ يـداً   ولم أستفد علْماً، فما ذاك منْ عُمْري

(علي بن أبي طالب)

وحديثُها السّحْرُ الحلالُ، لَوَ انَّه   لـم يجْـنِ قَتْلَ المسلم المتحـرّزِ
إن طال لم يُمْلِلْ، وإنْ هي أوجَزتْ   ودَّ المـحـدَّثُ أنهـا لـم توجِـزِ

(ابن الرومي)

وإذا أحـبَّ اللّه يومـاً عَبْـدَهُ   ألـقى عليـه محبَّـةً للنـاس

(ابن عبد ربه)

(من يفعلِ الخيرَ لا يعدمْ جوازيَهُ   (لايذهبُ العرفُ بين اللّه والناس)

(الحطيئة)

ترجو النجاةَ ولم تَسلك مسالِكَها   إنَّ السفينةَ لاتَجري على اليَبَسِ

(البحتري)

إذا كـنـت في حـاجـة مـرسـلاً فـأرسـلْ حكيـمـاً ولا تـوصـه
وإنْ بــابُ أمــرٍ عليــكَ الْتوى فـشـاورْ لـبـيـبـاً ولا تعـصـهِ

(عبدالله بن معاوية)، أو (صالح بن عبد القدوس)، أو(الزبير بن عبدالمطلب)

ومَـنْ يأمنِ الدنيا يكن مِثلَ قابضٍ على الماء خانَتْهُ فُروجُ الأصابعِ

(معاذ العقيلي)

ولسـت أبـالـي حـين أُقـتـلُ مُسْلماً على أيّ جنبٍ كان في الله مصْرَعي

(خُبيب بن عدِيّ)

الـعـلمُ يـرفـع بـيتاً لا عـمـادَ لـه والجهل يَهدمُ بيتَ العزّ والشرفِ

إذا ضاقَ صدرُ المرء عن سِرّ نفسهِ فَصَدرُ الذي يُستودَعُ السِرّ، أضيَقُ

(العُتبيّ)

لَعمْـرُكَ، مـا ضاقَتْ بلادٌ بأهلها ولـكـنَّ أخـلاقَ الرجـالِ تَضيـقُ

(عمرو بن الأهْتم)

ومال الحسنُ في وجه الفتى شرفٌ له إذا لم يكن في فِعلهِ والخلائقِ

(المتنبي)

وَلي وطنٌ آليتُ أن لا أبيعَهُ وأن لا أرى غيري له، الدهرَ، مالكا

(ابن الرومي)

إذا المرءُ لم يَعْتقْ من المال نفسَهُ تَمَلَّكهُ المالُ الذي هو مالكُهْ
ألا إنما مالي الذي أنا منفقٌ وليس لي المالُ الذي أنا تاركُهْ

(أبو العتاهية)

صُنْ النَّفسَ عمّا عابَها، وارفض الهوى فإنّ الهوى مفتاحُ باب المَهالك
فلو أعمَلَ الناسُ التفكّرَ في الذي له خُلِقوا، ما كان حَيٌّ بِضاحِكَ

(ابن حزام)

لا تقلْ أصلي وفَصلي أبداً إنما أصْلُ الفتى ما قد حَصَلْ
ليسَ مَنْ يَقْطَعُ طُرْقاً بَطَلاً إنما من يتّقي الله البَطَلْ

(ابن الورديّ)

اعتَزِلْ ذِكْرَ الغواني والغَزلْ وَقِلِ الفَضلَ، وجانبْ من هزَلْ
لا تقلْ: ذهبتْ أيامُهُ كلُّ مَن سارَ على الدرب وَصَلْ

(ابن الورديّ)

قُــمْ للمعلّم وَفّــه التّبجـيـلا   كــاد المعـلّــمُ أن يكــون رســولا
أعلِمْــتَ أشـرفَ أو أجَـلَّ من الــذي   يـبنـي ويُنشـئُ أنــفُسـاً وعــقــولاً

(شوقي)

وإذا أصيبَ القــومُ في أخـلاقـهــم   فـأقــمْ عليــهــم مَــأتَــمـاً وعَويلاً

(شوقي)

ألا كلُّ شـيءٍ، مـا خـلا اللّهَ، بـاطـلُ   وكـلُّ نـعيــم، لا محــالــةَ، زائـلُ

(لبيد بن ربيعة)

يموت رديءُ الشّـعـر مـن قبـلِ أهلـه   وجَـيّـدُهُ يبـقى وإن مــات قـائـلُـهْ

(دعبل الخزاعي)

صُن النفس واحملْها علـى مايزينُها   تَعِشْ سالمـاً والـقـولُ فـيـكَ جـمـيـلُ
وإنَ ضاقَ رزقُ اليوم فاصبـرْ إلـىَ غـدٍ   عَسَى نـكَباتُ الـدهــر عــنـكَ تــزول

(الإمام الشافعي وتنسب إلى عليّ (ر))

إذا المرءُ لم يَدْنَسْ مـن اللُؤم عِـرضُـهُ   فـكُــلُّ رداءٍ يـرتـديــه جـمـيــلُ

(السموأل)

دع المقاديرَ تـجري فـي أعنّتها ولا تـبيتـنَّ إلاَّ خـالـيَ البـال
مـابين رَقـدةِ عـينٍ وانتبـاهتها يُـغيـّرُ اللّه مـن حـالٍ إلـى حـالِ

تأخَّرتُ أستَبْقي الحياةَ فلم أجِدْ لـنفسي حـياةً مـثلَ أن أتقدَّما
فلسنا على الأعقاب تدمَى كُلومُنا ولكنْ على أسيافنا تَقْطُرُ الدّما

(الحُصين بن الحُمام المُرّي)

تَـعاظمَني ذَنبي، فلمّا قرَنْتُه بعَفوكَ، ربّي، كانَ عفوُكَ أعظمَا

(أبو نواس)

بـلادي، وإن جارَتْ عليَّ عزيزةٌ وأهلي، وإن ضنُّوا عليَّ، كِرامُ

وإذا كانت النفوس كباراً تَعِبَتْ في مرادها الأجسامُ

(المتنبي)

إن كان لا يرجوك إلاّ مُحسنٌ فبمَنْ يلوذُ ويستجيرُ المُجرمُ
ما لي إليك وسيلةٌ إلاّ الرجا وجَميلُ عفوكَ، ثم إني مسلمُ

(أبو نواس)

إذا بلغَ الرأيُ المَشورةَ فاستعنْ ... برأيِ نَصيحٍ، أو مشورة حازم
ولاتجعلِ الشورى عليكَ غضاضة ... فريشُ الخَوافي قُوَّةٌ للقوادمِ

(بشار بن برد)

الصّدق في أقوالنا أقوى لنا ... والكِذْبُ في أفعالنا أفْعى لنا

جراحاتُ السِنانِ لها التئامٌ ... ولا يلتامُ ما جَرَحَ اللسانُ

بقَدرِ لغات المرءِ يَكثرُ نفعُهُ ... وتلك له، عند الشدائد، أعوانُ
فبادرْ إلى حَفظِ اللغَات مسارعاً ... فكلُّ لسانٍ، في الحقيقةَ، إنسانُ

(صفيّ الدين الحليّ)

لكل شيءٍ، إذا ماتمَّ، نقصانُ ... فلا يُغرَّ بطيب العيش إنسانُ
هي الأمورُ كما شاهدتُها ... من سرَّه زمنٌ، ساءَتْهُ أزمانُ

(أبو البقاء الرّندي)

إذا شئتَ أن تحيا سليماً من الأذى ... وذنبُكَ مغفورٌ، وعرضُك صَيّنُ
لسانكَ لاتذكرْ به عورةَ امرئٍ ... فكلُّكَ عَوراتٌ، وللناس ألسُنُ

(الإمام الشافعي)

لا دارَ للمرءِ بعد الموت يَسْكنها ... إلاّ التي كان قبل الموت بانيها
فإنْ بناها لخيرٍ طابَ مَسْكنُها ... وإنْ بناها لِشرٍّ خاب بانِيَها

(علي بن أبي طالب)

صُن النَفسَ وَاِحمِلها عَلى ما يزينُها ... تَعِش سالِماً وَالقَولُ فيكَ جَميلُ
وَلا تُرِيَنَّ الناسَ إلّا تَجَمُّلاً ... نَبا بِكَ دَهرٌ أَو جَفاكَ خَليلُ
وَإِن ضاقَ رزقُ اليَوم فَاصبِر إِلى غَدٍ ... عَسى نَكَباتُ الدَهرِ عَنكَ تَزولُ
يَعِزُّ غَنِيُّ النَفسِ إِن قَلَّ مالُهُ ... ويَغنى غَنِيُّ المالِ وَهوَ ذَليلُ
وَلا خَيرَ في وِدِّ امرِئٍ مُتَلَّونٍ ... إِذا الريحُ مالَت مالَ حَيثُ تَميلُ
جَوادٌ إِذا استَغنَيتَ عَن أَخذِ مالِهِ ... وَعِندَ احتِمالِ الفَقرِ عَنكَ بَخيلُ
فَما أَكثَرَ الإِخوانَ حينَ تَعدّهُم ... وَلَكِنَهُم في النائِباتِ قَليلُ

نَبْكي عَلَى الدُنْيا وَمَا مِن مَعْشَرٍ ... جَمَعَتْهُمُ الأيّامُ فَلَمْ يَتَفَرّقُوا
أَيْنَ الأَكَاسِرَةُ الْجَبَابِرَةُ الأُلَى ... كَنَزُوا الكُنوزَ فَمَا بَقِينَا وَلا بَقُوا
من ذا الذي ضَاقَ الفَضاءُ بِجَيْشِهِ ... حَتّى ثَوَى فَحَواهُ لَحْدٌ ضَيّقُ
فَالْمَوْتُ آتٍ وَالنُّفوسُ نَفَائسٌ ... والْمَسْتَعِزُّ بِمَا لَدَيْهِ الأَحْمَقُ
والْمَرْءُ يَأْمُلُ والْحَيَاةُ شَهِيَّةٌ ... وَالشَّيْبُ أَوْقَرُ والشَّبيبَةُ أنزَقُ

في وصف الشّعر

قوافٍ إذا ما رواها المَشوقُ ... هزَّتْ لها الغانياتُ القُدودا
كَسَوْنَ عَبيدا ثيابَ العبيدِ ... وأضحى لبيدٌ لديها بليدا

Government of Sharjah حكومة الشارقة

مجمع اللغة العربية بالشارقة

ARABIC LANGUAGE ACADEMY IN SHARJAH

المدينة الجامعية - الشارقة - الإمارات العربية المتحدة

مبنى مجمع اللغة العربية - الدور الأول

هاتف : 400 60 51 6 971+ , فاكس : 410 60 51 6 971+ , ص.ب : الشارقة ، 1973

البريد الإلكتروني : info@alashj.ae , الموقع الإلكتروني : www.alashj.ae

الشارقة
عاصمة عالمية
للكتاب

2019

SHARJAH
WORLD BOOK
CAPITAL

افتح كتاباً.
تفتح أذهاناً.

OPEN BOOKS.
OPEN MINDS.

@sharjahwbc

sharjahwbc.com